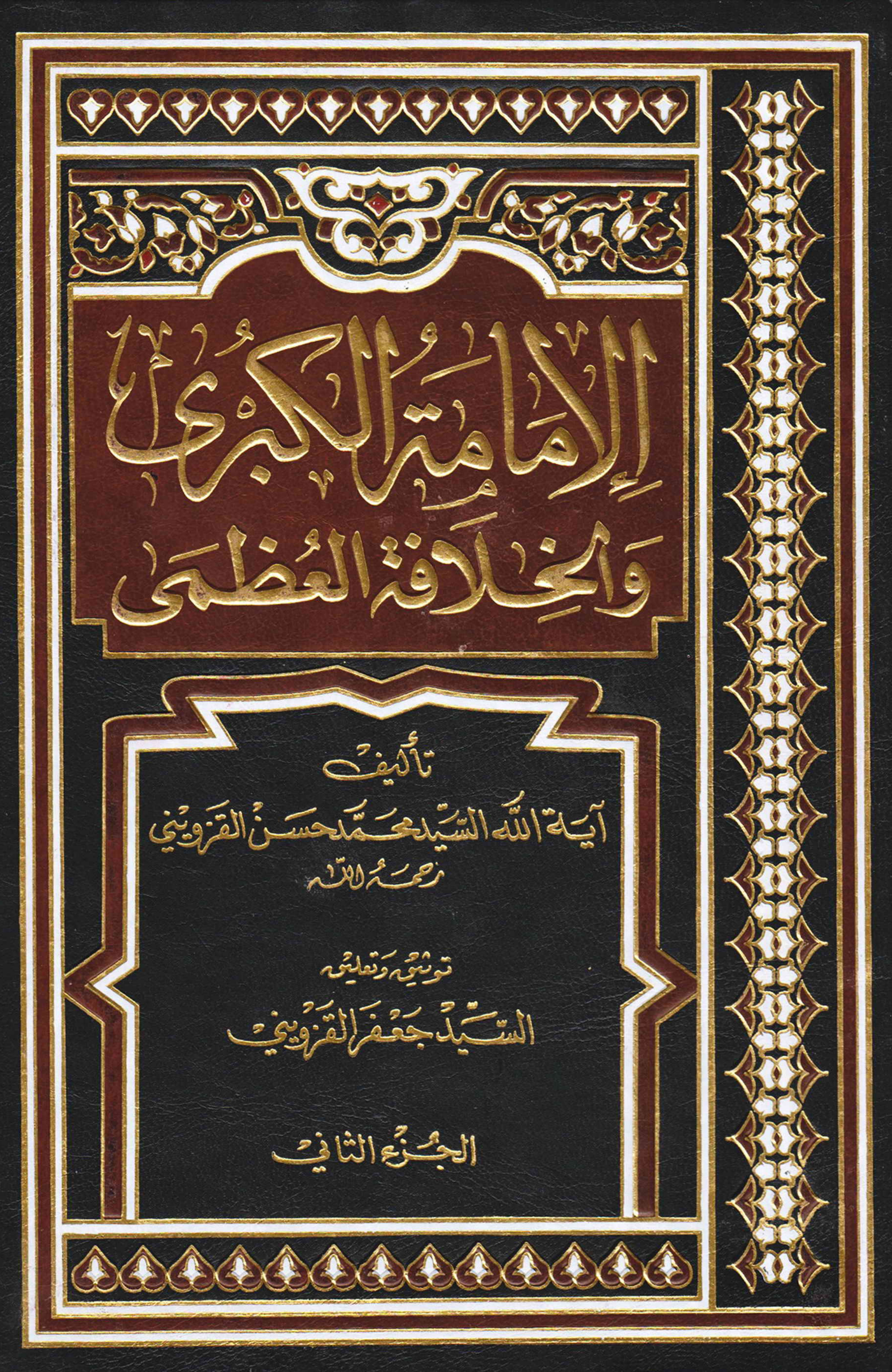


الإمامة الكبرى
والخلافة العظمى
تأليف
آية الله السيد محمد حسن القزويني
رحمه الله
توثيقه وتعليقه
السيد جعفر القزويني
الجزء الثاني


الإمامة الكبرى
و
الخلافة العظمى

الإمامة الكبرى

و

الخلافة العظمى

تأليف

آية الله السيد محمد حسن القزويني - رحمه الله -

توثيق وتعليق

السيد جعفر القزويني

الجزء الثاني

دار القارئ

الطبعة الاولى
١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م

دار القارئ
تلفون: ٠٣/٤١٣٢٥٦ ـ ص.ب: ٢٥/٢٥٨ ـ بيروت ـ لبنان

المحتويات

المقصد الثاني

في الإمامة

وهي الخلافة والقيام

مقام النبي ـصلى الله عليه واله وسلم ـ

في شرعه. وفيها مباحث:



المبحث الأول

فـــي حـــقيقتها

فنقول: «الاِمام» ـ كقيام وصيام ـ مصدر لـ«أمَّ» «يؤمُّ» اِذا قصد واتبع. والمراد به المعنىٰ الاسمي كـ«اِزار» لما يُئتزر به، و«قوام» للذي يقوم به الأمر. أو يكون المصدر بمعنىٰ المفعول، كالخلق بمعنىٰ مخلوق، فيكون الامام هو المتبوع والمقصود، ومن هذا الباب اطلاقه علىٰ اِمام الجماعة لكون المتبع في الافعال في الصلاة، وكذا اطلاقه علىٰ الدين والشريعة والكتب السماوية، في قوله تعالى: «وكل شيء أحصيناه في امامٍ مبين»[1]، وقوله: «ومن قبله كتاب موسىٰ اماماً ورحمة».[2]

ومن ذلك يعلم ان اطلاق الامام علىٰ الزعيم الديني من أجل أنه المقتدىٰ به لقومه، كما في قوله: «واجعلنا للمتقين اماما»[3] وقوله تعالى: «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا»[4] في ابراهيم واسحاق ويعقوب ـ عليهم السلام ـ، وقوله تعالىٰ في ابراهيم: «إني جاعلك

---

١. سورة يس / ١٢.

٢. سورة هود / ١٧، الاحقاف / ١٢.

٣. سورة الفرقان / ٧٤.

٤. سورة الأنبياء / ٧٣.

للناس إماما»[١] أي: متبعاً ومؤتماً به.

ثم ان اطلاق «الامام» علىٰ ائمة الضلال انما هو لكونهم متبوعين عند متابعيهم، ومنه قوله تعالى: «وجعلناهم أئمة يدعون الىٰ النار»[٢]، وقوله تعالى: «قاتلوا أئمة الكفر»[٣]. فلا يكون لفظ الإمام مشتركاً لفظياً بين موارد استعماله حتىٰ استعماله في الوصي والخليفة، وذلك لان الزعيم الديني العام من نبي أو وصي نبي هو أحد مصاديق مفهوم «الامام».

قال في «تاج العروس»: «الإمام ـ بالكسر ـ: كل من أُئتم به من رئيس أو غيره، كانوا علىٰ الصراط المستقيم أو ضالين، ومن ذلك قوله تعالىٰ: «قاتلوا أئمة الكفر». والإمام: قيِّم الأمر المصلح له، والقران، والنبي والخليفة، لانه إمام الرعية ورئيسهم، ومن ذلك قولك: امام المسلمين. وكذلك قائد الجند»[٤]. انتهىٰ.

ليست الإمامة ملوكية

ليست الإمامة ـ التي هي الخلافة الالهية عىٰ البرية ـ من نوع الملوكية والسلطنة الظاهرية، ولا هي مستلزمة لها دائماً، فلا يكون من شؤونها القهر والشوكة والغلبة، وان قال بذلك أهل السنة وصرح به ابن تيمية ـ في «منهاج السنة» ـ والسيد محمود الآلوسي ـ في «مختصر التحفة» ـ، إلّا انها دعوىٰ بلا حجة ولا يساعد عليها شيء من الادلة السمعية ولا العقلية.

نعم، لما انتهت الخلافة ـ بمعناها المعروف لدىٰ الجماعة ـ الىٰ أمثال معاوية ويزيد وابن الزبير وعبدالملك وأشباهم، وتغلَّب هؤلاء علىٰ الممالك بالقتل والغارة، انقلبت الخلافة

---

١. سورة البقرة / ١٢٤.

٢. سورة القصص / ٤١.

٣. سورة البراءة / ١٢.

٤. تاج العروس ٢٣/٥.

الشرعية الى سلطة جبارة، فأين أحداهما عن الاخرىٰ حتىٰ نتوسع في مفهوم الخلافة الالهية؟

نعم، ربما تجتمع الرئاسة الاِلهية مع الرئاسة الظاهرية الدنيوية والسلطة الفعلية، كما في موسىٰ، ويوشع بن نون، وداود، وسليمان، ورسول الله ـ صلىٰ الله عليه وعليهم اجمعين ـ فيما بعد الهجرة. وقد تفترق احدىٰ الرئاستين عن الاخرىٰ، فيكون الشخص ملكاً عادلاً يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر بسيفه ولا يكون نبياً، نظير طالوت في بني اسرائيل، كما في قوله تعالى: «قال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا»[1]. فافترقت النبوة عن الملوكية في آدم ونوح وهود وصالح ولوط وزكريا وشعيب ويحيىٰ وعيسىٰ ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ، فقد كانوا خلفاء الله في أرضه، ولم تحصل لهم الغلبة وشوكة الملوكية.

ونظير هؤلاء الأئمة الهداة من العترة الطاهرة النبوية ـ عليهم السلام ـ، فانهم جميعاً خلفاء الله في الارض، وولاة الأمر من بعد الرسول ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، واِن غلبتهم خصومهم من ولاة الجور. فقيام الائمة من أهل البيت ـ عليهم السلام ـ بالأمر ونشرهم الاحكام اصولاً وفروعاً ـ وهم تحت الشدة والضغط ـ كقيام يحيىٰ (عليه السلام) وزكريا وعيسىٰ في بني اسرائيل، بل وهارن في قوم موسىٰ (عليه السلام).

ثم ان اِمارة أبي بكر يوم السقيفة ليست من الاِمامة المعنيّها في قول النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ متواتراً: الأئمة بعدي أثنا عشر، عدد نقباء بني اسرائيل. أورده أحمد بن حنبل في مسنده[2].

واخرج السيوطي ـ في «الجامع الصغير» ـ عن النبي (صلىٰ الله عليه واله وسلم): ان عدة الخلفاء بعدي عدد نقباء بني اسرائيل[3].

ومن حديث ابن حجر ـ في الصواعق ـ عن ابن مسعود: سألت النبي ـ ص ـ:

---

١. سورة البقرة / ٢٤٧.

٢. مسند أحمد بن حنبل ١/٣٩٨، ٤٠٦. والمنقول بالمضمون.

٣. لم أجده في المصدر.

كم يملك هذه الأُمة من خليفة؟ قال: «اثنا عشر، كعدة نقباء بني اسرائيل»[١].

اراد النبي ـ صلى الله عليه واله ـ الخلافة المعهودة من الله تعالى لا من الناس، كما في قوله تعالى: «وجعلنا منهم اثني عشر نقيبا»[٢]. ولذلك اشترط فيها العصمة لقوله تعالىٰ: «لا ينال عهدي الظالمين»[٣]، وكذلك العدد، كما في «صحيح مسلم» من كتاب الإمارة عن النبي ـ ص ـ قال: «لا يزال الدين قائماً حتىٰ تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة»[٤].

وان أهل السنة لا يمكنهم الامتناع عن القول بإمامة شخص معصوم، لكنهم يعتبرون العصمة في النبي ـ صلى الله عليه واله ـ، وفي الخلفاء من بعده يكتفون بالعدالة، فلا يشترطون العصمة، لسبق الكفر في أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، غير أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ.

ولكننا نناشدهم: اين العدالة في خلفاء بني أُمية وبني العباس؟ وفي «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ـ عن المسدد في مسنده الكبير ـ عن أبي الخلد قال: قال رسول الله ـ ص ـ: «لا تهلك هذه الأُمة حتىٰ يكون فيها اِثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدىٰ ودين الحق»[٥]. انتهىٰ. فليت شعري اين العمل بالهدىٰ ودين الحق في من جاء بعد الخلفاء الراشدين.

والغريب ان ابن تيمية ونظراءه في «منهاج السنة» وغيره، حيث لم يشترطوا في الخليفة أكثر من الاِسلام فقط، فأوجبوا طاعتهم في ما اطاعوا الله دون ما اذا عصوا الله[٦]، نظراً الىٰ خلافة بني أُمية وبني مروان وابن الزبير.

---

١. الصواعق المحرقة / ١٢.

٢. سورة المائدة / ١٢.

٣. سورة البقرة / ١٢٤.

٤. صحح مسلم ٣/١٤٥٣، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش و...

٥. تاريخ الخلفاء / ١٢.

٦. راجع منهاج السنة ٣/٢٤٧ ـ ٢٦٥.

والأغرب عن ذلك انهم يعدون مثل هذه الخلافة رحمة، وقد نص النبي ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ في حديث سفينة (كما في مستدرك الحاكم والصواعق) نصّ علىٰ انتهاء دور الخلافة الىٰ ثلاثين سنة، وبعدها تكون مُلكاً عضُوضا[١] وشراً صرفا.

ويعضد ما ذكرناه ـ أو يدل عليه ـ حديث حذيفة في «صحيح البخاري» في كتاب الفتن، قال [حذيفة]: كان الناس يسألون رسول الله ـ ص ـ عن الخير، وكنتُ أساله عن الشر مخافة أن يدركني. فقلتُ: يا رسول الله! إنّا كنا في جاهليةٍ وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دَخَنٌ[٢]. قلت: وما دَخَنه؟ قال: قوم يَهدون بغير هديي، تُعرفُ منهم وتُنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم. دعاة علىٰ ابواب جهنم، من أجابهم اليها قذفوه فيها...[٣]

قال القسطلاني في «ارشاد الساري»: قال «القاضي عياض: المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت بعد عثمان، وبالخير الذي بعده ما وقع في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وبالذي «تُعرف منهم وتنكر» الأُمراء بعده، فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل، وفيهم من يدعو الىٰ البدعة ويعمل بالجور»[٤].

أقول: هذا تطبيق وهمي إن أُريد بالخير والشر معرفة ايام خلفاء النبي ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ وإلقاءٌ للقول علىٰ عواهنه، وإلا فأين الهدىٰ ودين الحق في من جاء بعد الخلفاء الراشدين ـ كما في حديث السيوطي السابق الذكر ـ؟ مضافاً الىٰ ما ذكره في «كنز

---

١. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٤٥، الصواعق المحرقة / ١٥، واللفظ الثاني.
العضوض: الشديد، اي: يصيب الناس منه شدة وظلم وصعوبات.

٢. دَخَن: الكدورة الىٰ السواد. ويحتمل ان يكون المراد به هنا الفتنة، أو وقوع الاضطرابات والبلابل، أو صلاح ظواهر الناس او الامور مع فساد البواطن.

٣. صحيح البخاري ٩/٦٥، كتاب الفتن، باب ١١.

٤. ارشاد الساري ١٠/١٧٦.

العمال» من قول عمر: «ان هذا الأمر لا يصلح للطلقاء ولا لأبناء الطلقاء»[1]. فبالنظر الىٰ ذلك كله يلزمنا أحد الأمرين:

إمّا الحكم بانقطاع الخلافة بعد ثلاثين سنة ـ كما في حديث سفينة ـ وأن من تصدىٰ لها بعد ذلك كلهم حكام الظلم وامراء الجور وملوك غاصبون لم تتوفر فيهم شروط الخلافة ولا العدد المذكور في حديث النبي ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ، ولذلك نجدهم قد كثروا وتعددوا بتعدد ممالكهم وعواصمهم في زمن واحد، فالخليفة العباسي كان في بغداد، والخليفة الفاطمي في مصر، والأموي في الأندلس.

وإمّا القول بخلافة الائمة من أهل البيت ـ عليهم السلام ـ الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، حيث تتوفر فيهم الشروط المذكور والعدد المعتبر ـ اثنا عشر ـ موافقة النصوص الصحيحة المعتبرة لدىٰ كافة المسلمين.

١. كنز العمال ٥/٧٣٥.

المبحث الثاني

الامامة من اصول الدين

ان الامامة الكبرىٰ والخلافة العظمى ولاية الهية عامة علىٰ جميع البرية. وقد كانت من وظائف الأنبياء وواجباتهم الرئيسية، وعنصراً اساسياً من النبوة في الأُمم السالفة. قال الله تعالىٰ في آدم ـ عليه السلام ـ: «اني جاعل في الارض خليفة»[1]. وقال في ابراهيم ـ عليه السلام ـ: «اني جاعلك للناس اِماما»[2]. وقال في داود ـ عليه السلام ـ: «اِنّا جعلناك خليفة في الأرض»[3]. وقال في شأن عباده المؤمنين: «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم»[4]. وقال تعالى: «ونريد ان نمنَّ علىٰ الذين استضعفوا في الارض، ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين»[5].

وبما ان النبوة من اصول الدين بالضرورة واليقين، فان الاِمامة والخلافة التي هي من عناصرها ووظائفها الرئيسية كذلك من اصول الدين، فما ختمت النبوة برسول الله

---

١. سورة البقرة / ٣٠.

٢. سورة البقرة / ١٢٤.

٣. سورة ص/٢٦.

٤. سورة النور / ٢٤.

٥. سورة القصص / ٥.

ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ وحلّت الامامة والخلافة محلها، فقد انحازت هذه وبقيت علىٰ اصلها، أعني كونهامن اصول الدين التي يجب الاعتقاد بها بعد التوحيد والنبوة.

اذاً فان معرفة الخليفة والامام الحق واجبة عقلاً، كما تجب معرفة الله تعالى، ومعرفة النبي والاعتقاد برسالته.

ولقد تواتر عن النبي ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ ما يدلك علىٰ أن الامامة من الاصول، وليست من الفروع ـ كما يزعمه الجماعة ـ فان قوله (صلى الله عليه واله وسلم): «من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة الكفر» دليل صريح علىٰ وجوب معرفة الاِمام، وأن الجاهل به أو الجاحد المعاند له يموت علىٰ الكفر، وذلك نظير الجحد والاِنكار لأي واحد من أوصياء الانبياء ـ عليهم السلام ـ كخلافة هارون ـ عليه السلام ـ في بني اسرائيل.

احاديث «من مات ولم يعرف اِمام زمانه ..»

١ ـ أخرج مسلم في صحيحه، والامام احمد في مسنده خبر مجيء عبدالله بن عمر الىٰ ابن مطيع وحديثه عن النبي (صلىٰ الله عليه واله وسلم) قال: «من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة ولا حجة له. ومن مات وليس في عنقه بيعةٌ، مات ميتةً جاهلية»[1].

٢ ـ وفي «صحيح مسلم» أيضاً عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم): من خرج عن الطاعة و«فارق الجماعة، فمات، مات ميتة جاهلية»[2].

٣ ـ وفي «المسند»: قال رسول الله ـ ص ـ: «من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية، ومن نكث العهد، فمات ناكثاً للعهد، جاء يوم القيامة ولا حجة له»[3].

٤ ـ وفيه: «من مات وليست عليه طاعة، مات ميتة جاهلية، فان خلعها من بعد

---

١. صحيح مسلم ١٤٧٨/٣، كتاب الإمارة، باب ٣. مسند احمد بن حنبل ٨٣/٢، واللفظ للأول.

٢. صحيح مسلم ١٤٧٨/٣، كتاب الإمارة، باب ١٣.

٣. مسند أحمد بن حنبل ٤٤٦/٣.

عقدها في عنقه، لقي الله وليست له حجة»[١].

٥ ـ وفي مستدرك الحاكم وتلخيص الذهبي بالإسناد الىٰ رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال: «من فارق الجماعة شبراً دخل النار»[٢].

٦ ـ وأخرج احمد في «المسند» عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله ـ ص ـ: «من مات بغير امام، مات ميتة جاهلية»[٣].

٧ ـ وفي «حلية الاولياء» لأبي نعيم: عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ـ ص ـ يقول: «من مات بغير إمامٍ، فقد مات ميتة جاهلية»[٤].

٨ ـ واخرج الدولابي في «الكنىٰ»: ان الشعبي قال: سمعت ابن عمر يقول: «من مات وليس عليه امام جامع، فقد مات ميتة جاهلية. ومن خرج من الجماعة، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[٥].

٩ ـ واخرج علي المتقي في «كنز العمال» ـ في كتاب احكام البيعة بلفظ «من مات ولا بيعة له، مات ميتة جاهلية»[٦].

١٠ ـ واخرج الحديث ايضاً في «الكنز» بلفظ: «من مات بغير امام، مات ميتة جاهلية[٧]. ومن مات مفارقاً للجماعة، مات ميتة جاهلية. ومن مات ناكثاً عهده، جاء يوم

---

١. مسند احمد بن حنبل ٣/٤٤٦.

٢. المستدرك على الصحيحين ١/١١٨، تخليص المستدرك ١/١١٨.

٣. مسند أحمد بن حنبل ٤/٩٦.

٤. حلية الأولياء ٣/٢٢٤.

٥. الكنىٰ والأسماء ٢/٣.

٦. كنز العمال ١/١٠٣.

٧. كنز العمال ١/١٠٣.

←

القيامة ولا حجة له». انتهىٰ

إذاً فما يزعمه الجماعة من كون الإمامة من الاحكام الفرعية وليست من الاصول الاعتقادية، كي يلزم فيها الإذعان والمعرفة، مردودٌ بما عرفت من النصوص الصريحة في كفر من لا يعرف امامه، فلولا أن معرفة الامام واجبة، لما كان تركها موجباً للكفر والموت علىٰ الجاهلية.

والغريب ما زعمه ابن تيمية ـ في منهاجه ـ ان رواية ابن عمر متضمنة لبيان كفر من خرج من الطاعة وقاتل السلطان بالسيف. قال: وهذا ضد قول الرافضة[1].

أقول: ان الحديث يشمل صدره وذيله علىٰ بيان أمرين يوجب كل منهما الكفر:

احدهما: الخروج علىٰ الإمام. وتؤيده احاديث كفر المارقين الذين خرجوا علىٰ امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، فمرقوا عن الدين كما يمرق السهم من الرمية حسب ما أخبر به النبي ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ وحَكَمَ بكفرهم وارتدادهم[2].

وثانيهما: الموت بغير إمامٍ يعتقد به، وان لم يُخْرَج عليه بالسيف. فان كلاً منهما يوجب الكفر والخروج عن الدين. قال تعالى: «وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم، فقاتلوا ائمة الكفر، إنهم لا أيمان لهم، لعلهم ينتهون»[3]. احتج بها أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ على كفر من خرج عليه يوم البصرة من المنكرين لإمامته.

→

وقد روي الحديث بلفظ «من مات ولم يعرف امام زمانه، مات ميتة جاهلية» في مجمع لزوائد ٥/٢١٨. وروي بلفظ «من مات ولم يعرف امام زمانه، فليمت إن شاء يهودياًوإن شاء نصرانيا» في مسائل خمسون ـ للرازي ـ / ٣٨٤، المسألة ٤٧.

١. منهاج السنة النبوية ١/٢٧.

٢. صحيح البخاري ٩/٢١ ـ ٢٢، كتاب استتابة المرتدين، باب ٦ ـ ٧.

٣. سورة التوبة / ١٢.

وكان ـ عليه السلام ـ يوم صفين يحض اصحابه علىٰ قتال القاسطين ويقول: «قاتلوا ئمة الكفر، اِنهم لا أيمان لهم».

وفي «منتخب كنز لعمال» ـ المطبوع بهامش المسند ـ عن عبدالرحمن بن جبير في الخوارج قال: «...اضربوا مقاعد الشيطان منهم بالسيوف، فوالله لاِن أقتلَ رجلاً منهم أحبّ اِليّ من أن أقتل سبعين من غيرهم، وذلك بأن الله يقول: فقاتلوا ائمة الكفر»[1]. [اخرجه] ابن ابي حاتم.

ومما يدل علىٰ أن الاِمامة من اصول الدين، كلام أمير المؤمنين ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما في «نهج البلاغة»، قال: «انما الأئمة قُوّام الله علىٰ خلقه، وعرفاؤه علىٰ عباده، لا يدخل الجنة اِلا مَنْ عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار الا من أنكرهم وانكروه...»[2]. فانه ليس المقصود معرفة الأئمة بأسمائهم وأشخاصهم وانه ابن فلان مثلاً، فان المشركين كانوا يعرفون رسول الله ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ وأمير المؤمنين (عليه السلام) كذلك، وانما المقصود معرفة اِمامتهم والاِذعان بها والاعتراف بولايتهم والاِقرار بها، كما ان المراد من معرفة الاِمام لهم أن يعرفهم انهم من مواليه وشيعته وأتباعه، فهذه المعرفة موجبة لدخول الجنة.

وفي «ينابيع المودة» للشيخ سليمان الحنفي في تفسير قوله تعالى: «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم» ـ نقلاً عن «مناقب» الشافعي ـ: ان علياً ـ عليه السلام ـ قال: «أدنىٰ ما يكون [به][3] العبد مؤمناً أن يُعرِّفه الله نفسه، ويُعرِّفه نبيه ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ... ويُعرِّفه اِمامه وحجته في أرضه وشاهده علىٰ خلقه»[4].

---

١. منتخب كنز العمال ٥/٤١٥.

٢. نهج البلاغة ٢/٤٠ ـ ٤١، الخطبة ١٤٥.

٣. الزيادة من المصدر.

٤. ينابيع المودة /١١٦.

انتهىٰ. فهذا صريح في ان معرفة الامام مقرونة بمعرفة الله ومعرفة رسوله ـصلى الله عليه واله وسلم ـ، أن المرء لا يكون مؤمناً إلّا بهذه المعرفة.

[تأويلات خاطئة لمعنىٰ «الامام»]

تأويل الجماعة معنىٰ الإمام: ان الجماعة حيث جعلوا الإمامة من فروع الدين عندهم، وجرّدوها عن رتبتها الرفيعة» وقد اطلعوا علىٰ الأدلة القاطعة الصريحة بكونها من اصول الدين، وأحرجت هذه النصوص موقفهم، واضطروا الىٰ تأويل معنىٰ «الإمـام» الوارد في الأحاديث المزبورة بضروب من التكلّف والتجشم، ففسروا «الامام» تارة بالقران، وأُخرىٰ بالخلفاء الراشدين، وتارة بأئمة المذاهب الأربعة.

وجميع ذلك باطل، لأن القران المنزَّل من الله تعالىٰ إمام الأمة في جميع الأزمنة الىٰ يوم القيامة، لا انه امام زمانٍ دون زمان، فلو أوّلوا «الامام» برسول الله ـصلى الله عليه واله وسلم ـ لكان اولىٰ، لوجوب الاعتراف به وبما جاء به من عند ربـه، ومـنه القـران. فالإقرار به في ضمن الإقرار بالنبي ـصلى الله عليه واله وسلم ـ، ولكن التدين به لكونه إمام الأمة في جميع الأزمنة. فالتعبير بكلمة «امام زمانه» يفهم منه ان المراد بالامام هـو الشخص الديني المطاع الحافظ لحدود الله في زمانه. ولو أُريد من التدين بالقران مـعرفة أحكامه تفصيلاً، لزم أن يكون اكثر المسلمين محكومين بالكفر، لجهلهم بتفاصيل مـعاني القران.

ويدلك علىٰ ما ذكرنا ـ زيادة عما مضىٰ ـ ما أورده السيوطي في «الدر المنثور» ـ في تفسير قوله تعالىٰ في سورة الاسراء: «يوم ندعوا كل أُناس بإمامهم»[١] ـ قال: واخرج ابن مردويه عن علي (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ـ ص ـ: «يوم نـدعوا كـل أُنـاس

---

١. سورة الاسراء / ٧١.

بامامهم» : يُدعىٰ كل قوم بإمام زمانهم، وكتاب ربهم، وسنة نبيهم»[1]. وهذا صريح باقتران القران بإمام الزمان، وانه لكل زمان امام، وانهم يُدْعَون بامامهم.

وأما تأويل «الإمام» بالخلفاء الراشدين، ففيه نظر، لانه في غاية البعد عن سياق قوله «من مات ولم يعرف إمام زمانه»، لانه يعم جميع الأزمنة، أي: امام كل زمان الى نهاية أزمنة التكليف من غير اختصاص بالخلفاء الراشدين في الصدر الاول من الزمان.

وأما تأويلهم لفظ «الإمام» بأئمة المذاهب الأربعة، فيرد عليه نفس الاعتراض والإشكال، فان الامامة اذا كانت من الاصول الاعتقادية أو الفروع العملية، لم يكن فرق بين سائر الرؤساء من ائمة المذاهب، فلا فرق بين ابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد وبين غيرهم من مراجع التقليد من التابعين وتابعي التابعين، وهكذا...

على ان احاديث «من مات ولم يعرف امام زمانه، مات ميتة الكفر» صادرة بطرق الصحابة عن النبي ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ، فكيف يمكننا تفسير «امام الزمان» بأئمة المذاهب الاربعة مع عدم وجودهم في زمن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولا في عهد الصحابة. ومنهم من كان متأخراً عن زمن التابعين وعمن بعدهم. على ان هؤلاء الاربعة لم يكونوا ائمة في عهدهم، بل كان شأنهم في حياتهم شأن سائر العلماء من غير مزية لهم علىٰ الآخرين، وانما جعلتهم السياسة الوقتية والسلطة الزمنية ائمة في القرن الرابع الهجري.

قال المقريزي ـ في خططه ـ : ان السلطان صلاح الدين حمل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن الأشعري تلميذ أبي علي الجُبّائي، وشرط ذلك في أوقافه التي في ديار مصر والشام والحجاز واليمن وبلاد المغرب، وصار هذا الاعتقاد في سائر البلاد بحيث من خالفه، ضُرب عنقه.

قال: ولم يكن لمذهب أبي حنيفة كثيرُ ذكر، ولا لمذهب احمد بن حنبل. ثم اشتهر

---

١ . الدر المنثور ٤/١٩٤.

مذهب أبي حنيفة ومذهب أحمد بعد ذلك. فلما كانت سلطة الملك الظاهر، ولّىٰ مصر والقاهرة أربع قضاة يفتون علىٰ مذهب الحنفي والمالكي والحنبلي والشافعي، ومنع ما دون ذلك. واستمر ذلك من سنة خمس وستين وستمائة، حتىٰ لم يبق في مجموع بلاد الاسلام سوىٰ هذه المذاهب الأربع وعقيدة الأشعري، وعُملت لأهلها المدارس والخانات والربط في بلاد الاسلام. وعوقب من تمذهب بغيرها وأُنكر عليه. ولم يول قاض، ولا قُبلت شهادة أحدٍ، ولا قدِّم للامامة والخطابة ولا للتدريس أحد ما لم يكن مقلداً لأحد هذه المذاهب، وتحريم ما عداها. والعمل الى هذا اليوم[1]. انتهى

فأين كنت هذه لمذاهب ـ مع شدة الخلاف في ما بينهاوتكفير بعضهم لبعض ـ عن تفسير أحاديث النبي ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ بأصحابها ورؤسائها؟

مع ان هذه لتأويلات المزبورة بعيدة عن فهم معاني الألفاظ وعن متبادر العرف، ولا تناسب مورد الحديث من مجيء ابن عمر لبيعة يزيد واستشهاده ماسمعه من النبي ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ[2]، فان ذلك نص علىٰ ان المقصود من «الامام» هو لخليفة.

ويدل علىٰ ذلك أيضاً اشتمال بعض تلك الاحاديث علىٰ لفظ «الأمير» و«السلطان»، ولفظي «البيعة» و«العهد»، ولفظ «خلع اليد عن الطاعة»، وكل ذلك لا ينطبق اِلّا علىٰ ولي الأمر، وفي الصحيحين: عن النبي ـ ص ـ: «من كره من أميره شيئاً، فليصبر عليه، فان من خرج من السلطان شبراً، مات ميتةً جاهلية»[3]. واخرج الحاكم في «المستدرك» عن ابن عمر رفعه: «من خرج عن الجماعة قدر شبر، فقد خلع ربقة الاِسلام عن عنقه... ومن مات وليس

١. المواعظ والاِعتبار بذكر الخطط والاثار ٣/٣١٣.

٢. مسند احمد بن حنبل ٢/٤٨.

٣. صحيح البخاري ٨/٥٩، كتاب الفتن، الباب ٢.

صحيح مسلم ٣/١٤٧٨، كتاب الاِمارة، باب ١٣.

عليه إمام جماعة، فان موته ميتةً جاهلية»[1]. انتهىٰ.

ثم انه أيُ تأويل مما ذكر يأتي في قوله تعالى: «وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا»[2]، وقوله تعالى: «اني جاعلك للناس إماما، قال: ومن ذريتي. قال: لا ينال عهدي الظالمين»[3]؟ فان هذه الآيات لا سيا الأخيرة وقعت بياناً لإمامة ائمة العدل من ذرية ابرهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وحرمة الامامة علىٰ الظالمين منهم. فأي تأويل يمكن فيها؟

أم أي تأويل يجري في قول النبي ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ: «الأئمة بعدي اثنا عشر، كلهم من قريش» أو «من بني هاشم»؟ وكذلك في حديث أبي بكر: «الأئمة من قريش»؟

---

١. المستدرك علىٰ الصحيحين ١/٧٧.

٢. سورة الانبياء / ٧٣.

٣. سورة البقرة / ١٢٤.



المبحث الثالث

لا تخلو الارض من الامام

ان احاديث «من مات ولم يعرف امام زمانه، مات ميتةً جاهلية» تدل علىٰ ان لكل زمان اماماً تجب علىٰ الأمة معرفته والدخول في طاعته.

قال أبو علىٰ الجُبائي شيخ المعتزلة ـ عند قوله تعالى: «انما انت منذر، ولكل قوم هاد» ـ: ان الآية دالة علىٰ ان لا واحد من المكلفين اِلّا وقد بعث اليهم المنذر والهادي، وانه تعالىٰ أقام به الحجة علىٰ جميع الامم. انتهى. وذلك بمقتضىٰ قوله تعالى: «ولقد وصّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون»[1] وقوله تعالى: «وإن من أُمة الا خلا فيها نذير»[2]، وقوله تعالى: «كلما أُلقي فيها فوج، سألهم خزنتها، ألم يأتكم نذير؟ قالوا: بلىٰ، قد جاءنا نذير»[3].

فان قلتم: ان المقصود بالمنذر والنذير في الايات المذكورة هم العلماء الذين يرجع اليهم في المبدأ والمعاد، وكفىٰ بحكمهم شاهداً ومبشراً ونذيراً.

قلنا: لولا اختلافهم في المذهب والاعتقاد، وعملهم بالاستحسان والقياس، واعتمادهم علىٰ الاراء والأهواء في تفسير القرآن نشر الاحكام، «ومن اضلُّ ممن اتبع هواه

---

١. سورة القصص / ٥١.

٢. سورة فاطر / ٢٤.

٣. سورة الملك / ٨.

بغير هدىٰ من الله»[١].

فكيف يكون أمثال هؤلاء امناء الله؟ وهم السبب الباعث على التفرقة والاختلاف في الاصول والفروع، والتمذهب بمذاهب متضاربة كالمعتزلة والاشعرية والقَدَرية والمُرجئة، والجهمية والجبرية والمفوضة والمعللة والمجسِّمة، والقائلين بالرؤية والتشبيه، والمثبتين للجهة والاعضاء، والقائلين بالصفات الزائدة لله، «سبحانه وتعالىٰ عما يقولون».

وفي المسلمين من قال بعدم عصمة النبي ـصلى الله عليه واله وسلم ـ وانه لم يكن علىٰ دين ابراهيم الخليل ـعليه السلام ـ، وفي علمائهم من انكر ولاية علي ـعليه السلام ـ وعثمان، بل وانكر وجوب نصب الامام والخليفة ـكالخوارج ـ، بل واختلف جميع المذاهب في الفروع، وفي الحديث عن رسول الله ـصلى الله عليه واله وسلم ـ، الىٰ حد غير محصور من وجوه الإِختلاف والافتراق، وكل ذلك نتيجة لاختلافهم في الاراء والانظار، حتىٰ فسّق بعضهم بعضاً في الفتيا والاجتهاد، حتىٰ ان ابن الجوزي ذكر في كتابه «تلبيس ابليس» وجوهاً من تلبيساته علىٰ الفقهاء، وعدّ منها اموراً[٢].

فاذا كان هذا شأن العلماء، ـكما عرفت ـ، فكيف يكون اللطف من الله تعالىٰ في احالة الامور اليهم من غير اِمام يهديهم الىٰ سواء السبيل «لئلا يكون للناس علىٰ الله حجة»؟

ومن النصوص التي تدل علىٰ ان الارض لا تخلو من الامام، وماسيأتيك من كلام مولانا أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ لصاحبه كميل بن زياد النخعي، كما يرويه الحافظ ابو نعيم، وعلي المتقي في «كنز العمال»، والخطيب الخوارزمي في «المناقب»، والذهبي في «تذكرة الحفاظ» وسبط ابن الجوزي في «تذكرة خواص الأمة»، والغزالي في «اِحياء العلوم»، والفخر الرازي في تفسيره الكبير.

---

١. سورة القصص / ٥٠.

٢. تلبيس ابليس / ١١٢ ـ ١٢٢.

في «حلية الأولياء» ـ لأبي نعيم ـ بالإسناد إلىٰ ابي حمزة الثمالي [عن عبدالرحمن بن جندب][1] عن كميل بن زياد قال: أخذ بيدي أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ فأخرجني الىٰ ناحية الجبان، فلما أصحرنا، جلس فتنفس الصعداء، ثم قال: «ياكميل! ـ الىٰ ان قال فما قال ـ: اللهم بلىٰ لا تخلو الارض من قائم لله بحجة، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته، هم الأقلون عددا، والأعظمون عند الله قدرا، بهم يدفع الله عن حُججه حتىٰ يردوها الىٰ نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم علىٰ حقيقة الأمر» تلك «أبدانٌ ارواحها معلقة بالمحل الأعلىٰ. يا كميل! اولئك خلفاء الله في بلاده، ودعاة الىٰ دينه. هاه! هاه! شوقاً الىٰ رؤيتهم...»[2].

وفي «ينابيع المودة» للشيخ سليمان القندوزي ـ في الباب المائة ـ، وفي «إحياء العلوم» للغزالي ـ من الباب السادس في آفات العلم من كتاب العلم ـ: من كلام لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ لكميل: «اللهم بلىٰ لا تخلو الارض من قائم لله بحجة، إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا خائفاً مغمورا، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته...»[3].

أقول: قوله: «وإمّا خائفاً مغمورا» يدل علىٰ مذهب الشيعة من جواز تستُّر الإمام والحجة عند خوف الفتنة، نظير ما كان بعد صلح الامام السبط الحسن ـ عليه السلام ـ مع معاوية، وقعود أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء ـ عليهما السلام ـ عن حقهما.

كما ان قوله ـ عليه السلام ـ: «بلىٰ لا تخلو الارض..» صريح في مذهب الشيعة، وعدم انطباقه علىٰ ما يذهب اليه الجماعة لانقطاع حجتهم الالهية بانقطاع خلاف بني أُمية وبني العباس ـ عندهم ـ.

وكذلك قوله ـ عليه السلام ـ كما في «نهج البلاغة»: نحن شجرة البنوة، ومحطُّ

---

١. الزيادة من المصدر.

٢. حلية الاولياء ١/٧٩ ـ ٨٠.

٣. ينابيع المودة / ٥٢٣، إحياء علوم الدين ١/٧٢.

الرسالة، ومختَلَف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم»[١]. وقوله ـ عليه السلام ـ في النهج أيضاً: «ان الائمة من قريش، غُرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح علىٰ سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم»[٢]. وكل هذه الكلمات دالة بالصراحة علىٰ ان الخلافة في أمير المؤمنين وذريته ـ عليهم السلام أجمعين ـ

لا يجوز للنبي اِهمال الخلافة

ان مقتضىٰ العقل والنقل عدم جواز اهمال رسول الله ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ أمر الخلافة من بعده، ولا يمكن ان يرتحل الىٰ لقاء الله تعالىٰ قبل أن ينصب وصيه وخليفته، وهو ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ يعلم شدة الخلاف بين الأُمة، بل وتلاعب المنافقين من اصحابه بالشريعة في حياته، فكيف بهم بعد وفاته. وكان ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ يعلم انه سوف يموت وأُناس لم يدخل الايمان في قلوبهم، وعلم ـ بالضرورة من الوحي ـ شقاق بعض اصحابه، ونفاقهم، وارتداد ثلة منهم، وانقلابهم علىٰ أدبارهم.

وأما اِيكال الأمر في اختيار الخليفة الى اصحابه، فانما هو تضييع للشريعة، وايقاع لها ولهم في المفسدة، لان الآراء مختلفة، والرغبات متضاربة، وقد أفصح عن ذلك خلاف الأنصار والمهاجرين يوم السقيفة، وتخلّف أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وبني هاشم ومتابعيهم عن الدخول في البيعة، وما حدث يومئذ من النزاع والخصام. ومن هنا قال عمر ـ بعد السقيفة ـ: «كانت بيعة أبي بكر فلتة وقىٰ الله المسلمين شرها»[٣]. وقال اميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ لما قهره عمر علىٰ البيعة: «اِحلب حلباً لك شطره».[٤]

---

١. نهج البلاغة ١/٢١٥، الخطبة ١٠٣.

٢. نهج البلاغة ٢/٢٧، الخطبة ١٣٧.

٣. صحيح البخاري ٩/١٢٠، كتاب الحدود، باب رجم الحبلىٰ.

٤. الامامة والسياسة / ١١.

وقد عرف عمر ان الاصحاب لا يتفقون فيما بينهم علىٰ رأي واحد، كما في الستة الذين جعلهم من اصحاب الشورىٰ بعده، مع قلة عددهم وثقة الامة بهم، فحكم بالأخذ بجانب الأكثر منهم، ومع التساوي في عدد المختلفين، جعل الترجيح في الجانب الذي فيه عبد الرحمٰن بن عوف، ومع الاِختلاف أمر بضرب عنق المتخلف منهم. وطعن أميرالمؤمنين ـعليه السلام ـ في هذه الشورىٰ بقوله «فيا لله وللشورىٰ... فصغىٰ رجلٌ منهم لضغنه، ومال لآخر الىٰ صهره، مع هنٍ وهن..»[١]. وأخيراً ناقشت الصحابة أعمال عثمان، وانتقدوا تصرفاته، فخلعوه وقتلوه بأنفسهم كما نصبوه بأنفسهم، ثم خرجوا علىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وبغوا عليه باجتهادهم وآرائهم.

وخلاصة لقول: ان أمر الخلافة ما أُحيل الىٰ الآراء والأهواء اِلّا وأوجب مفاسد عظيمة وفتناً كبيرة، لا سيما اذا كانت تلك الآراء مقترنةً باعمال القوة والاِرهاب، مستمدةً من السلطة والشوكة الزمنية، فمن يكون حينئذ حافظاً للدين عن التبديل والتغيير؟ وعلى من تكون التبعة في التضييع والتفويت؟ أعلىٰ الله؟ أم علىٰ رسوله ـصلى الله عليه واله وسلم ـ أم علىٰ الأُمة؟

فان قلتَ: علىٰ الله وعلىٰ رسوله ـصلى الله عليه واله وسلم ـ، فقد لزمك القول بأن تعيين الخليفة والاِمام عليها لا محالة. وان قلتَ: علىٰ الامة، فقد اعترفت بقصورها عن ادراك الحق، ووقوعها في الضلالة، وذلك يسلب الاعتماد عليها في اِناطة اختيار الخليفة اليها، ولذا نجد الامة افترقت بعد النبي ـصلى الله عليه واله وسلم ـ الى ثلاث وسبعين فرقة، كلهم هالكون، وواحدة منها ناجية فقط.

---

١. نهج البلاغة ١/٣٤ ـ ٣٥، الخطبة ٣.



المبحث الرابع

ان الإمامة لطفٌ من الله تعالىٰ[1]

الحق ان الامامة ونصب الامام والحجة لطف من الله تعالىٰ، كما أن بعث الأنـبياء وإرسال الرسل أيضاً من لطف الله جلَّ شأنه ومن فعله وارادته دون سواه، إذ قال تعالىٰ: «ويوم نبعث في كل اُمة شهيدا عليهم من أنفسهم، وجئنا بك شهيداً علىٰ هؤلاء»[2]. وقال تعالى: «ولكل اُمة رسول، فاذا جاء رسولهم، قُضي بينهم بالقسط»[3]. وقال: «اِنما انت منذر،

---

١. المقصود من اللُّطف في هذا المبحث هو ان الله لأجل بيان تكاليفه واحكامه للناس، يعين من يقوم بهذه المهمة، وذلك لان هناك امور يدرك العقل حُسن فعلها او قُبح فعلها، كادراكه حُسن العدل وقبح الظلم. وهناك امور لا يدرك العقل حُسن فعلها او قبح فعلها، لعدم احاطته بكل الجوانب.
والانسان قد يعمل عملاً مخالفاً لما يدركه عقله، فيترك الفعل الحسن ويفعل القبيح بسبب حكومة بعض الغرائز على عقله او ابتغاء المصالح المادية المؤقتة. فاذاعين الله للناس مَنْ يدعوهم ويحثهم علىٰ العمل وفق مُدْركات عقولهم، ويبين لهم الاَفعال الحسنة التي لا يدركها عقولهم (الواجبات الشرعية)، ويبين لهم الافعال القبيحة التي لا تدركها عقولهم (المحرمات الشرعية)، فان هذا يكون لُطفاً وإحساناً وتفضلاً من الله في حق الناس، لأنه عين لهم مَنْ يُرغّبهم في فعل الاعمال الحسنة والاِبتعاد عن الاعمال القبيحة. ومن هنا قيل ان الاحكام الشرعية ألطافٌ في الاحكام او المُدْركات العقلية.

٢. سورة النمل / ٨٩.

٣. سورة يونس / ٤٧.

ولكل قوم هاد»[١] وقال: «ولو أنّا أهلكناهم بعذاب من قَبْله، لقالوا: ربنا لو لا ارسلتَ الينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزىٰ»[٢].

فاقتضت الحكمة الالهية تعيين المنذر والهادي من نبي أو وصي نبي، تقويماً للـنظام التام علىٰ الوجه العام، فلو خلت الارض في مختلف الازمنة عمن يهدي الناس، ويبعثهم الىٰ الطاعة، ويزجرهم عن المعصية والعادات القبيحة والأفـعال الذمـيمة المـوحشة، لزالت العناية الالهية عن الخلق، وانقطع الفيض منه تعالىٰ، وسادت الفوضىٰ، وانتشر الفساد وعمّ البلاء؛ اذ ليست النفوس البشرية بمقتضىٰ جبلتها الأصلية مستغنية عن مصالحها النوعية، وليس لها من الفطنة والذكاء ما يمنعها عن اِرتكاب الرذائل والظلم والعدوان. نعم تعرف مصالحها أحياناً، ولكن الاهواء النفسية والحرص علىٰ جلب المنفعة الشخصية، والرغبات النفسانية يمنعها عن اِتباع تلك المصالح.

ولولا أن النبوة خُتمت بنبينا محمد ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ، لاِقتضت قاعدة اللطف ارسال رسول بعد هذا الرسول ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ، كما يقول تعالى: «ثم ارسلنا رسلنا تترىٰ، كلما جاء امةً رسولها...»[٣]. وبما أن اختتام النبوة من أركان هذا الدين، فالرسالة مرتفعة، والوحي منقطع، غير أن البواعث علىٰ تعيين مَـنْ يـقوم مـقام النـبي ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ في أحكامه وسياساته وسائر ما كان يـقوم بـه، مـوجودة. اذاً فالجهة في بعث النبي ونصب الامام واحدة، ورعاية المصلحة العامة في كلا المـوردين متحدة الىٰ أن يتم دور التكليف الىٰ الأبد.

ولا يخفىٰ ان العدلية ـ من أصحابنا ـ ذهبوا الىٰ ايجاب الألطاف التي مقتضاها بعث الأنبياء، وتعيين الأوصياء والحُجج، وإنزال الكتب السماوية، وايجاب التكـاليف، وبـيان

---

١. سورة طه / ١٣٤.

٢. سورة المؤمنون / ٤٤.

٣. سورة المؤمنون / ٤٤.

الولايات العامة والخاصة.

وأما اهل السنة، فحيث انكروا الحسن والقبح العقليين اللذين هما الأصل، وعليهما المعتمد فيما ذكرناه من الامور، فقد استراحوا من ذلك كله، فتراهم ينكرون أن نصب الإمام [واجب] علىٰ الله تعالىٰ، والأولىٰ بهم أن ينكروا الإمامة من أصلها، لأنها ليست عندهم من اللطف، ولم يكن اللطف واجباً لديهم حتىٰ في بعث الانبياء وارسال الرسل، لتجويزهم العبث علىٰ الله تعالىٰ.

وإلّا فكلٌّ من لا يوافقهم في هذه العقيدة، لا بد له من لقول بأن تعيين الوصي للرسول واجب علىٰ الله تعالىٰ، لانه هو الخبير بالولي الصالح المصلح دون عباده، إذ ربما وقع اختيارهم علىٰ المفسد بزعم انه مصلح، بخلافه تعالىٰ، فانه العالم بالضمائر والمطلع علىٰ السرائر. وبتعيينه تتم مصالح الخلق من بعث نبي، أو جعل وصي، أو إنزال كتاب سماوي، فان جميع ذلك من باب واحد، أعني ايجاب اللطف علىٰ الله تعالىٰ.

قالت الجماعة إن نصب الامام قد يؤدي الىٰ المفسدة من قيام الأُمة عليه، فلا يتم وجوبه علىٰ الله.

قلت: علىٰ هذا لا يجب نصب الامام لا علىٰ الله، ولا علىٰ الامة، فان فيه نفس المفسدة ـ كما تزعمون ـ. نعم علىٰ مذهب الأشاعرة (الذين يجوزون العبث علىٰ الله) لا مانع لديهم عن القول بنصب الامام عليه تعالىٰ، وإن ادىٰ ذلك الىٰ المفسده، اذ لا يرون لزوم اشتمال أحكامه تعالىٰ علىٰ المصلحة، لأنه تعالىٰ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ويجوز له نسخ وجوب الايمان وحرمة الكفر.

قال الفخر الرازي في «التفسير الكبير» ـ آخر سورة المائدة عند قوله تعالى: «إن تعذبهم فانهم عبادك، وان تغفر لهم، فأنك أنت العزيز الحكيم»[1] ـ قال: مذهبنا أنه يجوز من

---

١. سورة المائدة / ١١٨.

الله أن يُدخل الكفار الجنة، وأن يُدخل الزهاد والعُبّاد في النار، لأن المُلْك مُلْكه، والمَلِك يفعل في ملكه ما شاء، ولا اعتراض لأحد عليه. الىٰ ان قال أيضاً: وقوله: «ان الله لا يـغفر أن يشرك به»[١] فنقول: إن غفرانه جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة...[٢]

فعلىٰ هذا المسلك يجوز علىٰ الله تعالىٰ تعيين الوصي المفسد والأمر بطاعته ايـضاً، فضلاً عما يذهب اليه الأشاعرة من أن نصب الامام من الله قد يؤول الىٰ الفساد.

وأمّا علىٰ مذهب العدلية، فلما كان المفروض عندهم ان نصب الإِمام المصلح العام هو لطف من الله تعالىٰ، فليست هنالك مفسدة في فعله تعالىٰ مطلقاً. ولو فرض قيام الأُمة عليه وعدم الرضا به وخروجهم عن طاعته، فان ذلك كقيامهم علىٰ الرسل وقتلهم الانبياء. ومن المعلوم أن وجوب اللطف في إِرسال الرسول ونصب الامام علىٰ حد سواء. مضافاً الى أن وجوب الطاعة من تكاليف الامة، وليس براجع الىٰ الله، والذي علىٰ الله هو تدبير أمر الخلق وتقويم الحق، وقد فعل. ولا يعقل اشتمال خلفاء الله علىٰ أرضه علىٰ شيء من المفاسد بعد فرض عصمتهم، كما سيأتي بيان ذلك.

وأمّا ما حصل من المفاسد والفتن في عهود الانبياء والائمة فسـببه أهـواء الامـة وأغراضهم النفسانية، وليس ذلك من نتائج فعله تعالىٰ. ولا يوجب علىٰ الله تـعالىٰ دفـع المفسدة تكوينياً من هذه الجهة،وانما عليه البـيان وإِقـامة الحـجة، وهـذا يـقتضي دوام الاستخلاف ما دامت هذه النشأة باقية وعناصر العباد غير فانية، فلا محالة يشملهم لطف الله في قربهم الىٰ الطاعة وبعدهم عن المعصية.

---

١. سورة المائدة / ٤٨، ١١٦.

٢. التفسير الكبير ١٢/١٣٦.

المبحث الخامس

نصب الوصي والخليفة من السنن الجارية

ان نصب الوصي وتعيين الخليفة كان في الأُمم الماضية من السنن الجارية المتبعة، ومضت عليها كافة الانبياء، فلا يموت نبي أو يغيب عن الأعين اِلا وينصب من يقوم مقامه ويحفظ شريعته. الا ترىٰ موسى -عليه السلام- استخلف هارون في حياته خوفاً من مفسدي بني اسرائيل أن يفسدوا عليه شرعه كما قال تعالى «وأصلح، ولا تتبع سبيل المفسدين»[1]؟ ثم انه -عليه السلام- أوصىٰ عند وفاته الىٰ يوشع بن نون، ثم هو الىٰ من بعده، الىٰ زمن عيسى -عليه السلام-. وكان لهذا اوصياء متصلون ومنفصلون حتىٰ بعثة رسول الله -صلى الله عليه واله وسلم-، وكذلك كان لآدم -عليه السلام- أوصياء الىٰ زمن نوح -عليه السلام-، ومنه الىٰ ابراهيم، ومنه الىٰ موسىٰ -عليهما السلام-، وهكذا الىٰ خاتم الانبياء -صلى الله عليه واله وسلم-.

فالوصاية سنة الله في عباده، «ولن تجد لسنة الله تبديلا» فسنة النبي -صلى الله عليه واله وسلم- كسنة النبيين (عليهم السلام) من قبله، فيلزمه نصب من يحفظ الدين من بعده، ولا يجعل ذلك الىٰ اختيار الامة كي تنقلب الخلافة الىٰ ملك عضوض.

---

١ . سورة الاعراف / ١٤٢.

لقد كان النبي ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ يستخلف في حياته اذا غاب عن المدينة ولو أياماً قلائل، فكيف لا يستخلف أحداً بعد وفاته مع علمه (صلى الله عليه واله وسلم) باختلاف امته، وبغيهم، وانقلابهم علىٰ الأعقاب لقوله تعالىٰ: «أفإِن مات او قتل، انقلبتم علىٰ أعقابكم»[١]؟ ويعلم ايضاً أن أيادي المنافقين تتلاعب فيهم، فتذهب فائدة البعثة لولا الوصاية والخلافة، فمن المعلوم بالضرورة أن الشريعة الخالدة الأبدية هي أحوج الىٰ الوصي والقيم الديني، فأين الرسول الحكيم ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ من فعل الأنبياء، بل من العقلاء إِنْ خالف دأبهم وسيرتهم؟

أترىٰ رسول الله ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ يترك المصلحة العظمىٰ للأُمة ويترك الناس سُدىٰ؟ أو انه ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ مع اتصاله بالمبدأ الأعلىٰ لا يعرف المصلحة في الوصاية، وعلم بها اصحابه من بعده؟ فتسرعوا الىٰ السقيفة لنصب الخليفة، وتركوا جثمانه ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ، ولم يحضروا جنازته اِذ زعموا أن نصب الامام للرعية الزم للحكمة من حضورهم تجهيز نبيهم ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ، وكذا كان اهتمام الخلفاء بعد النبي بنصب مَنْ بعدهم، أشد منه ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ حيث عهد أبو بكر الىٰ عمر، وأن عمر لما طُعن ولم يستخلف قالت له عائشة: لا تدع امة محمد بلا داع، فاني أخشىٰ عليهم الفتنة. فعرفتْ هي الفتنة بترك الاستخلاف ولم يعرفها النبي ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ الصادع بالحق!؟

كلا، بل النبي اعرف وأحق أن لا تفوته هذه الامور العظيمة من نصب وصية وخليفته.

واعلم ان ما ذكرناه انما هو من باب الاِلزام او الاِرشاد الىٰ الهدىٰ، واِلّا فالشيعة لا تشك أن نبي الحكمة ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ عمل بما وافقه العقل والنقل، وأوضح

---

١. سورة آل عمران / ١٤٤.

سبيل الرشد بإرجاع الامة الىٰ علي ـ عليه السلام ـ باب مدينة علمه، والىٰ الائمة من عترته الطاهرة ـ عليهم السلام ـ، وان أبت عنه النفوس، واعرض عنه المتعصبون، وتركوه كما ترك بنو إسرائيل هارون، ومثل ذلك لا يضر بالحق، قال تعالىٰ: «وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون»[1].

١. سورة الاعراف / ١٨١.

المبحث السادس

فيما تتم به قاعدة اللُّطف

قد اعلمناك أن الغرض من نصَب الامام والخليفة أمرٌ واحد وهو اللطف، أعني المقرِّب الىٰ الطاعة والمبعِّد عن المعصية، وهذه المصلحة لا تتم علىٰ مجرىٰ العادة اِلّا بثلاثة امور هي قوامها:

[معنىٰ وجوب اللطف علىٰ الله]

احدها: ما هو راجع الىٰ الله تعالىٰ، ويكون من فعله جلَّ وعلا، أعني نصب الحجة، فانه واجب عليه عقلاً، كما قرره من الوعد والوعيد، والعتاب والجهل، وجعل الثواب والعقاب والجنة والنار.

والمقصود من الوجوب العقلي هو ادراك العقل قبح التعذيب اذا كان بدون اللطف وبيان التكليف. وقد صرح بذلك في قوله تعالى: «وما كنا معذِّبين حتىٰ نبعث رسولا»[1]. وقوله تعالى: «ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرىٰ بظلمٍ، واهلها غافلون»[2]. وقوله تعالىٰ:

---

١. سورة الإِسراء / ١٥.

٢. سورة الأنعام / ١٣١.

«وما كان الله ليضلّ قوماً بعد اِذ هداهم حتىٰ يبين لم ما يتقون»[١]. وقوله تـعالى: «لا يكلّف الله نفساً اِلّا ما آتاها»[٢]. أي علّمها. الىٰ غير ذلك من الآيات الصريحة في ان الله تعالىٰ لا يعذّب عباده علىٰ شيء لا سبيل لهم الىٰ معرفته، وانه لو منعهم المعرفة، كان ذلك عـلىٰ خلاف المصلحة، ولقامت للناس علىٰ الله الحجة، ويأبىٰ الله اِلّا أن تكون له الحجة البالغة.

وقد ظهر مما ذكرنا من التقريب في قاعدة اللطف بطلان ما ادعـاه عـبد العـزيز الدهلوي ـ صاحب «التحفة الاثنىٰ عشرية» ـ من قوله انه لا ايجاب على الله من عباده ولا ولاية لأحد عليه، بل هو الولي المطلق، لقوله تعالىٰ: «الله ولي الذين آمنوا» وقوله: «انما وليكم الله ورسوله». انتهى.

وقد غفل الرجل عن أن معنىٰ الوجوب العقلي هو ادراك حُسن شيء وقبح شيء آخر، كاِدراك الحسن في رد الوديعة ودفع الظلم وحُسن الاِحسان، وكاِدراك العقل وجوب المعرفة والنظر في المعجزة كيلا يلزم اِفحام الأنبياء. فلا محالة يدرك العقل حُسن شيء من الله تعالىٰ ـ كالوفاء بوعده ـ، أو قبح شيء عليه ـ كخُلف الوعد أو تعذيب من لا يستحق العذاب ـ، ولا نعني بوجوب شيء عليه تعالىٰ حكم غيره، بل وجوب صدوره منه نظراً الىٰ حكمته من بعث الرسل واِنزال الكتب وفرض الأحكام. وهذا نظير قوله تعالىٰ: «كتب ربكم علىٰ نفسه الرحمة»[٣]. وقوله «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة»[٤] وقوله تعالىٰ: «وما انا بـظلّام للعبيد»[٥]. وقوله تعالىٰ: «وما ظلمناهم، ولكن كانوا انفسهم يظلمون»[٦]. فنزّه تعالىٰ شأنه

---

١. سورة البراءة / ١١٥.

٢. سورة الطلاق / ٧.

٣. سورة الانبياء / ٤٧.

٤. سورة الانعام / ٥٤.

٥. سورة ق / ١٨٢.

٦. سورة النحل / ١١٨.

نفسه المقدسة عن الظلم القبيح عند العقل والعقلاء، وأنه تعالىٰ لا يظلم الناس وإنما يؤاخذهم بذنوبهم. وفي الحديث الصحيح عن النبي ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ: قال الله: «ياعبدي ! اني حرمت الظلم علىٰ نفسي». وقال تعالىٰ: «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين»[١]. أوجب نصر المؤمنين على نفسه تعالىٰ، طبقاً لإدراك العقول لزومه، ووفاءاً للوعد في قوله تعالى: «اِن تنصروا الله، ينصركم»[٢].

[القدرة شرطٌ لأداء الامام وظائفه]

ثانيها: ما يجب علىٰ الإمام من القيام بالأمر، وتقويم المصالح الشاملة والنظام العام. وهذا يتوقف علىٰ وجود القدرة، ولا يتحقق مع الضعف والعجز، أو خوف الفتنة، كما حدث لرسول الله ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ في صلح الحديبية، فحينئذ يسقط هذا التكليف عن الامام مع بقائه في منصب الخلافة والامامة. قال الله تعالىٰ: «وان تولوا، فانما عليك البلاغ»[٣]. وقوله تعالىٰ: «فذكر اِن نفعت الذكرىٰ»[٤]. وفي صحيحي البخاري مسلم عن النبي ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ: «لا تزال طائفة من اُمتي علىٰ الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتىٰ تقوم الساعة»[٥]. وبهذا يجاب عن صلح الامام السبط الحسن ـ عليه السلام ـ مع معاوية.

فالواجب علىٰ الامام والحجة الاِلهية من نبي أو وصي بمقتضىٰ قوله تعالىٰ: «ادع الىٰ

١. سورة الروم / ٤٧.

٢. سورة محمد / ٧.

٣. سورة ال عمران / ٢٠.

٤. سورة الأعلىٰ / ٩.

٥. صحيح البخاري ٦/١٢٤ ـ ١٢٥، كتاب الاِعتصام، باب ١٠. مع اختلاف غير مخل بالمقصود. صحيح مسلم ٣/١٥٢٣، كتاب الاِمارة، باب ٥٣. مع إختلاف غير مُخل بالمقصود.

سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»[١]، وهو التبشير والإنذار والوعد والوعيد، «ليهلك من هلك عن بينة»[٢]. فمن مكّنه من الأمة عن نفسه، وأخرج له، واهتدىٰ بهداه، وسِعَه اللطف، «فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله، فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ»[٣].

وأما مَنْ منعه عن التصرف بالأمر والنهي، فقد لزمته الحجة التي هي العلة في اقامة الحجة، ولا يجب علىٰ الله تعالىٰ تمكينه من التصرف بأكثر من المعتاد في الدعوة من التخويف بأُمور سماوية أو غيرها. قال: «وما أنت عليهم بجبار»[٤]. وقال: «لستَ عليهم بمسيطر»[٥]. وقال: «فمن شاء، فليؤمن»[٦]. وقال تعالىٰ: «لا اكراه في الدين، قد تبين الرشدُ من الغي»[٧].

وثالثها: ما يجب علىٰ الأُمةوالرعية من الإنقياد والطاعة وتمكين الامام والخليفة من القيام بوظائفه نحوهم، فاذا عصوه، أو خوّفوه، او نكثوا بيعته، أو منعوه من تصرفاته، سقطت عنه وظيفته. ومع هذا لم يسقط عن الله تعالىٰ البعث والنصب، وقد فعل، لبقاء التكليف، ولقدرة المكلفين علىٰ الطاعة والإمتثال، ولذلك كان جلَّ شأنه يبعث الرسل وينصب الحُجج مع علمه بامتناع الخلق عن الايمان، ومخالفتهم لتلك الرسل. وكان الانبياء ـ عليهم لسلام ـ يتحملون الرسالة والأداء والتبليغ، وان امتنعت الامة عن القبول، عصياناً من عند أنفسهم، لا عن الله ولا عن الرسل والحُجج.

---

١. سورة النحل / ١٢٥.

٢. سورة الانفال / ٤٢.

٣. سورة البقرة / ٢٥٦.

٤. سورة ق / ٤٥.

٥. سورة الغاشية / ٢٢.

٦. سورة الكهف / ٢٩.

٧. سورة البقرة / ٢٥٦.

المبحث السابع

دفع الشبهات عن قاعدة اللطف

يدور المبحث والنزاع بيننا وبين من يخالفنا في الاعتقاد في قاعدة اللطف في نصب الامام حول الوجوه التالية:

الوجه الأول: قولهم: ان الدين قد كمل في عهد النبي ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ لقوله تعالى «اليوم أكملتُ لكم دينكم»[1]. فلا لطف حينئذ اِلّا في بعث النبي، وهو امام معصوم وطاعته واجبة الىٰ يوم القيامة، وقد ختمت به النبوة، فلا وحي بعده. وأمّا التبشير والاِنذار، فعلىٰ الصحابة والتابعين الىٰ آخر الدهر فيما استنبطوه من محكم القران والسنة. وأمّا تنظيم امور الامة، فعلىٰ الرؤساء والخلفاء، فهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله. قال الله تعالىٰ: «اطيعوا الله، واطيعوا الرسول، واولي الأمر منكم»[2].

اقول: اذا كان الدين قد كمل في عهد النبي ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ، فلماذا كان ابو بكر يبني حكمه علىٰ رأيه عندما كانت تعوزه النصوص؟ ففي «الدر المنثور» ـ للسيوطي، في تفسير الكلالة ـ انه سئل أبو بكر عنها، فقال: اني اقول فيها برأيي، فان كان صواباً،

---

١. سورة المائدة / ٣.

٢. سورة النساء / ٥٩.

فمن الله، وإن كان خطأ، فمنّي ومن الشيطان»[١].

وفي «كنز العمال» ـ في باب خلافة أبي بكر من كتاب الإمارة ـ، وفي «تاريخ الخلفاء» للسيوطي» ـ: ان ابا بكر اذا ورد عليه الخصم، نظر في كتاب الله، فان وجد فيه ما يقضي به، وإلّا رجع الىٰ السُّنة، فإنْ أعياه خرج يسأل المسلمين، فان علموه واخبروه قضىٰ بذلك، فان أعياه جَمَع رؤوس الناس وخيارهم، فان اجتمع رأيهم علىٰ أمرٍ قضىٰ به[٢]. انتهىٰ.

وهذا يكشف عن نقصان الدين عندهم، حيث قضوا فيه بالرأي.

وكما عمل عمر أيضاً برأيه في كثير من المسائل، مثل إسقاطه «حيَّ علىٰ خيرالعمل»[من الأذان][٣]، وتحريمه متعة النساء والحج[٤]. فكل ذلك يدل علىٰ فقد النصوص ونقصانها عند القوم.

ومما اتفقت الجماعة علىٰ فقد النص فيه ـ خلافاً للشيعة ـ هي مسألة الإمامة والخلافة، مع انها من اعظم المسائل المهمة واهم الأُمور الخطيرة. فكيف لم يرد في وجوبها عموماً وخصوصاً نص من الشارع الكريم، كما ورد في وجوب الصلاة والزكاة؟

اليس ذلك دليلاً علىٰ ان الدين عندهم كان ناقصاً في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ؟

---

١. الدر المنثور ٢/٢٥٩.

٢. تاريخ الخلفاء / ٤٢.

٣. ميزان الاعتدال ١/١٣٩، سنن البيهقي ١/٥٢٤ ـ ٥٢٥.

٤. أحكام القران ١/٣٤٢، ٣٤٥. البيان والتبيين ٢/٢٢٣. صحيح البخاري ٣٢/١٧٦، كتاب الحج، باب التمتع. مسند أحمد ٣/٣٥٦، ٣٦٣ . كنز العمال ١٦/٥١٩ ـ ٥٢٣، الأحاديث: ٤٥٧١٥، ٤٥٧٢٠ـ٤٥٧٢٦، ٤٥٧٣٠، ٤٥٧٣.

وفي «كنز لعمال» ١٦/٥١٩ إن عمر قال: «متعتان كانتا علىٰ عهد رسول الله، انهىٰ عنهما وأُعاقب عليهما: متعة النساء ومتعة الحج». ويمكن مراجعة نصوص وجود وحلية المتعتين في زمن رسول الله وأبي بكر، ونصوص منع عمر عنهما في كل من: الغدير في الكتاب والسنة ٦/١٩٨ ـ ٢١٣، النص والاجتهاد / ١٩٤ ـ ٢١٧ (الطبعة المحققة)، المتعة بين الإباحة والتحريم.

أمّا الشيعة فهم في متسع من هذه المشاكل، فهم مجمعون علىٰ ان الدين قد كَمُل في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ بنصبه علياً (عليه السلام) يوم الغدير خليفةً واماماً بعده.

وقد نص علىٰ نزول آية «اليوم أكملتُ لكم دينكم...»[١] في علي ـ عليه السلام ـ يوم [الغدير] كثير من الحفّاظ والمفسرين وأرباب المسانيد، منهم السيوطي في «الدر المنثور» قال: أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن ابي سعيد الخدري قال: لمّا نصب رسول الله ـ ص ـ علياً يوم غدير خُم، فنادىٰ له بالولاية، هبط جبرئيل عليه بهذه الآية: «اليوم أكملتُ لكم دينكم»[٢]. انتهىٰ.

والحديث أيضاً أخرجه: الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»[٣]، والخطيب الخوارزمي في «المناقب»، وابن كثير الدمشقي في تفسيره وفي «البداية والنهاية»، وسبط ابن الجوزي في «تذكرة خواص الامة»[٤]، وأبو نعيم الاصفهاني في كتابه «نزول القران في علي»[٥] والشيخ شهاب الدين أحمد في «توضيح الدلائل»[٦]، والحمويني في «فرائد السمطين» الباب الثاني عشر[٧]، مصرحين جميعهم بنزول الآية في علي ـ عليه السلام ـ عندما نصبه النبي (صلىٰ الله عليه واله وسلم) ولياً في الناس يوم غدير خم.

فعلىٰ هذا قد بلَّغ ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ لأُمته جميع ما يحتاجون اليه في مبدئهم

---

١. سورة المائدة / ٣.

٢. الدر المنثور ٢/٢٥٩.

٣. تاريخ بغداد ٨/٢٩٠.

٤. تذكرة خواص الامة / ٣٠.

٥. المصدر مخطوط.

٦. المصدر خطوط.

٧. فرائد السمطين ١/٧٢ ـ ٧٤.

ومعادهم، ومنها نصبه الخلفاء من بعده ـ علىٰ ما سيأتي بيانه ـ، وبذلك قد كمل الدين وتمت النعمة وحصل اللطف. فكيف يزعم المدعي أن لا لطف بعد إكمال الدين اصلاً وفرعاً، غافلاً عن ان نصب علي ـ عليه السلام ـ خليفة علىٰ المسلمين أوجب إكمال الدين وتمام النعمة؟

ثم ان الدين وإن كمل علىٰ عهد رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ، قد بقي حفظه عن التغيير والتبديل، واقامة حدوده. وذلك منوط بالوصي ؛ للعلم الضروري بوجوب وجوده، فإن الشريعة الخالدة الباقية تفتقر الىٰ من يحفظها ويرعاها. فالنبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ هو الأصل الذي صدرت منه الشريعة، والوصي هو الركن الذي تعتمد عليه في بقائها وصيانتها وحفظها، فلو كان الدين علىٰ كمالة محفوظاً، لما أوجب القران طاعة أُولي الأمر مقرونة بطاعة الله وطاعة رسوله. فاتضح ان وجوب طاعة اولي الأمر، لطف ايضاً، ومن هنا صرح ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية».

ولولا احتياج الناس الىٰ الامام والوصي، لما اكد النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ علىٰ نصب الخليفة من بعده، وأصرَّ عليه حتىٰ اشتد به المرض وقال «ائتوني بدواة وقرطاس لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبدا»[1] وسيأتي البحث الذي نثبت فيه ان المقصود من الكتابة كان العهد لعلي ـ عليه السلام ـ بالخلافة. وذهبت البكرية الىٰ ان غاية الكتابة كانت لأبي بكر.

وعلىٰ أي حال، فالفريقان متفقان علىٰ ان الكتابة كانت لتعيين الخليفة، وان النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ لم يرض أن يفارق أُمته، ولم يكن بعده من يقوم مقامه، علماً منه ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ بأن بقاء الدين وخلوده منوط بوجود من يحفظه قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل. فالامام هو الحافظ للدين عن الاندراس، والناس يحتاجون اليه في كل زمان.

١. صحيح البخاري ٤، ٨٥ كتاب الجهاد، باب جوائز الوفد. و٦/ ١١ ـ ١٢ كتاب المغازي، باب مرض النبي. مسند احمد ١/ ٢٩٣.

علىٰ أننا لو نظرنا الىٰ الشرائع السالفة، لوجدنا أنها مع كمالها وإتمامها علىٰ عهد أربابها ورسلها، ولكنها كانت بحاجة الىٰ نصب من يحفظها ويصون تلك الكتب السماوية المنزلة من التحريف والزيادة والنقصان، إذ جعلت أممهم «يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون هذا من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً»[١]. وذلك عند ضعف الأنبياء وقلة نفوذهم ومقاومتهم للمعاندين والجبابرة، ولدسائس المنافقين.

فهذا موسىٰ ـ عليه السلام ـ مع ما كان له من القوة والبطش، وكان له في قومه اثنا عشر نقيباً، فغاب عنهم، وجعل أخاه خليفة عليهم، فضلوا واضلوا كثيراً بعبادة العجل وغير ذلك. وكان لبني اسرائيل مع وجود نبيهم ـ عليه السلام ـ مخالفات عظيمة، كقولهم لموسىٰ ـ عليه السلام ـ: «أرنا الله جهرة»[٢]، وقولهم: «فاذهب أنت وربك فقاتلا ..»[٣]، وقولهم: «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة»[٤]، وكتحريفهم التوراة بعد نبيهم ـ عليه السلام ـ. وكذلك عيسى ـ عليه السلام ـ مع قوله: «فلما احسَّ عيسىٰ منهم الكفر، قال: من انصاري الىٰ الله»[٥]؟

وأمثال هؤلاء كثيرون في اصحاب رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ أيضاً، وقد أخبر النبي بذلك في قوله ـ كما في الصحيحين وغيرهما ـ: «ولَتَتبعُنَّ سَنَنَ مَنْ كان قبلكم»[٦]. وقوله لأصحابه: «انتم أشبه الأمم ببني اسرائيل، غير أني ما أدري أتعبدون العجل ام لا».

---

١. سورة النساء / ٤٦.

٢. سورة النساء / ١٥٣.

٣. سورة المائدة / ٢٤.

٤. سورة الأعراف / ١٣٨.

٥. سورة آل عمران / ٥٢.

٦. صحيح البخاري ٩/١٢٦، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ١٤.

صحيح مسلم ٤/٢٠٤٥، كتاب العلم، باب ٣.

وفي «صحيح مسلم»: عن الخدري قال: قال النبي ـص ـ: «لَتَتَبعنَّ سَنَن من كان قبلكم شِبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتىٰ [لو][1] دخلوا جُحر ضبٍّ، لا تبعتموهم». قلنا يا رسول الله ! اليهود والنصارىٰ؟ قال: «فمن»[2] انتهىٰ.

فمع هذا كيف يجوز للنبي ـصلىٰ الله عليه واله وسلم ـ أن يهمل أمر أُمته ولا ينصب فيهم من يقيم اعوجاجهم، وهو يعلم انهم سوف يتبعون بني اسرائيل في ظلاهم؟

الوجه الثاني ـ من التشكيك في قاعدة اللطف ـ: ما قاله ابن تيمية في «منهاج السنة» (عند قول العلامة الحلي ـاعلى الله مقامه ـ: «ان الامام يجب ان يكون حافظاً للشرع، لانقطاع الوحي بموت النبي ـصلىٰ الله عليه واله وسلم ـ وعدم وفاء القران بجميع الأحكام وتفاصيلها...») قال ما محصله: لا يجب أن يكون الامام حافظاً للشرع، بل الامة حافظة، وحفظ الشرع بمجموعهم أولىٰ من الحفظ بنقل واحد منهم، فالصحابة الذين حفظوا القران والحديث وبلّغوه، هم الذين حصل بهم حفظ الشرع وتبليغه. فالحفظ والبلاغ ثابت لكل طائفة بحسب ما حملته من الشرع، فالقُرّاء معصومون في حفظ القران وتبليغه، والمحدّثون معصومون في حفظ الحديث وتبليغه، والفقهاء معصومون في فهم الأدلة والاستدلال بها في الأحكام. وقال: «لا نسلم ان الحاجة داعية الىٰ نصب امام معصوم، لأن عصمة الأُمة مغنية عن عصمته.... فلا يمكن أحد [منهم][3] أن يبدل شيئاً من الدين...»[4]. انتهى

أقول: ان الرجل أسرف في ادعائه الباطل وإلقائه القول علىٰ عواهنه في زعمه أن الامة معصومة عن الخطأ مع تظافر الأدلة علىٰ خلاف ذلك، ألم يبلغه الحديث المتواتر عن قوله ـصلىٰ الله عليه واله وسلم ـ: «ستفترق أُمتي الىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار

---

١. الزيادة من المصدر.

٢. صحيح مسلم ٤/٢٠٥٤، كتاب العلم، باب ٣.

٣. الزيادة من المصدر.

٤. منهاج السنة ٣/٢٧٠، ٢٧٢.

إلّا واحدة»؟ فهل جاءت الفرقة والهلكة الا من هؤلاء الحفظة والمحدثين الذين زعم الرجل انهم معصومون؟ أوَ لم يبلغه قوله ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ «لقد كثرت عليَّ الكذّابة»؟ فمن هؤلاء الكذابة غير المحدثين الذين ألصق بهم الرجل العصمة؟

ألم يعلم بأن في الصحابة من هو المنافق والجاهل والفاسق والمرتد والطاغي والباغي والكاذب والمخطيء؟ كل ذلك بنص القران الكريم وصريح كلام النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ، فكيف يتصف بالعصمة مَن كان هكذا؟ ففي الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ قال: «أنا فَرَطكم علىٰ الحوض، ولُيرفعنَّ إليَّ رجال منكم، حتىٰ اذا هويتُ لاناولهم، أُخْتُلجوا دوني، فأقول: أي رب! أصحابي. فيقال: انك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[١].

وفي «كنز العمال» ـ في باب فتن الاصحاب من كتاب الفتن ـ: عن النبي (ص) قال: «تكون بين اصحابي فتنة... إن اقتدىٰ بهم قوم [من بعدهم][٢]، كبَّهم الله في نارجهنم»[٣].

فالايات والاحاديث في انقلاب الاصحاب كثيرة. وسيأتي ان شاء الله في كتابنا باب أفردناه لهذا الغرض[٤].

فدعوىٰ ابن تيمية وأتباعه عصمة الصحابة، دعوىٰ باطلة، كدعواه عصمة العلماء في ارائهم، ففي «صحيح مسلم»، عن النبي ـ ص ـ يقول: «ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتىٰ اذا لم يترك عالماً، اتخذ الناس

---

١. صحيح البخاري ٩/٥٨، كتاب الفتن، باب ١. صحيح مسلم ٤/١٧٩٦، ١٨٠٠، كتاب الفضائل، باب ٩. واللفظ للأول.

٢. الزيادة من المصدر.

٣. كنز العمال ١١/١٩٧.

٤. وتقدم ايضاً شيء من ذلك في الجزء الأول / ١٤٥ ـ ١٥١ من هذا الكتاب.

رؤساً جُهّالاً، فَسُئلوا، فأتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا...»[١].

وفي «الدر المنثور» ـ عند قوله تعالى: «ان الذين اتقوا اِذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا» ـ قال: أخرج الحكيم الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: أتاني رسول الله ـص ـ، وأنا أعرف الحزن في وجهه، فأخذ بلحيتي فقال: اِنا لله وانا اليه راجعون، أتاني جبرئيل أنفاً وقال: انا لله وانا اليه راجعون. قلت: أجل! فانا لله وانا اليه راجعون، فمم ذاك يا جبرئيل !؟ فقال: ان اُمتك مفتَتَنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير. قلت كفرٌ أو فتنة ضلالة؟ قال: كل ذلك سيكون. قلت: ومن اين ذاك وأنا تارك فيهم كتاب الله؟ قال: بكتاب الله يضلون، وأول ذلك من قبل قُرائهم واُمرائهم، يمنع الأمراء الناس حقوقهم، فلا يعطونها، ويتبع القراء أهواء الأُمراء، فيمدونهم في الغي ثم لا يقصرون..[٢]

اقول: ولقد كان لعمر نفسه سهم كبير في اِضلال الاُمة وبث التفرقة بينهم وايقاع الحيرة فيهم، وذلك بنسبته قول الهُجر الىٰ النبي ـصلىٰ الله عليه واله وسلم ـ ساعة وفاته، حين اشتد به المرض ـصلىٰ الله عليه واله وسلم ـ فقال: «ائتوني بدواة وقرطاس لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا ابدا». فقال عمر: ماله؟ أهجر؟ صرح بذلك ابن تيمية في منهاجه[٣]، والبخاري في باب كتابة العلم[٤]، وباب كراهية الخلافة[٥]، وباب قول المريض: قوموا عني»[٦]، من قول عمر ان النبي قد غلب عليه الوجع.

ومن حديث البخاري ـ في باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد ـ: فتنازعوا، ولا

---

١. صحيح مسلم ٤/٢٠٥٨، كتاب العلم، باب ٥.

٢. الدر المنثور ٣/١٥٥.

٣. منهاج السنة ٣/٢١٢.

٤. صحيح البخاري ١/٣٩، كتاب العلم، باب كتابة العلم.

٥. صحيح البخاري ٩/١٣٧، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهية الخلاف.

٦. صحيح البخاري ٧/١٥٥ ـ ١٥٦، كتاب الطب، باب قول المريض قوموا عني.

ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله[١]. ومن حديثه ـ في باب اخراج اليهود من جزيرة العرب ـ من قولهم: ماله؟ أهجر؟ استفهموه[٢]. ونحوه حديث مسلم في صحيحه[٣]، واحمد بن حنبل في «المسند»[٤].

ومن حديث مسلم أيضاً ـ في كتاب الوصية، واحمد في «المسند»: قالوا: ان رسول الله يهجر[٥].

وبالجملة فان عمر وأتباعه يومئذ حالوا بين رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ وبين كتابه ذاك الرافع للضلال عن الامة الىٰ الابد، فأوقعوا الامة في هذه الفتن العمياء الىٰ يوم القيامة. ولعل مقصود النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ من كلامه هذا مع عمر كان لاِتمام الحجة عليه لعلمه بما سوف يعمله هو واصحابه في المستقبل.

علىٰ ان النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ لم يدع باباً للفتنة اِلّا سدها، ولم يقصر في هداية امته وارشادهم الىٰ ما يمنعهم من الضلالة والفتنة، وذلك بأمره اياهم بالتمسك بالكتاب والعترة، فقال: «علي مع القرآن، والقرآن مع علي». رواه الحاكم في «المستدرك»[٦].

وفي «الصواعق المحرقة» لابن حجر ـ في ذيل الحديث الأربعين من أحاديث فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، قائلاً ـ: وفي رواية انه (ص) قال في مرض موته: «أيُّها الناس!

---

١. صحيح البخاري ٤/٨٥ كتاب الجهاد، باب هل يستشفع الى اهل الذمة.

٢. صحيح البخاري ٤/١٢٠ ـ ١٢١، كتاب الجهاد، باب اخراج اليهود من جزيرة العرب.

٣. صحيح مسلم ٣/١٢٥٧، كتاب الوصية، باب ٥.

٤. مسند احمد بن حنبل ١/٢٢٢.

٥. صحيح مسلم ٣/١٢٥٨، كتاب الوصية، باب ٥. مسند احمد ١/٣٥٥.

٦. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٢٤.

يوشك أن أقبض سريعاً، فيُنطلق بي، وقد قدمت اليكم [القول][١] معذرة اليكم. ألا اني مخلّف فيكم كتاب ربي عزوجل وعترتي اهل بيتي». ثم أخذ بيد علي، فرفعها، فقال: «هذا علي مع القران، والقران مع علي، لا يفترقان حتىٰ يردا عليَّ الحوض، فأسألهما ما خلّفتُ فيهما»[٢].

مضافاً الىٰ أن حديث الثقلين، وهو قوله ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ: «اني مخلِّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما اِن تمسكتم بهما، لن تضلوا أبدا. وانهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض». رواه احمد بن حنبل في «المسند» من طرق متعددة[٣]، والحاكم في «المستدرك»[٤]، وأبو نعيم في «حلية الاولياء»[٥]، وابن حجر في صواعقه[٦]، والسيوطي في «الجامع الصغير» ـ حرف الألف بعده النون[٧]، وفي «الدر المنثور»[٨].

[الوجه الثالث]: قول عمر «حسبنا[٩] كتاب الله». من الوجوه تستدل بها الجماعة لمذهبهم ـ وهو عدم احتياج الناس الىٰ نصب الامام ـ هو قول عمر: «حسبنا كتاب الله»، وذلك عندما اراد النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ ان يكتب في مرض وفاته الكتاب الذي لا يضلون بعده ابدا، كما مرَّ عليك حديثه قبل قليل.

فنقول: إن الاكتفاء بكتاب الله تعالى انما يكون بدلالة السنة من كلام النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ او المعصومين من اوصيائه (عليهم السلام)، واِلّا فُعمر هو القائل:

١. الزيادة من المصدر.
٢. الصواعق المحرقة / ٧٥.
٣. المسند ٥/١٨٢، ١٨٩ ـ ١٩٠. ٣/١٤، ٢٦، ٥٩.
٤. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٠٩، ٥٣٣.
٥. حلية الأولياء ١/٣٥٥.
٦. الصواعق المحرقة / ٨٩.
٧. الجامع الصغير ١/١٠٤.
٨. الدر المنثور ٢/٦٠.
٩. حسبنا: يكفينا.

ثلاث يهدمن الدين: زلّة العالِم، وجدال المنافق بالقران، وائمة مضِلُّون». انتهى. فالجدال بالقران مما يهدم الدين اِنّ لم يقترن بمعرفة تأويله عن الله وعن الراسخين في العلم.

ومن هنا كان الذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابهت من الآيات، ويقولون: نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ثم تراهم يحتجون علىٰ باطلهم بآيات ظاهرها التجسيم في الله والتشبيه والرؤية واثبات الجهة والقول بالتركيب... الى اخره. ويحتجّ كل من الجبرية والمفوضة والمعتزلة والأشاعرة علىٰ خصومهم بالقران انتصاراً لمذاهبهم، مع ما فيها من الاختلاف والمناقضة فيما بينها.

فعن عبدالله بن عمر: اِن الحرورية[1] شرار خلق الله» وانهم يركنون الىٰ آيات القرآن نزلت في الكفار فجعلوها علىٰ المؤمنين. فكانت الخوارج اعظم فتنة علىٰ الأُمة الاسلامية، لأنهم جادلوا علياً ـ عليه السلام ـ بالقران، وحكموا علىٰ العاصي بالكفر والخلود في النار بالقران.

واحتجت القَدرية ايضاً بالقران، وكذلك سائر طوائف المسلمين ممن قال بقِدَم القران او قال بحدوثه.

حتىٰ ان معاوية رأس الفئة الباغية طلب من أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ التحاكم الىٰ القران، وهو الذي حرَّف الحديث المتواتر عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ: يا عمار! «تقتلك الفئة الباغية»[2] بتأويله أن علياً ـ عليه السلام ـ قاتِلُ عمار، اِذ جاء به الى الحرب[3].

---

١. الحرورية: طائفة ذات تطرف اكثر من الخوارج.

٢. صحيح مسلم ٤/٢٢٣٦، كتاب الفتن، باب ١٨. وقد وصف الذهبي هذا الحديث بأنه متواتر (سير اعلام النبلاء ١/٤٢١) وكذلك وصفه ابن حجر (الاصابة ٢/٥١٢)؛ وقال عنه ابن كثير: الصحيح المتفق عليه (المختصر في اخبار البشر ١/١٧٦)، وصفه ابن عبد ربه بأنه اصح الاحاديث وانه متواتر (الاستيعاب ٢/٤٣٦)، وروي عن احد وثلاثين صحابياً في كتاب نظم المتناثر في الحديث المتواتر/١٢٦.

٣. مناقب علي بن أبي طالب ـ للخوارزمي ـ / ١٦٠.

ويقول الله تعالىٰ: «ما يجادلُ في آيات الله اِلا الذين كفروا»[١]. وفي «الميزان» ـ للشعراني ـ: عن عمر قال: «سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القران، فخذوهم بالسُّنن، فاِن اصحاب السُّنن اعلم بكتاب الله».

فاتضح من هذا أن القران لا يغني عن علم النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ، واِلّا اتخذه المبطلون سبيلاً الىٰ اباطيلهم، وان كتاب الله يجب ان يقترن بسنة رسوله ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ اتباعاً لقوله ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ: «اِني مُخَلِّفٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي» الذي مرّ عليك .

في الحديث عن ابي عبيد، عن ابراهيم التيمي قال: خلا عمر بن الخطاب ذات يوم، فجعل يحدِّثُ نفسه: كيف تختلف هذه الأُمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة؟ فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين! إنّا أُنزل علينا القران، فقرأناه وعلمنا فيم نُزل، وانه سيكون بعدُ اقوام يقرؤن القران ولا يدرون فيم نزل، فيكون لهم رأي فيه اختلفوا، فاذا اختلفوا اقتتلوا. ولمّا عرف عمر قول ابن عباس اعجبه ورآه انه صحيح.

فقول الجماعة: ان النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ هو الامام المعصوم، وانما الناس محتاجون اليه، فهو الحجة والشاهد على الأمة، والعلماء ينوبون في حفظ دينه ونشر شريعته، هذا القول فيه نظرٌ، لان الأمة تحتاج الىٰ النبي ما دام علىٰ قيد الحياة، فاذا توفي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ، كان احتياج الناس الى شخص مثله يقوم مقامه في التبليغ والاداء من الأمن عن الخطأ. فالناس في جميع ادوار التكليف يحتاجون الىٰ قيِّم ديني من نبي أو وصي نبي معصومٍ عن الخطأ، يحثّ الخلق علىٰ طاعة الله من غير اِلجاء ولا اِضطرار. فوجوده لطف.

ومن هنا وجب القول بالامامة في هذه الامة بعد انقطاع الوحي، اِذ الامام هو

---

١ . سورة غافر / ٤.

المترجم للقران والمبيِّن لحلاله وحرامه، فلا يكفي القران وحده لولا المترجم، فظهر بذلك بطلان قول القائل: «حسبنا كتاب الله»[١].

[الوجه الرابع]: حصرهم اللطف في الامام الحاضر القاهر. قال ابن تيمية في مواضع من كتابه «منهاج السنة»: ان مقتضىٰ وجوب نصب الخليفة هو عدم جواز غيبته وانقطاع فيضه، فلا لطف مع استتاره وعدم اِمكان الوصول اليه، علىٰ ان اللازم من مذهب الشيعة عدم الخلاف بينهم، لوجود ائمتهم واتصال سلسلتهم، مع ان علياً ـ وهو اول الخلفاء عندهم، ومنصوب من الله لديهم ـ قد وقع الخلاف بين المسلمين فيه، فمنهم مَنْ خرجوا عليه، وقامت حروب، وجرت فتن عظيمة. فأين اللطف في نصبه ونصب الائمة من ذريته؟[٢]

وقال في المنهاج: قول الشيعي « ان الله خلق اولياء معصومين، أمكنهم وأعطاهم الىٰ اخره»[٣] اِن أراد ان الله نصبهم ومكنهم وأعطاهم القدرة علىٰ سياسة الناس حتىٰ ينتفع

---

١. عمر نفسه لم يكن مؤمناً بقوله هذا، وانما اراد منع وصول الحكومة الى الامام علي، لأن القران اِذا كان بمجرده كافياً، فلماذا كان هو وابو بكر يسألان الصحابة عن الامور التي كانوا يُسألون عنها ؟ لماذا كانا يراجعان الامام علي في المعضلات العلمية المذكور بعض احكامها في القران ؟ ولماذا كان عمر نفسه يرجع الى الامام علي لتحصيل الاجابة علىٰ الاسئلة الشرعية التي ورد حكمها في القران، حتىٰ قال «لولا علي لهلك عمر» عشرات المرات، ولماذا لم يراجع هو وابوبكر القران؟ ولماذا افتىٰ مرات كثيرة علىٰ خلاف نص القران؟ وفي مرة منها نبهته امرأة علىٰ ذلك، فقال «كل الناس أفقه من عمر حتىٰ المخدرات في الحجال»؟ ان قوله «حسبنا كتاب الله» لم يكن عن قناعة وايمان بذلك، بل كان تبريراً لمنع كتابة النبي التي كانت تمنع من وصوله الىٰ الحكم. وهناك ادلة تاريخية تثبت ان عمر شرط علىٰ ابي بكر ان يدعو الى خلافته بشرط ان يستقيل ابو بكر بعد سنة لصالحه، وان ابا بكر قَبِلَ منه الشرط لكنه لم يستقيل بعد سنة، وخاصمه عمر في ذلك مرات عديدة، وهدده اخيراً بالقتل.

٢. منهاج السنة ١/٢٠ ـ ٢١.

٣. في المصدر: «ان الله نصب اولياء معصومين لئلا يخلي الله العالم من لطفه ورحمته. ان اراد بقوله انه نصب اولياءه، انه مكّنهم واعطاهم القدرة علىٰ ...».

الناس بسياستهم، فهذا كذبٌ، وهم لا يقولون ذلك، بل يقولون: ان الائمة مقهورون، ليس لهم سلطان، ويعلمون ان الله لم يمكّنهم ولم يؤتهم ملكا كما اتىٰ المؤمنين، بل ولا كما اتىٰ الكفار والفُجّار، فلم يحصل بنصبهم لطف في العالم، ولا مصلحة ولا رحمة، وانما حصل تكذيب الناس لهم[1].

وقال في منهاجه: قولكم «لا بد من نصب امام معصوم يصدهم عن الظلم والتعدي ويمنعهم عن التغالب والقهر» اتريدون انه لا بد أن يخلق الله ويقيم مَنْ يكون متصفاً بهذه الصفات، ام يجب علىٰ الناس ان يبايعوا من يكون كذلك؟ فان اردتم الأول، فالله لم يخلق احداً متصفاً بهذه الصفات، فان غاية ما عندكم ان تقولوا: اِن علياً كان معصوماً، لكن الله لم يؤيده بنفسه ولا بُجندٍ خلقهم له حتىٰ يفعل ما ذكرتموه، بل انتم تقولون: انه كان عاجزاً مقهوراً مظلوماً في زمن الثلاثة، ولمّا صار له جندٌ، قام جند آخر قاتلوه، حتىٰ لم يتمكن ان يفعل ما فعل الذين كانوا قبله، الذين هم عندكم ظَلَمَه، فيكون الله قد أيَّد [اولئك][2] الذين كانوا قبله حتىٰ تمكنوا من فعل ما فعلوه من المصالح. ولم يؤيده حتىٰ يفعل ذلك، وحينئذ فما خلق الله هذا المعصوم المؤيد الذي اقترحتموه علىٰ الله»؟

الىٰ ان قال: «وإنْ قلتم: ان الناس يجب عليهم ان يبايعوه، ويعينوه. قلنا: أيضاً فالناس لم يفعلوا ذلك، سواء كانوا مطيعين أم عاصين وعلىٰ كل تقدير فما حصل من المعصومين عندكم تأييدٌ لا من الله ولا من الناس».

الىٰ ان قال: «اِنّ الصدَّ عن الظلم وايصال الحق الى المظلوم فرعٌ علىٰ منع الظلم عن نفسه واستيفاء حقه، فإنْ كان عاجزاً مقهوراً، لا يمكن دفع الظلم عن نفسه ولا استيفاء حقه من ولايةٍ او مال، ولا حق اِمرأته من ميراثها، فأي ظلم يُدفع؟ وأي حقٍ يوصَل»؟

ثم قال: «فمن أين يُعلم انه يجب علىٰ الله ان يخلق اِماماً معصوما؟ وهو انما يخلقه

---

١. منهاج السنة ١/٣٢.

٢. الزيادة من المصدر.

ليحصل به مصالح عباده، وقد خلقه عاجزاً لا يقدر علىٰ تلك المصالح، بل حصل بوجوده الفساد، فلو لم يخلق [هذا المعصوم][١]، لم يكن يجري في الدنيا من الشر اكثر مما جرى...»[٢].
الى اخر ما تخرّص به.

فأقول: ان ما ذكره بطوله وتكرير عبارته كان اقصىٰ ما بذله من التحامل علىٰ أمير المؤمنين والائمة الطاهرين من ذريته ـ عليهم السلام ـ بما لا مزيد عليه، وسنجيب عن ذلك كله بنحوين من الإجمال والتفصيل.

اما مجمل الجواب لمن يعرف معنى اللطف في بعث الأنبياء والرسل وسنّ الشرائع وإنزال الكتب، فهو ان المسلمين قد اجمعوا على ان بعث الأنبياء لطف ورحمة ومشتمل على الحكمة، فهل يصح أن يقال: ليس في بعث نوح ـ عليه السلام ـ مصلحة غير تمرد قومه وهلاكهم بدعائه «رب! لا تذر علىٰ الأرض من الكافرين ديّارا»[٣]. وكذلك ليس في إرسال هود ـ عليه السلام ـ وصالح ـ عليه السلام ـ الى عاد وثَمود غير هلاكهم بالصاعقة والريح. ونحوهم قوم لوط ـ عليه السلام ـ واصحاب مَدْين ونظراؤهم ممن عصوا وخالفوا انبياءهم، فأُهلكوا عن اَخرهم، مع ان البعث انما هو لغرض الهداية، لا لأجل الإهلاك والتعذيب.

وهذا موسىٰ ـ عليه السلام ـ استخلف اخاه من الله في قومه، فلم يحصل من استخلافه فيهم إلّا شدة الفساد وعبادتهم العجل، ولم يحصل لهارون الغرض من نصبه وتعيينه، وكذا في سائر الأنبياء الذين بعثهم الله الىٰ الأُمم الماضية، إذ لم يقع في العالم من الشر اكثر مما وقع في هؤلاء الامم.

وهل تمكن يحيىٰ وعيسىٰ ـ عليهما السلام ـ وغيرهما من الأنبياء أن يدفعوا الشرَّ عن انفسهم حتىٰ يمكنهم ايصال الحق الىٰ اهله ودفع الظلم عن المظلومين، كما اشترطه ابن

---

١. الزيادة من المصدر.
٢. منهاج السنة ١/٢٥٠ ـ ٢٥١، ٢٥٣.
٣. سورة نوح / ٢٦.

تيمية؟ وكل ذلك لم يقع، فهل يتوهم أحدٌ أن ذلك من نقض الغرض للحكيم سبحانه؟

ومن ضرورة الاديان ان الغرض من بعث الرسل هو هداية الخلق وجلبهم الىٰ الطاعة، ومع ذلك ترىٰ تمردهم بالكفر والعصيان، ولم يزعم احد أن ذلك نقضٌ لغرض الحكيم. فكيف يتحامل ابن تيمية علىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ استجابة لبغضه وعداوته له ـ عليه السلام ـ بأنه لم يقع في خلافته الا الشر؟ وما هو اِلّا الخير، ليميز الله به الخبيث من الطيب. وقد اخبره النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ بقوله: «يا علي! إنك تقاتلُ الناسَ علىٰ التأويل، كما كنتُ اقاتلهم علىٰ التنزيل»[١]. وقال ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ: «يا علي! أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ»[٢]. فلا يضر علياً ـ عليه السلام ـ عصيان الأُمة له، كما لم يضر هارون تخلّف بني اسرائيل، وذلك لأن الله تعالىٰ لا يكلِّف عباده اِلّا بما يقدرون عليه ويستطيعون، وبعد أن يتم عليهم الحجة ويمكِّنهم من معرفة رسله وانبيائه. وهذا من البيان القاطع للعذر، فلو تمرد العبد، كان ذلك من هوىٰ نفسه، ولا يكون عند العقلاء من نقض الغرض أو قصور في التبليغ. وانما يكون ذلك ما اِذا كلَّف عباده، وسدَّ عليهم ابواب الطاعة، وهذا لا يكون ابدا.

ثم ان وجوب نصب الخليفة على الله لطفاً لا يختلف عن وجوبه علىٰ الناس شرعاً. و[أمّا][٣] اختلاف الأُمة في اختيار الاصلح للخلافة وعدم تمكينهم من احد، فهل لابن تيمية واتباعه أن يقولوا بانقطاع دور الخلافة وسقوط وجوب النصب عن الامة لاختلافهم، او يقولون ان الخلاف منهم وهم قادرون علىٰ ان يتفقوا علىٰ واحد ذي رأي ليتم به مصالحهم؟

---

١. مسند أحمد ٣/٨٢. وسيأتي ذكر متون الحديث في الجزء الثالث / ١٥٩ ـ ١٦٣.

٢. صحيح البخاري ٦/٣، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر. صحيح مسلم ٤/١٨٧٠، كتاب فضائل الصحابة، باب ٤. فضائل الصحابة ٢/٥٧٠، مسند احمد ١/١٨٢، الاِصابة ٢/٥٠٧. وسيأتي ذكر مصادر اخرىٰ لهذا الحديث في الصفحة ١٥٥ من هذا الجزء.

٣. الزيادة منّا والعبارة لا تصح بدونها.

نعم انهم يأخذون القول الثاني، فلا فرق اِذاً في وجوب اِطاعة الاِمام والاِنقياد له بين ان يكون معصوماً او غير معصوم.

وبيان اوضح: ان الله تعالىٰ اتخذ التدابير اللازمة الموافقة للعقل في بعث رسله لغرض هداية الخلق، غير انه تعالى لم يجبرهم على الطاعة، واِنْ كان حثّهم بالوعد والوعيد علىٰ ذلك. فأما من ساقته الأهواء النفسية الىٰ ارتكاب المعاصي، فليس من الحكمة الالهية سلب قدرته علىٰ المعصية بالقهر والغلبة.

واما تفصيل الجواب عما تخرص به ابن تيمية ـ على طوله وتفصيله ـ فهو أن نقول: ان قوله: «ان اراد الشيعي ـ اي العلامة الحلي قُدس سره ـ بقوله: ان الله نصب اولياءه...» الى اخر أباطيله في العلامة ـ طاب ثراه ـ، فيه: اِنّ ما افترضه في جوابه يناقض معنىٰ اللطف الذي يقول به الجميع من الشيعة والسنة في بعث الأنبياء ونصب اوصيائهم، وذلك لأن الجميع مطبقون علىٰ ان البعث والنصب انما هو بالنظر الىٰ الحكمة والمصلحة العامة، أعني هداية الخلق علىٰ غير جهة الاِكراه والاِجبار. وقد اجمع العلماء من جميع المذاهب علىٰ اللطف في بعث النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وعدم القدح في نبوته، بل في نبوة كل نبي بمخالفة العصاة لهم، فكذلك اِمامة الاِمام ـ سواء أكانت من الله ام من الناس ـ لا يضرها عصيان اهل البغي وتمرد المخالفين، فأهل السنة لا يقولون ببطلان خلافة أبي بكر او عثمان بخروج من خرج عليهما، لا سيما عثمان حيث خالفه المسلمون وخلعوه فقتلوه، مع ان خلافتهما كانت من الناس لا من الله، فكيف اذا كان الامام منصوباً من الله تعالىٰ، لا يدخل فيه الاختيار والانظار، فهل يعقل ان تبطل حينئذ الامامة الجامعة للشرائط؟ ولا اختيار لمخلوق بعد اختيار الخالق.

وخلافة امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ بعدما ثبت انها بالنص، لا يضرها انحراف مَنْ بغىٰ عليه، كما لم يضر خلافة عثمان ـ عندهم ـ بخروج المسلمين عليه وخلعهم اياه، علىٰ أن علياً ـ عليه السلام ـ اقوى حجة من عثمان، لأن عثمان خلعه الناس بعدماشاهدوا منه من

الامور ما بعثهم علىٰ ذلك. واما علي ـعليه السلام ـ فقد نكثوا بيعته من غير أن يروامنه شيئاً، فهم لأجل ذلك باغون عليه، كما سماهم النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ بالفئة الباغية[١]. فلا يكون ابتِلاؤه ـعليه السلام ـ بالفئة الباغية نقصاً في اِمامته، ولا مناقضاً للطف في نصبه، وانما يرجع الىٰ تقصير المسلمين في عدم رعايتهم حقوقه.

ولم يحارب امير المؤمنين ـعليه السلام ـ الفرق الناكثة والقاسطة والمارقة اِلّا بأمر من رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ ودعوة منه في قوله ـصلىٰ الله عليه واله ـ: «اِن منكم مَنْ يقاتل علىٰ تأويل القران كما كنت اقاتلهم علىٰ تنزيله. فقال ابو بكر: انا هو يا رسول الله!؟ قال: لا. وقال عمر: انا هو يا رسول الله!؟ قال: لا، ولكن خاصِف النعل في الحجرة. وقد اعطىٰ علياً نعله يخصفها. رواه الحاكم في مستدركه وصححه هو[٢]، والذهبي في «تلخيص المستدرك»[٣]، وأحمد في «المسند»[٤]، وعلي المتقي في «كنز العمال»، وابن كثير الدمشقي في «البداية والنهاية»[٥]، وابن الأثير في «اُسْد الغابة» في ترجمة علي ـعليه السلام ـ[٦].

ثم ان ابن تيمية لم يتحرّج عن الكذب فيما تقوّل به، ونسب الفتن الواقعة في خلافة امير المؤمنين ـعليه السلام ـ اليه وقال: انه لم يتمكن من بسط العدل ودفع الظلم حتىٰ عن زوجته فاطمة (عليها السلام) في ميراث ابيها، وعجز عن سياسة الخلق.

اقول: ان السياسة التي ذكرها الرجل هي المُداهنة في دين الله، وان علياً ـعليه السلام ـ

---

١. راجع التعليقة ٢ في صفحة ٥٧ من هذا الجزء.

٢. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٢٢ ـ ١٢٣.

٣. تلخيص المستدرك ٣/١٢٢ ـ ١٢٣.

٤. مسند احمد بن حنبل ٣/٣٢٣

٥. البداية والنهاية ٧/٣٦١ ـ ٣٦٢.

٦. اُسْد الغابة ٤/٣٢.

لم يعجز عنها كمازعم، ولكنه نفذ وصية النبي ـصلى الله عليه واله ـ وعهده اليه في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين. وقد قال ـصلىٰ الله عليه واله ـ: «ان علياً كباب حِطَّة في بني اسرائيل، مَنْ دخله كان مؤمنا، ومَنْ خرج عنه كان كافرا». وقوله ـصلىٰ الله عليه واله ـ: «عليٌ امام البَرَرَة، وقاتل الفَجَرة، منصورٌ مَنْ نصره، مخذولٌ مَنْ خذله». رواهما ابن حجر في «الصواعق» في فضائل علي ـعليه السلام ـ [١].

اذاً فلا سياسة لعلي ـعليه السلام ـ مع مَنْ خرج عليه بالسيف، كما انه لا سياسة لرسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ مع الكفار بعد قوله تعالى: «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة» [٢]. وهل كانت تنتج سياسته ـعليه السلام ـ مع طلحة والزبير ومعاوية الّا بتسليط الفساق علىٰ بلاد المسلمين؟ كما صنعه عثمان، اذ سلَّط بني ابيه واقاربه ومَنْ فَسَّقه القران، علىٰ اموال الأُمة وبلادهم.

وإنْ عَجَزَ علي ـعليه السلام ـ عن نشر الدعوة وعن بسط العدل، فليس اعظم من رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ، اذ لم يتمكن من ذلك. [و] بعد طول بلائه وشدة محنته وعظيم جهاده مع المشركين، لم يدخل في طاعته إلّا القليل من الناس، وهم ـمع قلتهم ـ بين منافق وذي شِقاق، وفاسق، وكذّاب، وعامل يرتشي، وقائد يخون، اِنَّ «اكثرهم للحق كارهون» [٣]، ومع ذلك فجملة ممن اَمن به ـصلىٰ الله عليه واله ـ في حياته، انقلب علىٰ عقبيه بعد وفاته، دلت عليه آية الاِنقلاب [٤]، وآية الاِرتداد [٥].

---

١ . الصواعق المحرقة / ٧٥.

٢ . سورة البراءة / ٣٦.

٣ . سورة المؤمنين / ٧٠.

٤ . سورة المائدة / ٥٤.

٥ . سورة آل عمران / ١٤٤.

واحاديث الحوض[١]، وقوله تعالى: «ومَنْ يشاقِق الرسول من بعد ما تبين له الهدىٰ، ويتّبع غير سبيل المؤمنين، نولّه ما تولىٰ»[٢].

فكما ان انقلابهم هذا وارتدادهم واِتّباعهم غير سبيل المؤمنين لم يضر الله ولا رسوله شيئاً، كذلك عصيان مَنْ عصىٰ أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ، فانه لا يضر في دينه وعدله ومروءته وإمامته. وهو كنوح ـعليه السلام ـاِذ قال: «رب! اني مغلوبٌ فانتصر»[٣]. ومثل لوط ـعليه السلام ـ اذ قال: «لو أن لي بكم قوة او آوي الىٰ ركن شديد»[٤]. ومثل هارون ـعليه السلام ـ في بني اِسرائيل اذا انقلبوا عليه وعكفوا علىٰ عجل السامري.

وأمّا ما طعن به ابن تيمية في أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ من أنه لم يتمكن من احقاق حق زوجته فاطمة الزهراء ـعليها السلام ـ واستنقاذ اِرثها من ابيها رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ، فان ذلك في الحقيقة ذمٌ في مَنْ آذىٰ فاطمة ـعليها السلام ـ، واغتصبها حقها المشروع، ونازعها ارثها، حتىٰ ماتت وهي واجدة عليه[٥]. وقد قال رسول الله

---

١. وهي الاحاديث الدالة علىٰ وقوع الارتداد في اصحاب رسول الله بعد وفاته. هذه الأحاديث ذكرها البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق في باب الحوض، وفي اول كتاب الفتن، وذكرها مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، باب حوض النبي، ومسند احمد ١/٣٣٣، ٢٣٥ و٢/٣٠٠، ٤٠٨، و٥/٣٣، ٤٠٠ وغيرها.

وتقدم بعض هذه الأحاديث في الجزء الاول من هذا الكتاب / ١٤٦، وسيأتي في ثنايا هذا الجزء ذكر بعض منها.

٢. سورة النساء / ١١٥.

٣. سورة القمر / ١٠.

٤. سورة هود / ٨٠.

٥. صحيح البخاري ٥/١٧٧ ـ ١٧٨، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، و٤/٦٦ كتاب الجهاد، باب فرض الخمس، و٨/١٨٥، كتاب الفرائض، باب قول النبي لا نورّث. صحيح مسلم ٣/١٣٨٠، كتاب الجهاد باب ١٦. الامامة والسياسة ١/١٤، تاريخ الرسل والملوك ٣/٢٠٨، كنز العمال ٥/٦٠٤، مسند احمد بن حنبل ١/٦.

ـصلى الله عليه واله ـ: «فاطمة بضْعَةٌ مني، مَن آذاها، فقد آذاني، ومن آذاني فقد اذىٰ الله»[١].

واخرج الحاكم في «المستدرك» عن النبي صلىٰ لله عليه واله ـ: «إن الله يرضىٰ لرضىٰ فاطمة، ويغضب لغضبها»[٢].

إنّ في موقف امير المؤمنين (عليه السلام) ممن ظلم زوجته الزهراء ـعليها السلام ـ أُسوة برسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ في موقفه ممن تقوّل من المنافقين بالإفك علىٰ زوجته عائشة حتىٰ نزلت الآية في براءتها من الإفك. ولقد استنصر النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ اصحابه علىٰ المنافق الذي افتعل الافك علىٰ عائشة، فلم ينصروه، بل عارضوه، ففي «صحيح مسلم» من حديث عائشة في قصة الإفك، قالت: قام رسول الله ـص ـعلىٰ المنبر، فاستَعْذَر[٣] من عبدالله بن أُبيّ بن سَلُول، فقال: مَنْ يَعْذُرني من رجل قد بلغ اذاه في اهل بيتي، فوالله ! ما علمت من اهلي[٤] الا خيرا. فقام سعد بن مُعاذ الأنصاري، فقال: اعْذِرك منه يا رسول الله! إنْ كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من اخواننا الخَزْرج امرتنا فتبعنا امرك. قالت: فقام سعد بن عبادة ـ وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً، ولكن اجتَهَلتْه[٥] الحَمِيَّة ـ وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمرُ الله! لنَقْتُلَنَّه، فانك منافق تجادل عن المنافقين. فثار الحيّان[٦]: الاوس والخزرج حتىٰ هموا أن يقتتلوا، ورسول الله

---

١. الفصول المهمة /٢٣١.

٢. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٥٤. والذي فيه: «يا فاطمة ! ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك».
وقد روي بنفس الألفاظ المذكورة في المتن في مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ١/٥٢١.
وروىٰ الطبراني في المعجم الكبير ١/١٠٨ الحديث بنفس الفاظ «المستدرك» وقال: «هذا الحديث صحيح الاسناد.. هذا الحديث احسن شيء رأيته واصح اسناد قرأته».

٣. استَعْذَر: طلب العُذر ان كافأه علىٰ سوء فعله، فلا يلام عليه. او: طلب انزال العقوبة علىٰ الشخص لسوء فعله.

٤. في المصدر: علىٰ اهلي.

٥. اجتهلته الحميّة: حملته الأنفة والغضب علىٰ الجهل. أو: حركته وهيَّجته الحمية.

٦. الحيّان: القبيلتان.

ـص ـ قائم علىٰ المنبر، فلم يزل رسول الله يعظهم[1] حتىٰ سكتوا، وسكت ـص ـ[2].

فانظر لحالة هؤلاء وإساءتهم صحبة رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ وجدالهم عن منافق آذىٰ أهله. الىٰ غير ذلك من مخالفاتهم الصريحة لأوامره في يوم أُحد وبدر والحديبية، وكتخلفهم عن جيش أُسامة، وكغيرها من وجوه عصيانهم وتمردهم.

ومنه تعلم ان اصحاب امير المؤمنين ـعليه السلام ـ كانوا اوفىٰ له واكثر انقياداً من هؤلاء. علىٰ ان مخالفة مَنْ خالف من اصحاب أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ وعصيان منْ عصىٰ منهم لا تضره ـعليه السلام ـ شيئاً، بل تضرهم انفسهم، وقد قال النبي ـصلىٰ الله عليه واله وسلم ـ: «اللهم انصر من نصر علياً، واخذل من خذله»[3].

نعم، ان ثُلة من الصحابة الأخيار ممن امتحن الله قلوبهم للتقوىٰ نصروا علياً واستقاموا في نصره واتباعه والذب عنه، ومضىٰ بعضهم شهداء بين يديه، وهم كثيرون، فلولا ان سياسة أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ كانت صالحة مرضية، لما ساعدوه وآزروه، كما لم يساعدوا عثمان في طول حصاره، لتخطئتهم سياسة عثمان وحاشيته، بل ولم يساعده اي صحابي حتىٰ معاوية وعمرو بن العاص. فهل كانت سياسة افضل من سياسة أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ يومئذ في حفظ الدين وحماية المسلمين والدفاع عن أعراضهم وأموالهم؟ اللهم سياسة معاوية الغدّار الجبار التي بناها علىٰ الظلم والبغي والعدوان.

وما قصده ابن تيمية من السياسة التي زعم ان علياً ـعليه السلام ـ عجز عنها؟ اِنْ اراد بها سياسة العدل والايمان، فقد تجلّت في أمير المؤمنين بأحلىٰ مظاهرها. وان اراد بها سياسة معاوية، فما أبعد علياً ـعليه السلام ـ عنها، وهو ـعليه السلام ـ القائل: «اِن معاوية يَغدُر ويفجُر،ولولا كراهة الغدر لكنت من ادهىٰ الناس، وكل غدرة فجرة، ولكل فجرة كفرة».

---

١. في المصدر: يُخَفِّضُهم.

٢. صحيح مسلم ٤/٢١٣٣ ـ ٢١٣٤ كتاب التوبة، باب ١٠، حديث ٥٦.

٣. مسند احمد بن حنبل ١/١١٩، شواهد التنزيل ١/١٥٧، تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الامام علي ٢/١٣، كفاية الطالب / ٦٣، شرح نهج البلاغة ١/٢٠٩ مناقب علي بن أبي طالب ـ للخوارزمي ـ / ٨٠.

المبحث الثامن

في مَن يُقام به اللطف

ونذكر في هذا المبحث الشبهات التي اوردها الخصوم، مثل محمود الآلوسي وعبدالعزيز الدهلوي، ونصر الله الكابلي، وابن تيمية. فيقع البحث في مواضع من كلمات هؤلاء فيما يأتي:

١ ـ نقض مقالة الآلوسي، حيث قال في كتابه «مختصر التحفة»: ان الامامة لا تكون مطلقاً لُطفا، وانما تكون لطفاً بشرط أن يكون الامام متصرفاً بالأمر والنهي، وأمّا مع الخوف والتستر فلا لطف ولا اِمام، بل يكون حينئذ نصبه وامره بالتستر سفهاً وعبثاً. ويشبه ذلك ما اذا قلّد احداً امر القضاوة، ثم امره بالاِختفاء عن الناس وعدم اظهار قضائه.

وايضاً اذا كان الامام مأموراً من الله تعالىٰ بالتأني وترك الدعوة، يلزم اِمّا سقوط التكليف، واِمّا جواز الرجوع الىٰ الغير، فيكون المكلّف معذوراً في المخالفة، اِذ لا يكلّف الله نفساً اِلاّ وسعها[1]... الى اخره.

اقول: قوله: «انما يكون لطفاً بشرط ان يكون الامام متصرفاً...» فيه نظر، لأن ذلك شرط الملوكية والسلطنة، وليس شرطاً للامامة ولا جزءاً من مفهومها، وقد قلنا سابقاً ان الاِمامة ليست ملوكية، وانما تجتمع معها حيناً وتفارقها حيناً آخر. نعم، التصرف بالأمر والنهي من وظائف الامام وليس من مقومات الاِمامة.

---

١. مختصر التحفة الاثني عشرية / ١١٧. والذي فيه جزء من المذكور هنا.

وما ذكره من اللطف في الامام المتصرف الحاضر اما هو قول مَنْ لا يعرف معنىٰ اللطف، فأنكر علىٰ مَنْ قال به في نصب الامام، ولم يدر ان اللطف في النصب كاللطف في البعث، وان الواجب من الله تعالىٰ نصب الخلفاء في الارض، واما التصرف بالأمر والنهي فيتوقف علىٰ اِطاعة الاُمة لهم وانقيادهم لأوامرهم، فلو لم ينقادوا اليهم، كانت تبعته فوات المصلحة ومنع اللطف علىٰ الامة انفسهم.

فليست اجابة الحجة من شرائط كون اللطف لطفاً والامام اماما. فلا يضيع لطف وجوده ولطف تصرفه من أجل حصول الموانع من ظهوره، فاذا عرَّف الله الناس بامامهم وأمرهم بطاعته بقوله: «اطيعوا الله، واطيعوا الرسول واولي الامر منكم»[١]، فقد تمت المصلحة من ناحيته تعالىٰ، وبقي علىٰ الناس ما هو المفترض عليهم من الدخول في طاعته وامتثال امره. نعم لو لم يقم الله الحجة علىٰ الخلق كان هو المفوِّت للمصلحة، فكان يقبح منه التكليف، اذ يقبح التكليف بما لا طريق الىٰ العلم به.

فما قاله الآلوسي من سقوط التكليف او جواز الرجوع الىٰ غير الامام ـ فيكون وجوده كعدمه ـ اِنما يكون فيما اذا لم تنصب الحجة الالهية او لم ينصب الطريق اليه. أمّا في فرض نصب الحجة والامام، وإقامة الدليل علىٰ معرفته، وعصيان الناس وانحرافهم عنه وتركهم له بسوء الاختيار، وإلجائهم اياه الىٰ الفرار عنهم او الىٰ رفع اليد عن التصرف، فهذا لا يُلزم سقوط التكليف، لأن الله أقام الحجة عليهم، والاُمة متمكنة من ازاحة العلة ورفع الموانع، وهو من فعلهم، وليس من فعل الله.

والآلوسي يعلم من قواعد الشرع ان التكليف لطف من الله تعالىٰ، لانه يزجر عن المعاصي، ويبعث علىٰ الطاعات، ولا يخرجه عن اللطف خروج المكلفين عن الطاعة بالكفر او المعصية وترك العمل بواجبهم السمعي، ومثله نصب الخليفة والإمام.

---

١ . سورة النساء / ٥٩.

٢ ـ نقض كلام الدهلوي والكابلي. قال عبدالعزيز الدهلوي في «التحفة» ونصر الله الكابلي في كتابه «الصواقع» ـ في المطلب الاول من المقصد السابع ـ مستهزءاً بالشيعة، قال: الأولىٰ القول بأن امر صاحب الزمان في الكتاب المختوم بخواتيم الذهب أن يختفي اكثر من ثمانمائة [عام]، فَحَرم الناس عن اللطف الواجب[1].

اقول: انه خَلَطَ بين المقتضي لوجود الامام وتصرفه وبين المقتضي لتستره المانع عن ظهوره، والحق أن الاول من فعل الله، وقد فَعَل، وصح به التكليف، كما صح ببعثه انبياءه ـ عليهم السلام ـ. وان الثاني من فعل لناس، اذ حرموا انفسهم الفيض الصادر عن الامام المنصوب من الله تعالىٰ، كما فعل مَنْ قبلهم من الأُمم السالفة، وهم [قادرون][2] من ازاحة العلة ليظهر ويتحقق ما هو اللطف، وإلّا فيؤخر ظهوره او تصرفه الىٰ زمان آخر يطمئن بسلامته فيه، كما حصل ذلك للإمامين محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق ـ عليهما السلام ـ، اذْ لم يقدرا علىٰ التصرف والظهور الىٰ الناس إلّا الفترة الواقعة بين بني اُمية وبني العباس[3] واشتغال كل منهما بالفتن، فجعلا ينشران ما هو المفروض عليهما حتى امتلأ العالم من آثارهما.

فالمقياس في ظهور الامام وتصرفه انما هو الأمن علىٰ نفسه، والسبب لتستره هو الخوف، وعجز المؤمنين عن حفظه وحفظ انفسهم، لضعفٍ فيهم، ولذلك لما شاهد النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ تطاول اهل مكة عليه وعلىٰ المسلمين، أذن لأصحابه بالهجرة، واستتر هو ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في دار الأرقم بن الأرقم، ولما اشتد عليه هاجر الىٰ المدينة فراراً عن اهل مكة.

وكما خرج موسىٰ ـ عليه السلام ـ من مصر خائفاً يترقَّب. قال: «رب! نجني من القوم الظالمين»[4]. وكما صعد عيسىٰ ـ عليه السلام ـ الىٰ السماء لما ارادوا أن يقتلوه، غاب عن اعدائه، ولا تزال غيبته مستمرة الىٰ يومنا هذا، لم ينزل الىٰ الارض. فهل اراد الله تعالىٰ برفع

---

١. المصدر مخطوط.

٢. الزيادة منّا، والعبارة لا تصح بدونها.

٣. أي سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية.

٤. سورة القصص / ٢١.

عيسىٰ الى السماء نقض الغرض عن بعثه وتفويت المصلحة عن قومه ـ كما ربما يقوله المنكرون لبعث الانبياء ـ أو أراد إنقاذه من القتل؟

فالحال اذاً في بعث النبي ونصب الوصي سواء، لا يختلفان. قال تعالى: «ولو أنّا أهلكناهم بعذابٍ من قَبله، لقالوا: ربنا لولا ارسلتَ اِلينا رسولاً فنتّبع اياتك من قبل ان نذل ونخزىٰ»[1] فالآية صريحة في قاعدة اللطف التي هي المرجع في البعث والنصب.

علىٰ أن لكلٍ من المهدي المنتظر وعيسىٰ بن مريم ـ عليهما السلام ـ وكلاء في الارض بعد غيابهما، ولكنهم ليسوا سواء، فوكلاء عيسىٰ ـ عليه السلام ـ (وهم الحواريون) اشركوا بالله بعد صعود نبيهم، وذكروا نه ابن الله، ونسبوا اليه انه اوصىٰ بالأقانيم، وافتروا علىٰ الصديقة مريم بأنها سقت الخمر للرجال الأجانب، واسقطوا عن الانجيل اسم احمد ـ صلى الله عليه واله ـ، وغيروا وبدلوا في دين عيسىٰ ـ عليه السلام ـ، وحرَّفوا الكلم عن مواضه في كتبهم السماوية. ومع هذا لم يقل احد بأن غيبة عيسىٰ ـ عليه السلام ـ وصعوده الىٰ السماء نقضٌ للغرض عن بعثه، ومنعٌ للناس عن اللطف.

وأما وكلاء المهدي ـ عليه السلام ـ الذين جعلهم نظراء علىٰ الأُمة، فانهم لم يخونوا، ولم يغيروا شيئاً من دينه ودين جده (صلى الله عليه واله)، ولم يبدلوا طريقته، بل لا يزالون يبذلون جهودهم في نشر طريقته ـ عليه السلام ـ، وازاحة شبهات المخالفين عنها.

والعجب من هذا المعترض وامثاله ممن يعلمون شأن الأنبياء المقهورين في زمانهم وما نالهم من القتل والتعذيب، ومع هذا ينكرون اِمامة الائمة من أهل البيت ـ عليهم السلام ـ لأجل كونهم مقهورين[2].

---

١. سورة القصص / ٤٧.

٢. فكما ان مقهورية الانبياء لم تضر بنبوتهم، كذلك مقهورية الائمة. اضافة الىٰ ذلك فان الائمة بالرغم من مقهوريتهم، ارشدوا الناس الىٰ الحق والىٰ ما فيه السعادة وحفظ الحقوق واستمرار النعم والامن والعافية، ودافعوا عن الاسلام، ووقفوا في وجه رموز الضلال والاِضلال، وعملوا علىٰ القضاء علىٰ بؤرات التوتر الثقافية التي كان الأعداء يوجدونها.

[٣] ـ المقام الثاني[١]: مقهورية الائمة ـ عليهم السلام ـ لا تضر بإمامتهم.

قالت الجماعة: ان أمر الإمامة في ايام الشيعة كان في الانحطاط، فما منهم إلّا مقهور او خائف مستور، لا يمكنه ان يدعو الىٰ نفسه، بل كان الدين محفوظاً منتشراً بواسطة الصحابة، فهم أُمناء الأُمة وحُفّاظ الشريعة.

قلت: كيف تكون الصحابة حُفّاظ الشريعة؟ وهل نشأ هذا الاختلاف بين الأُمّة إلّا منهم؟ حتىٰ أن كل مذهب باطل، أو بدعة وضلالة تستند الىٰ واحدٍ او اكثر من الصحابة في رواية يرويها او حديث ينقله. فهم في اختلافهم في ارائهم وفي فهم احاديثهم عن النبي ـ صلى الله عله واله ـ احوج الىٰ امامٍ معصوم يرفع حيرتهم ويزيح عنهم اخطاءهم التي وقعوا فيها بإعراضهم عن باب علم النبي ـ صلى الله عليه واله ـ في قوله: «انا مدينة العلم وعلي بابها، فمن اراد العلم فليأت الباب»[٢].

اما كون الائمة الطاهرين ـ عليهم السلام ـ مقهورين، فذلك بسبب انحراف الأُمة عنهم بعد إتمام الحجة عليها، فما منهم إلّا مقتول و مسموم او مشرّد، كما أخبر به الصادق المصدَّق ـ صلى الله عليه واله ـ من حديث الحاكم في «المستدرك»: قال النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ: «إن أهل بيتي سيلقون بعدي من أُمتي قتلاً وتشريدا، وإن أشد قوماً لنا

---

١. كذا في النسخة المطبوعة، والظاهر انه اشتباه أو أن «المقام الاول» سقط من النسخة المطبوعة. والظاهر ان هذا هو الايراد الثالث من الايرادات على قاعدة اللطف التي اشار اليها المؤلف في بداية هذا المبحث.

٢. المستدرك على الصحيحين ١٢٦/٣، شواهد التنزيل ١/٣٣٤، تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الامام علي ٤٦٤/٢ ـ ٧٩، فرائد السمطين ٥٨/١، مناقب علي بن ابي طالب للواسطي / ٨٠، وللخوارزمي / ٤٠. وهناك مصادر اخرىٰ للحديث مذكورة في الغدير ٦١/٦ ـ ٧٩. ويأتي ذكر مصادر اخرىٰ في صفحة ٢٣٠ ـ ٢٣١ من هذا الجزء. وقد اُلّفت كتب عديدة بصورة مستقلة حول اثبات صحة هذا الحديث ودلالته، منها كتاب مخطوط للسيوطي، وكتاب «فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي»، والجزء الخامس من كتاب «عبقات الانوار».

بُغضاً بنو أُمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم». رواه ابن حجر في «الصواعق». قال: وصححه الحاكم[١].

كما ان ائمة المذاهب الاربعة ـ وهم مالك وابو حنيفة والشافعي واحمد ـ كانوا كذلك مقهورين، اِذ كانوا تحت سلطة الجبارين من ملوك بني امية وبني العباس، ففي كتاب «الملل والنحل» ـ في ترجمة الجارودية ـ: اِنّ ابا حنيفة رُفع امره الىٰ المنصور الدوانيق، فحبسه حبس الأبد حتىٰ مات في الحبس[٢].

وفي «المعارف» ـ لابن قتيبة ـ: ان مالك بن انس اعتزل الناس، وانه سُعي به الىٰ جعفر بن سليمان، فضربه بالسياط[٣]. وفي «الصواعق المحرقة»: ان جعفر بن سليمان والي المدينة ضرب مالكاً ـ رض ـ ونال منه، وحُمل مغشياً عليه[٤].

وفي «تاريخ الخلفاء» ـ للسيوطي ـ عدَّ كثيراً من العلماء ـ منهم احمد بن حنبل ـ الذين اُبتلوا بالقول بخلق القران خوفاً من المأمون العباسي[٥].

وفي «حلية الاولياء» ـ لابي نعيم ـ: ان الامام الشافعي اُتي به من اليمن اسيراً مُكبّلاً بالحديد، حتىٰ دخل علىٰ الرشيد وسلَّم عليه بالاِمرة[٦]، ودرأ عن نفسه القتل[٧].

ويُعلم من هذا كله أن مقهورية الأئمة من العترة النبوية لا تضرُّ بامامتهم، واِنّ ضرر ذلك عائد علىٰ الذين قهروهم واعتدوا عليهم.

---

١. الصواعق المحرقة / ١٠٨.

٢. الملل والنحل ١/١٥٨.

٣. المعارف / ٢١٨.

٤. الصواعق المحرقة / ١٠٨.

٥. تاريخ الخلفاء / ٣١٢.

٦. اي بقول: السلام عليك يا امير المؤمنين !.

٧. حلية الأولياء ٩/٨٥ ـ ٨٦.

[٤] ـ المقام الثالث[١]: قولهم ان اللطف في مَنْ قِبلَتْه الأُمة.

صرح عبدالعزيز الدهلوي في «التحفة الاثنى عشرية»، والآلوسي في «مختصر التحفة»: ان اللطف في مَنْ قَبِلَتْه الأُمة، وانه الاصلح بحالهم دون من ضيعه الناس ولم يقبلوا خلافته، لأن ذلك موجب لسفك الدماء ووقوع الهرج[٢].

وزاد عبدالعزيز قائلا: «اِنّا اذا تأملنا، علمنا ان نصب الامام من الله يتضمن مفاسد كثيرة، لأن الآراء مختلفة، فمتىٰ تعيَّن رجل لتمام اهل العالم، أوجب ذلك تهييج الفتن، فينجر أمر الاِمامة الىٰ التعطيل ودوام الخوف وسلب الأمن ووقوع الامام في الهلكة بواسطة غلبة المتغلبين الىٰ يوم الدين»[٣].

قلت: قد أعلمنا فيما سبق ان اللطف في نصب الامام كاللطف في بعث الرسول، فكما يجوز من الله تعالىٰ بعث النبي لجميع أهل العالم في جميع أدوار التكليف من غير ان يؤدي ذلك الىٰ تعطيل نبوته، كذلك يجوز منه تعالىٰ نصب الامام لأهل العالم وفقاً للمصلحة وطبقاً لقانون الاصلح، بحكم العقل والنقل. فاذا كان الله هو المعيِّن للخليفة في الارض بمقتضىٰ اللطف، فلا ريب انه يعين مَنْ فيه صلاح الأُمة.

ووقوع الفتنة اِنما يكون اذا كانت الاِمامة منوطة باختيار الناس، لأن ذلك يؤدي كثيراً الىٰ الفساد الموجب لاِختلال النظام، لعدم معرفتهم بالأصلح، أو لكون الناس الىٰ اشباههم أميل، فلا يميل المبطل الىٰ المحق في غرضه، كما يُعرف ذلك من مراجعة التاريخ والنظر في حوادث السقيفة، وماكان هناك من جدال عنيف، وحوداث عثمان، ووقائع الجمل

١. كذا في النسخة المطبوعة، والظاهر انه اشتباه، أو أن «المقام الاول» سقط من النسخة المطبوعة. والظاهر ان هذا هو الايراد الرابع من الايرادات علىٰ قاعدة اللطف التي اشار اليها المؤلف في بداية هذا البحث.

٢. مختصر التحفة الاثنى عشرية / ١١٧ ـ ١١٨، والذي فيه قريب من هذا المضمون.

٣. التحفة الاثنىٰ عشرية / ١٧٤.

وصفين والنهروان، واحداث ابن الزبير ومروان وعبدالملك وغيرهم، كل ذلك من موبقات جعل الخلافة تبعاً لرغبات الأمة وآرائهم.

خلافاً لجعلهامن الله تعالىٰ، فانه حينئذ ـ حيث لا اختيار للناس، لم يبق لأحد حق التشاح ولا لعدول عمن اختاره الله، لقوله تعالى: «وربك يخلق ما يشاء ويختار»[١]، وقوله: «وما كان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضىٰ الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخِيَرَة من امرهم»[٢]، وقوله تعالى: «ومَنْ لم يحكم بما انزل الله، فاولئك هم الكافرون»[٣].

وعلىٰ هذا فان اللطف في من اختاره الله ونصبه اِمّا للنبوة او للامامة: «اِنْ الحكم اِلّا لله، يقص الحق وهو خير الفاصلين»[٤]. وليس اللطف اِلاّ فعل الله الذي يُقرِّب لأجله العبد الىٰ الطاعة ويُبَعِّد عن المعصية. فهل تجد اختلافاً بين حسن بعث النبي وبين حُسن نصب الامام في ما ذكرناه؟ وكذلك بين قبح ترك البعث وقبح ترك النصب. ولا يضر في خلافة المنصوب من الله اِعراضُ الأُمة، فاِن الاِعراض حينئذ كفر وارتداد، كاعراضهم عن المبعوث للرسالة.

ومن الواضح أن اختيار الأُمة لا بد أن يؤدي الىٰ التجاذب والتناحر، وكل أحد يقدم منفعة نفسه في ترشيح الرئيس، فتقوم الفتنة بين الأُمة وبين الائمة أنفسهم، فالفساد الذي شاع في المسلمين من يوم السقيفة وما بعده سببه الاِعراض عن النص الصريح، والاِكتفاء بالاِختيار والتوسُّع في الامامة.

ثم من أين علم الدهلوي والآلوسي ان النص علىٰ شخص معين يكون خلاف اللطف؟ وفي القران: ان موسى ـ عليه السلام ـ نص بالخلافة علىٰ اخيه هارون ـ عليه السلام ـ[٥]،

---

١. سورة القصص / ٦٨.

٢. سورة الاحزاب / ٣٦.

٣. سورة المائدة / ٤٤.

٤. سورة الانعام / ٧٥.

٥. سورة الأعراف / ١٤٢.

وان الله تعالىٰ جعل لبني اسرائيل طالوت ملكا[١]، فهل كان ذلك خلاف اللطف والمصلحة؟

وان ابا بكر نص علىٰ عمر بالخلافة واستخلفه علىٰ عامة المسلمين. وان عمر ـ بعد ما طُعِن ـ قالوا له: استخلف. فاعتذر بأن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ لم يستخلف. ولم يقل: ان الاستخلاف يؤول الىٰ الفساد. ودخل عليه ابنه عبدالله وقال له: «زعموا انك غير مستخلف، وانه لو كان لك راعي غنمٍ أو راعيُ ابلٍ، ثم جاءك وتركها، لرأيتَه انه قد ضيع، فرعاية الناس اشد...» الىٰ اخره. وهذا احتجاجٌ معقول احتج به ابن عمر علىٰ أبيه يشهد بأن التنصيص اقرب الىٰ المصلحة واوفق للعقل وسيرة العقلاء كافة.

ومعلوم ان رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ لم يكن يعمل اِلّا بما فيه المصلحة العامة، فلو فرضنا انه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ توفي ولم يستخلف (كما تزعمه الجماعة) فلا محالة يكون تركه الاِستخلاف لأجل مضار في نصب الخليفة، وعليه فكيف جاز لأبي بكر مخالفة رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ واستخلافه لعمر؟ أم كيف صح لعمر قوله: «لو كان سالم مولىٰ حذيفة حياً، لاستخلفتهُ»؟[٢] فخالف النبي من وجهين: اسخلافه من بعده، واخراجه الخلافة من قريش.

ويجدر بنا ان نذكر هٰهنا ان عامة بني اسرائيل كرهت اِمارة طالوت عليهم، وتخلَّفت عنه، ولم تخرج الىٰ قتال جالوت عدا قليل منهم حتى قال قائلهم: «لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده»[٣]. ومع هذا فهل كانت المصلحة في من اختاره الله وعيَّنه للاِمارة أم في مَنْ رضيت به الأُمة الاِسرائيلية.

[٥] ـ المقام الرابع: قولهم ان اللطف في الامام الغالب[٤].

قال ابن تيمية في «المنهاج» والدهلوي في «التحفة»: «ان الامامة تثبت بموافقة اهل

---

١. سورة البقرة / ٢٤٧.

٢. العقد الفريد ٤/٢٧٤.

٣. سورة البقرة / ٢٤٩.

٤. كذا في النسخة المطبوعة، والظاهر انه اشتباه، أو أن «المقام الاول» سقط من النسخة المطبوعة. والظاهر ان هذا هو الايراد الخامس من الايرادات علىٰ قاعدة اللطف التي اشار اليها المؤلف في بداية هذا المبحث.

الشوكة، ولا يصير الرجل اماماً حتىٰ يوافقه اهل الشوكة الذي يحصل بطاعتهم له مقصود الامام، فاذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان، وصار إماماً ومن اولي الأمر الذين امر الله تعالىٰ بطاعتهم...، فالامام مَلِك، والملك لا يصير ملكاً بموافقة واحد والا اثنين..، وأبو بكر صار إماماً بموافقة أهل القدرة، وكذلك عمر. وان علياً ـ رضي الله عنه ـ لما بويع وصارت معه شوكة، صار إماما...».

قال: «فالدين الحق لا بد فيه من الكتاب الهادي والسيف الناصر، كما قال تعالىٰ: «لقد ارسلنا رسلنا بالبينات، وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وانزلنا الحديد فيه بأس شديد، ومنافع للناس، وليعلم الله مَنْ ينصره ورسله بالغيب»[١]. فالكتاب يبيِّن ما أمر الله به وما نهىٰ عنه، والسيف ينصر ذلك ويؤيده، وابو بكر ثبت بالكتاب والسنة ان الله امر بمبايعته، والذين بايعوه كانوا اهل السيف المطيعين لله في ذلك، فانعقدت خلافة النبوة في حقه بالكتاب والحديد. وأمّا عمر فان ابا بكر عهد اليه وبايعه المسلمون بعد موت ابي بكر، فصار إماماً لمّا حصلت له القدرة والسلطان بمبايعتهم»[٢] انتهىٰ.

قلت: مقتضىٰ صريح عبارته بطولها إناطة الخلافة باختيار الأُمة واتباع ذوي القوة، وعدم كفاية النص عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ او عن أحد خلفائه ما لم يحصل للشخص المعهود له الملك والسلطنة، وهذا رأيٌ مخالف للاجماع والضرورة من مذاهب المسلمين كافة من كفاية نص النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ فقط في انعقاد الخلافة، كما صرح بذلك ابن تيمية في جملة عباراته من نفس الصفحة من «المنهاج» اذ قال: والمسلمون انما اختاروه ـ يعني: أبا بكر ـ للنص الدال علىٰ رضا الله ورسوله بخلافته[٣]. انتهىٰ.

وهو أيضا مذهب ابن حزم وزملائه من الطائفة البكرية، كما أن إجماعهم قائم علىٰ

---

١. سورة الحديد / ٢٥.

٢. منهاج السنة النبوية ١/١٤١ ـ ١٤٣ مع تقديم وتأخير في بعض الجمل.

٣. منهاج السنة النبوية ١/١٤١.

ان خلافة عمر كانت بنصٍ من ابي بكر، وكانت البيعة معه بعد النص من فروض طـاعة المنصوص عليه، وقد بلغ مبلغ التواتر ان ابا بكر عهد من بعده الىٰ عمر، وانه دعا عثمان وقال: أكتب: بسم الله الرحمان الرحيم. هذا ما عهد ابو بكر بن ابي قُحافة في آخر عـهده بالدنيا واول عهده بالآخرة... اني استخلفتُ عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فـاسمعوا له واطيعوه ...» الىٰ آخره. نص عليه ابن حجر في «الصواعق»[1]، واحمد بن حنبل في «المسند»، وابن قتيبة في «الامامة والسياسة»، والطبري في تاريخه.

ثم إن مخالفينا ذهبوا الىٰ أن النبي -صلىٰ الله عليه واله- توفي ولم يستخلف، وأن النص علىٰ علي -عليه السلام- غير وافِ الدلالة، لا لأن النص لا يجوز عليه. فالنص عند الجماعة احد اسباب الخلافة، وعند الشيعة هو السبب الوحيد، وليس اختيار الأُمة بمعتبر عندهم، ولا يشترط وجود القوة والسطوة في الاِمام المنصوب، لأن الاِمامة هي النيابة العامة عن النبي -صلىٰ الله عليه واله-، ولا يعتبر في المنوب عنه القدرة والسلطة، فكيف يعتبر في ولاية النائب؟

قالت الجماعة: فما فائدة الامامة مع عدم القوة؟

وقال الشيعة: الفائدة هي القيمومية الاِلهية واِعلاء كلمة الحق من المتمكن، كما انها هي الفائدة التي تترتب علىٰ بعث الأنـبياء المـقهورين المسـتضعفين، مـثل لوط -عـليه السلام- إذ قال لقومه: «لو أن لي بكم قوة أو آوي الىٰ ركن شديد»[2]. ومثل ابراهيم -عليه السلام- اذ ألقوه في النار. وكموسىٰ -عليه السلام- اذ اراد فرعون قتله، فهرب منه الىٰ مَدْيَن شعيب. ومثل هارون خليفة موسىٰ -عليهما السلام- اِذ قال لأخيه «قال: ابن أُم! اِنّ القوم استضعفوني، وكادوا يقتلونني»[3]. وكغيرهم من الأنبياء، كـعيسىٰ ويحـيىٰ وزكـريا.

---

١. الصواعق المحرقة / ٥٣.

٢. سورة هود / ٨٠.

٣. سورة الأعراف / ١٥٠.

فلم تبطل إمامة هؤلاء، ولم يبطل اللطف في نبوتهم، بل دام اللطف الواجب في بعثهم وارسالهم.

علىٰ أن النبوة والإمامة لا تلازمان القدرة والقوة، ويظهر ذلك من سنن النبيين، فإن الدعوة الىٰ الله ـ التي قوامها الرسالة والإمامة ـ ليس من قوامها إلّا البلاغ والأداء والتبشير والإنذار،لقوله تعالى: «اُدعُ الىٰ سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»[١]، وقوله: «اِتبع ما اوحي اليك من ربك»[٢] وقوله: «فهل علىٰ الرُّسُل اِلّا البلاغ المبين»[٣]، وقوله: «وما ارسلناك اِلّا مبشراً ونذيرا»[٤]، وقوله: «يا ايها النبي اِنّا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا، وداعياً الىٰ الله بإذنه، وسراجاً منيرا»[٥].

ويظهر من جميع ذلك ان النبوة غير الملك والسلطنة، ولا تلازم بينهما. ولو امعنّا النظر في احوال الأنبياء والقوامين بأمر الله من اوصيائهم واوليائهم، نرىٰ أن الله لم يجمع لهم بين النبوة او الولاية وبين الملك والسلطنة اِلّا في النادر منهم، مثل داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ.

فما زعمه ابن تيمية في منهاجه من ان الخلافة تتوقف علىٰ القدرة والسلطان[٦]، خَلَطَ فيه بين الخلافة الاِنتخابية المتقومة باجتماع الآراء علىٰ رجل واحد بالاختيار او الخوف والاضطرار وبين الخلافة الاِلهية التي يرشد اليها قوله تعالى: «اني جاعلٌ في الارض خليفة»[٧]،وقوله تعالى: «اني جاعلك للناس اِماما»[٨].

---

١. سورة لنحل / ١٢٥.

٢. سورة لأنعام / ١٠٦.

٣. سورة لنحل / ٣٥.

٤. سورة لإسراء / ١٥٠.

٥. سورة لاحزاب / ٤٥ـ ٤٦.

٦. منهاج السنة النبوية ١/١٤٢.

٧. سورة لبقرة / ٣٠.

٨. سورة لبقرة / ١٢٤.

وهذه الخلافة روحها الدعوة الالهية القدسية، وليست مبتنية علىٰ الجبروت والطغيان والارهاب والعدوان، كما كانت سيرة خلفاء بني امية وبني العباس. نعم ان وظائف الخلافة: الدعوة الىٰ الجهاد، ومحاربة اهل الشقاق والعناد، ومعاقبة المبطلين ودعاة الفساد. وذلك، بعد تمكين الأُمة واتمام الحجة، واقتضاء المصلحة العامة المنوطة بنظر صاحب الشريعة، وبعد وجود الأعوان وحصول المساعدة، لا كما قالت بنو اسرائيل لموسى ـ عليه السلام ـ: «اذهب انت وربك فقاتلا، إنّا هٰهنا قاعدون»[1]. وهذا غير إناطة الخلافة الالهية بالقهر والملك والسلطنة. وفي سنن ابن ماجة: عن النبي ـ ص ـ قال: «لا تزال طائفة من أُمتي قوّامة علىٰ أمر الله، لا يضرها مَنْ خالفها»[2]. وعنه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ ايضاً: «لا تزال طائفة من امتي منصورين لا يضرُّهم مَنْ خَذَلهم...»[3] الحديث.

وقال ابو الشكور في كتاب «التمهيد في بيان التوحيد»: قال بعض الناس: اذا لم يكن الإمام مطاعاً، لا يكون إماما.

قلنا: ليس كذلك، لأن طاعة الإمام فرضٌ علىٰ الله، فان لم يكن القهر فذلك من تمرد الناس، وهو لا يعزله عن الإمامة، فلو لم يُطَع الإمام، فالعصيان منهم وعصيانهم لا يضر بالإمامة. ألا ترىٰ أن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ ما كان مطاعاً في اول الإسلام، وما كان له القهر علىٰ اعدائه من طريق العادة، والكَفَرةَ قد تمردوا عن امره ودينه، وقد كان هذا لا يضره ولا يعزله عن النبوة، وكذا الإمام، لأن الامام خليفة النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ لا محالة، وكذلك علي ـ عليه السلام ـ ما كان مطاعاً من جميع المسلمين، ومع ذلك ما كان معزولاً، فصحّ ما قلناه، ولو أن الناس كلهم ارتدوا عن الاسلام ـ والعياذ بالله، فإن الإمام لا ينعزل عن الامامة، فكذلك في العصيان. انتهىٰ.

---

١. سورة المائدة / ٢٤.

٢. سنن ابن ماجة ١/٥ ـ ٦، مع اختلاف غير مخل بالمقصود.

٣. سنن ابن ماجة ١/٥.



المبحث الثاني

في عقد الإمامة وأنها لا تكون إلّا بالنص

ان النص هو السبب الوحيد في تعيين الامام، وذلك لأن الإمامة خلافة من الله تعالىٰ علىٰ البرية، وقواعد العقل والنقل تقضي بأن تعيين الخليفة راجع الىٰ المستخلف ومنوط بنظره، وان الله تعالىٰ لم يزل يعين خلفاءه في الارض علىٰ نحو العموم او الخصوص في جميع ادوار التكليف من بدء زمن النبوة الى انتهائها، اذ قال الله تعالى في آدم: «اني جاعل في الارض خليفة»[1].

وقال في ابراهيم: «اني جاعلك للناس إماما، قال: ومن ذريتي، قال: لا ينال عهدي الظالمين»[2]. ليس المقصود بالإمامة في هذه الآية النبوة، بل المقصود الرئاسة الدينية علىٰ العامة مطلقاً، كما فهم ابراهيم ـعليه السلامـ، فطلب من الله تعالىٰ ان يجعل تلك الرئاسة في ذريته الىٰ يوم القيامة.

ويشهد لما ذكرناه ما ذهب اليه الفخر الرازي في تفسيره هذه الآية، إذ جعل قوله تعالىٰ: «لا ينال عهدي الظالمين» حجة علىٰ اشتراط العدالة في الامام والخليفة. ولولا ان لفظ الامام يشمل كل داع للخلق الىٰ الحق، لما احتج الرازي بالآية علىٰ شرطية العدالة في

---

١. سورة البقرة / ٣.

٢. سورة البقرة / ١٢٤.

الاِمام والخليفة. ولولا ان لفظ الاِمام يشمل كل داع للخلق الىٰ الحق، لما احتج الرازي بالآية علىٰ شرطية العدالة في الائمة والدعاة الىٰ الله تعالىٰ، فالاية صريحة في ان الله هو جاعل الامام للناس يدعوهم اليه وينشر فيهم احكامه.

وقال تعالىٰ في ذرية ابراهيم ـ عليه السلام ـ: «فقد آتينا آل ابراهم الكتاب والحِكمة، وآتياهم مُلكاً عظيما»[1]. والمراد من المُلك الرئاسة الالهية والزعامة الدينية التي بيد الله نصبها، وعند اختياره تعيينها.

وقال تعالىٰ في داود: «انا جعلناك خليفة في الارض، فاحكم بين الناس بالحق»[2]. فأسند سبحانه جعل الخليفة الىٰ نفسه المقدسة.

وقال في هارون: «وقال موسىٰ لأخيه هارون: اخلُفني في قومي، وأصلح، ولا تتَّبع سبيل المفسدين»[3]. فأصبح هارون خليفة موسىٰ في بني اسرائيل بتعيينٍ منه ـ عليه السلام ـ لا بانتخاب الأُمة واختيارها.

وقال في شأن المؤمنين: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات، لَيَستخلِفَنَّهم في الارض، كما استخلف الذين من قبلهم، ولَيُمكّننَّ لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم»[4].

قالت الشيعة: ان هذه الآية تشمل اِمامة العترة الطاهرة. وقال ابن حجر في «الصواعق»[5] والسيوطي في «تاريخ الخلفاء»: قال ابن كثير ان الآية منطبقة علىٰ خلافة الصديق[6].

---

١. سورة النساء / ٥٤.

٢. سورة ص / ٢٦.

٣. سورة الاعراف / ١٤٢.

٤. سورة النور / ٥٥.

٥. الصواعق المحرقة / ١١.

٦. تاريخ الخلفاء / ٦٦.

وعلىٰ كل تقدير، فالقران مصرح بأن جعل الخليفة واختياره بيد الله تعالىٰ، لقوله: «ولقد اخترناهم علىٰ علمٍ علىٰ العالمين»[١]. وقوله: «وربك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيَرَة»[٢]. ففي تفسير الرازي و«الكشاف» للزمخشري: ان الآية نزلت في المشركين، اذ قالوا بعدم اهلية النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ للرسالة من الله، «وقالوا: لولا نُزِّل هذا القران على رجلٍ من القريتين عظيم»[٣]. فرد الله عليهم بهذه الاية، واراد أن الله لا يبعث الرسول باختيار المرسَل اليهم، وانما الاختيار له تعالىٰ، وانه اعلم حيث يجعل رسالته[٤].

وقال تعالىٰ: «هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليُظهره علىٰ الدين كلّه، ولو كره المشركون»[٥]. وقال: «هو الذي بعث في الأُميّين رسولا»[٦].

وإن نصب الامام وجعل الخليفة لا يختلف مطلقاعن جعل الرسول وبعثه، فان النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ لما نزلت عليه آية: «وأنذر عشيرتك الأقربين»[٧] في بدء الرسالة، لم يتعد عن توحيد الله ورسالته ـصلىٰ الله عليه واله ـ إلاّ قَرَن بذلك الولاية والخلافة لمن يؤازره علىٰ امره، فلم يجبه الىٰ ذلك احد من رهطه وعشيرته الأقربين إلّا علي ـعليه السلام ـ فقال: انا يا نبي الله! اكون وزيرك. فأخذ رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ برقبة علي (عليه السلام) وقال: «إن هنا أخي ووصي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له واطيعوه». انتهى. وللحديث مصادر معتبرة يأتي ذكرها في محلها باذن الله.

---

١. سورة الدخان / ٣٢.

٢. سورة القصص / ٦٨.

٣. سورة الزخرف / ٣١.

٤. التفسير الكبير ٢٥/٩، الكشّاف ٣/٤٢٧.

٥. سورة الصف / ٩.

٦. سورة الجمعة / ٢.

٧. سورة الشعراء / ٢١٤.

والخلاصة: ان بعث النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وتعيين الوصي لا ينفكان احدهما عن الآخر في الشريعة الاِسلامية، وأن الخلافة مقترنة بالنبوة وكلا الأمرين بيد الله تعالىٰ وباختياره، لا بيد الأُمة ولا باختيارهم، وبما أن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ (مع اتصاله بوحي الله) نصب علياً ـ عليه السلام ـ للخلافة وولاية العهد بعده، علمنا ان الخلافة تتوقف علىٰ تعيينه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ دون انتخاب الأُمة الذي يؤول أخيراً الى القهر والخروج بالسيف ونشوب الفتن بين الامة نفسها، ولقد تواتر الخبر عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[1].

كما شاهدنا من حوادث التاريخ الدامية كيف سبَّب الخلافة الاِختيارية الوقوع في الضلالة وقيام الحروب والمنازعات وسفك الدماء وهتك الحرمات، وانتهاء دور الامامة الىٰ الطلقاء وابناء الطلقاء والىٰ بني مروان الشجرة الملعونة في القرآن.

ومما يصرح بأن الخلافة ليست الىٰ الناس وانما هي بيد الله، ما في تفسير الثعلبي ـ عند قوله تعالى: «له مُعَقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله»[2] ـ: ان عامر بن الطفيل جاء الىٰ رسول الله (صلى الله عليه واله) فقال: ما لي اِنْ سلمت؟ قال النبي (صلىٰ الله عليه واله): لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم. قال: تجعل لي الأمر من بعدك؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه واله): ليس لي، انما ذلك الىٰ الله يجعله حيث يشاء[3].

لا حجية للشورىٰ في الخلافة

لا ريب ان الشورىٰ في الخلافة باطلة، فلا يصح ما فعله عمر من حصر الخلافة

---

١. صحيح البخاري ١/٤١، كتاب العلم، باب الاِنصات للعلماء.

٢. سورة الرعد / ١١.

٣. المصدر مخطوط. وقد رواه ايضاً في مناقب آل ابي طالب ١/٢٥٧ عن الماوردي، مع اختلاف غير مخل بالمقصود.

في ستة، أو قياس الخلافة الالهية بالملوكية والاعتماد في تعيينها علىٰ القوة أو بحدّ السيف، إذ لا دليل علىٰ ذلك كله، لا من الكتاب ولا من لسنة.

قال ابن حزم في «الفصل» ـ عند الكلام في عقد الاِمامة وفي بطلان هذا القسم [١] ـ قال: ان اهل الشام كانوا قد ادعوا ذلك لأنفسهم حتىٰ حَمَلَهم ذلك علىٰ بيعة مروان وابنه عبدالملك، واستحلوا بذلك دماء أهل الاِسلام. قال ابو محمد ـ يعني نفسه ـ: وهو قول فاسد، لا حجة لأهله، وكل قولٍ في الدين عري عن ذلك من القران، او سنة رسول الله ـص ـ، او اِجماع الأُمة المتيقن، فهو باطل بيقين. قال الله تعالىٰ: «قل هاتوا برهانكم اِنْ كنتم صادقين» [٢] ... [٣] الى اخره.

ثم تصدىٰ ابن حزم ـ في نفس الصفحة ـ لاِبطال ما جعله عمر من الشورىٰ قائلاً: ان فعل عمر ـرض ـ لا يُلزم الأُمة حتىٰ يوافق نص قران او سنة، وعمر كسائر الصحابة ـرض ـ لا يجوز ان نخصه بوجوب اتباعه دون غيره من الصحابة ـرض ـ [٤]. انتهىٰ.

اقول: لا سيما بعد قول عمر: اِنْ مالَ ثلاثةٌ منهم الىٰ واحد، وثلاثةٌ الىٰ واحد، فاتبعوا الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف [٥]. فانه اناط أمر الاِمامة الىٰ رأي شخص واحد، وهو ابن عوف، ولا شك ان هذا لا حجة فيه، لاِنعقاد الاجماع علىٰ ان الاِمامة لا تنعقد بواحدٍ ليس بامام.

فاِنْ قيل: ان هذا يرجع الىٰ اختيار عمر لمن اختاره عبدالرحمن.

قلنا: ان المصَّحح عند المسلمين من عمل الامام هو أن يعقد الأمر قبل موته لشخص

---

١. هذا القسم: عقد الامامة بحضور الامام وفي المكان الذي يكون مركز حكومة الائمة.

٢. سورة البقرة / ١١١.

٣. الفصل ٤/١٦٨.

٤. الفصل ٤/١٦٩.

٥. الملل والنحل ٤/١٦٨ ـ ١٦٩، كنز العمال ٥/٧٣٣، العقد الفريد ٤/٢٧٦.

معين، لا أن يجعل اختياره تبعاً لِاختياره غيره ممن ليس بامام. قال ابن حزم في «الفصل» ـ بعد ذكر هذا الوجه من وجوه عقد الخلافة ـ: فبطل هذا القول بيقينٍ لا اشكال فيه، والحمد لله رب العالمين[1]. انتهى.

ثم قال: اِنَّ الأصح أن يعهد الاِمام الميت الىٰ انسان يختاره اِماماً بعد موته، وسواءٌ فعل ذلك في صحته او في مرضه وعند موته، كما فعل رسول الله بأبي بكر، وكما فعل ابو بكر بعمر، وكما فعل سليمان بن عبدالملك بعمر بن عبدالعزيز. وهذا هو الوجه الذي نختاره، ونكره غيره، لما في هذا الوجه من اتصال الامامة، وانتظام أمر الاِسلام واهله، ورفع ما يتخوف من الاِختلاف والشغب مما يتوقع في غيره، من بقاء الأمر فوضىٰ ومن انتشار الأمر وارتفاع النفوس وحدوث الأطماع»[2]. انتهىٰ.

أقول: قوله: «وحدوث الأطماع» هذا تعريض منه علىٰ القول في عقد الاِمامة باختيار الأُمة، واتفاق فضلائهم في اقطار البلاد. قال في «الفصل»: انه باطل، لانه تكليف ما لا يطاق، وليس في الوسع، وماهو اعظم: الحَرَج، والله تعالىٰ لا يكلِّف نفسا، وقال تعالىٰ: «ما جعل عليكم في الدين من حَرَج»[3]. ثم قال: اذ لا سبيل الىٰ اجتماع اهل الارض علىٰ ذلك ابداً، لتباعد اقطارهم، ولتخلّف مَنْ تخلَّف عن ذلك لعُذرٍ او علىٰ وجه المعصية، فلا يكون قياماً بالقسط المأمور به في قوله تعالىٰ: «كونوا قوّامين بالقِسْط»[4] وهذا خروج عن الاسلام. فسقط القول المذكور، وبالله تعالىٰ التوفيق[5]. انتهىٰ.

---

١. الفصل ٤/١٦٩.

٢. الفصل ٤/١٦٩.

٣. سورة الحج / ٧٨.

٤. سورة النساء / ١٣٥.

٥. الفصل ٤/١٦٧ ـ ١٦٨.

[تعيين الخليفة ليس بيد الأمّة]

اقول: اذاً تمت حجة الشيعة علىٰ بطلان اختيار الأُمة في تعيين الخليفة، وذلك لما عرفت من النصوص الكافلة لكون البعث ونصب الخليفة كليهماباختيارٍ من الله سبحانه. فمن ادعىٰ خلاف ذلك واكتفىٰ بتعيين الأُمة فعلية اقامة الحجة، وما لم تقم الحجة فالدعوىٰ باطلة. ولم نر ممن استند علىٰ صحة الانتخاب من حجة غير:

[١] ـ ما حصل من بعض الصحابة في بيعة أبي بكر في السقيفة.

ولكننا نناقش المدعين في مشروعية مثل هذا لانتخاب ـ مع ما كان فيه من الأحداث الجسام ـ فعليهم اولاً أن يصححوا هذا الاختيار بدليل شرعي، ويقيموا الحجة علىٰ أنه أحد اسباب إثبات الامامة وتعيين شخص الامام، ثم يبنون عليه صحة امامة أبي بكر ويثبتوه ثانياً. لا أنهم يصححون امامته بالاختيار ويصححون الاِختيار باختيار أبي بكر في السقيفة. وهي مغالطة واضحة تسقط بها الحجة عن الاعتبار.

[٢] ـ أمّا احتجاجهم لوجوب نصب الامام علىٰ الرعية: [بـ] «لا تجتمع أُمتي علىٰ ضلال»[١] وجعله برهاناً علىٰ صحة امامة ابي بكر فباطل، اذ ليس الكلام ههنا في صحة خلافة أبي بكر بعد فرض الاِجماع عليه، وانما الكلام في انه هل يجب للأُمة ان تجتمع علىٰ خلافة مَنْ فقد النص عليه ام لا، والحديث لا يدل علىٰ وجوب ذلك ولا علىٰ جوازه، بعد ما عرفت أن نصب الخليفة ليس من واجب الأُمة، بل يجب علىٰ الله لطفا.

[٣] ـ واما الاحتجاج بقوله: «ومَنْ يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدىٰ ويتبع غير سبيل المؤمنين،نوله ما تولىٰ...»[٢] الى اخره، فلا ريب في وجوب اتباع سبيل المؤمنين علىٰ مَنْ ظهر له الحق وتبين له الهدىٰ من الله او من رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ.

---

١ . الدر المنثور ٢/٢٢٢، الجامع الصغير ١/٨٨.

٢ . سورة النساء / ١١٥.

ولكن اين هذا ممن تبين له ذلك، ولم يعلم أن من دين النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ تفويض أمر الامامة الىٰ اختيار الأُمة، بل علم خلاف ذلك بعد النظر واستفراغ الوسع في الكتاب والسنة، وعدم العثور فيهما علىٰ ما يدل علىٰ حجية انتخاب يوم السقيفة او غير السقيفة، خصوصاً مع ترك النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ الوصاية اللازمة لأحد من الصحابة ـ كما يزعمون ـ، فلو كانت الوصية بالاِستخلاف واجبة، للزم عليه ـصلىٰ الله عليه واله ـ بيان ذلك او تعيين ابي بكر بالذات للخلافة.

[٤] ـ واما الاِحتجاج بقوله تعالىٰ: «اطيعوا لله، واطيعوا الرسول، واولي الأمر منكم»[١]، فأقصىٰ ما تدل عليه الآية وجوب طاعة ولي الأمر ممن تحقق نصبه وتعيينه للولاية بالطرق الصحيحة التي ذكرناها، دون مَنْ لم يتحقق ولم ينصب، فأين الآية من الدلالة علىٰ ايجاب التولية قبل ايجاب الاِطاعة.

[٥] ـ وقد احتجوا لوجوب نصب الامام علىٰ الرعية بأن الاِمامة تجب لأنها مقدمة الواجبات، كترويج الأحكام وإقامة الجهاد ودفع الفساد... الىٰ اخره، نظير وجوب الطهارة وستر العورة مقدمة لوجوب الصلاة، فكما ان الطهارة لا تكون اِلّا بذمة مَنْ عليه الفريضة ، كذلك فرض نصب الامام، فانه واجب علىٰ العباد.

أقول: وهذه الحجة غير تامة ايضاً، لأن الواجبات المذكورة ـ من إقامة الحدود، وسدّ الثغور، وتجهيز الجيوش، والجهاد [و]... ـ كلها من فروع طاعة الامام وامتثال اوامره، فتكون واجبة بأمره، وليست من موجبات تعيينه علىٰ الأمة. فما هو بذمة الرعية اِمتثال امر الامام والاِلتزام بطاعته، كالالتزام بطاعة النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ، فيكون واجباً عقلاً وسمعاً ـ ووجوبه لا يسبب وجوب نصب الامام علىٰ الرعية، كما ان وجوب طاعة النبي لا يسبب وجوب نصبه علىٰ الأُمة، ألا ترىٰ أن ايجاب الزكاة علىٰ الناس

١ . سورة النساء / ٥٩.

لا يستدعي وجوب تحصيل المال حتىٰ يُزكىٰ؟

مضافاً الىٰ ان وجوب الامور المذكورة ـ بعد فرض كونها من الواجب المطلق ـ لا يقتضي ايجاب نصب الإمام، لأن نشر الأحكام من واجب العلماء، وكذلك اقامة الحدود وغيرها، فهي من وظيفتهم ووظيفة كل رئيس مطاع، وأمّا الجهاد فيحصل بكل أمير مطاع في نفسه او باختيار المسلمين له موقتا، كاختيارهم لخالد بن الوليد في غزوة مؤتة بعد مقتل جعفر بن ابي طالب وصاحبيه، ولا يُخاف من الفوضىٰ، لأن الأُمة ـ علىٰ اصل الجماعة ـ مأمونة، وهي المؤدية والحافظة للشريعة. والنبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ لحق بالرفيق الأعلىٰ بعد أن اكمل دينه، وأتم النعمة، ولم يتعرض لشيء من أمر الإمامة بعده، فأيّة حاجة حينئذ الىٰ نصب الخليفة؟

نعم، تحتاج الأُمة الىٰ الامام علىٰ اصل الشيعة، وذلك لأن الأمان غير جارٍ بين الأنام ، وأيدي اهل البدع والشقاق لاعبة، والشريعة غير مصونة، والعصمة غير ثابتة، والأُمة محتاجة الىٰ الإرشاد والهداية، وقاعدة اللطف تقضي بنصب الخليفة من قبل صاحب الشريعة، واعطائه اياه ما كان لنفسه من ولاية الله علىٰ الخلق، فتجتمع فيه زعامةٌ روحية دينية هي حقيقة قوله تعالىٰ: «إني جاعل في الأرض خليفة»[١]، وزعامة دنيوية وحكومة غالبة، تدير بها شؤون الرعية، تثبيتاً لأمر الله تعالى، وإتماماً للدعوة المقدسة حتىٰ يكون كله لله. ومن هنا لم تنفك الامامة ـ التي هي الولاية العامة ـ عن الزعامتين.

ولاية الوصي مقتبسة من ولاية النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: إنَّ من يقوم مقام النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وينوب عنه في شؤونه، يكون خليفة الله في ارضه، ومَنْ يريد الله ان يحق به الحق ويقطع به دابر الكافرين، فيجب بالعقل والنقل ان يكون حائزاً لدرجة سامية تتلو درجة النبوة، فكما ان رسالة رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ

---

١. سورة البقرة / ٣٠.

تمنحه أقصىٰ مراتب الكمال في انبياء الله وخيرته من خلقه لقوله تعالىٰ: «وكان فضل الله عليك عظيماً»[١]. فكذلك الولاية التي يتقلدها مَنْ يخْلُف رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ ويحمل أعباء الخلافة والإمامة بعده، لا مناص من أن تكون اعلىٰ مراتب الولاية علىٰ المؤمنين.

وهذه صفة عظمىٰ للوصي والامام، لا تحيط بها معرفة الأوحدي من الناس، فضلاً عن عامتهم وسوادهم، لا سيما بعدما صارت الآراء مدسوسة، والأنظار مشوبة، والاغراض غير مأمونة عن الخطأ.

[أدلة انحصار تعيين الخليفة بالله]

فالفطرة السليمة تقطع بأن التعيين من الله سبحانه، ورسوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ هو الطريق الىٰ معرفة الامام والخليفة من دون تدخل الرعية.

أمّا اولاً: فلعدم احاطة الأُمة بمن تقوم به الحجة لله على خلقه، من مرشد عليم مأمون في رأيه ودينه، يبيِّن للناس ما اختلفوا فيه من احكامهم، ويُحسن سياستهم، ويدلهم علىٰ سبيل النجاة، ويزيح عنهم الشبهات، ويحفظهم عن التنازع والاِختلاف، وذلك بكامل عقله، وسلامة ذهنه، ووفور ذكائه، وشدة عزيمته، وهو مع ذلك يكون قوياً في حماية الناموس الاعظم، والدين الاقوم، داعياً الىٰ الطاعة، زاجراً عن المعصية. ومن البديهي عن العقلاء أن معرفة مثل هذا الشخص تختص بمن وسِعَ علمُه كل شيء، ويحيط بحقائق الامور، ولا يخفىٰ عليه شيء.

وأمّا ثانياً: فلوقوع الخطأ من الناس في الاِختيار، فلا يؤمن وقوع اختيارهم علىٰ الفاسق والمنافق والجاهل. فلقد صحت الرواية ان عبدالرحمن بن عوف ـ الذي عُهد اليه

---

١. سورة النساء / ١١٣.

الاختيار في اصحاب الشورىٰ ـ قد اعترف بالخطأ في اختياره عثمان بن عفان للخلافة، فقال: ما كنتُ أظن به الانحراف، ولكن لله عليَّ أن لا أُكلمه ابدا. فمات عبدالرحمان وهو مهاجر لعثمان. ودخل عليه عثمان عائداً [في مرضه][١]، فتحول عنه الىٰ الحائط ولم يكلمه. كما في «العقد الفريد» ـ لابن عبد ربه ـ في قصة الشورىٰ[٢]، وفي تاريخ ابي الفداء[٣].

وأمّا ثالثاً: فلأن الناس كثيراً ما يقع الخلاف والنزاع بينهم في مَنْ هو الاولىٰ والأرجح للامامة، وذلك لإختلاف ارائهم وتفاوت انظارهم، ولا سيما من اتبع منهم الأهواء والشهوات، والرغبات النفسية، فيختار جمعٌ شخصاً ويختار آخرون غيره، وحينئذ يقع التشاح، وتقوم الخصومات، وتنشب الفتن الدامية والمعارك الهائلة، وذلك ينافي الحكمة وينقض الغرض الأصلي من نصب الحجة.

أما اذا انقادت الأمة جميعاً الىٰ رئيس مطاع أمين منصوب من الله تعالىٰ، فانه يجمعهم علىٰ الهدىٰ والحق. ومن هنا لمّا مضت ثلاثون سنة علىٰ الخلافة، انقلبت الىٰ ملوكية محضة، لا يتم تعيين الخليفة إلّا بقوة السيف، مثل ملك كسرىٰ وقيصر. وليس ذلك إلّا لتدخل الأُمة في نصب امامهم، مع ما هم عليه من اتباع اغراضٍ دنيئة وشهوات نفسانية.

احتجاج الإمامية علىٰ اصحاب الاختيار[٤]: جاء في كتاب «الكافي» للكليني ـ طاب ثراه ـ في حديثٍ: ان سائلاً سأل الامام الحسن العسكري ـ عليه السلام ـ: ما المانع من أن يختار القوم إماماً لأنفسهم؟ فأحال ـ عليه السلام ـ جوابه علىٰ ولده الامام المهدي ـ عليه السلام ـ، فأجاب قائلاً: أمُصلحٌ أم مفسِد؟

قيل: مُصلح.

---

١. الزيادة من: المختصر في اخبار البشر ١/١٦٦.

٢. العقد الفريد ٤/٢٨٠.

٣. المختصر في أخبار البشر ١/١٦٦.

٤. اصحاب الاختيار: القائلون أن خليفة رسول الله يكون باختيار وانتخاب الأُمة، لا باختيار الله.

قال ـعليه السلام ـ: هل يجوز أن تقع خيرتهم علىٰ المفسِد بعد ان لا يعلم أحدٌ ما يخطر ببال غيره من صَلاح او فساد؟

قيل: بلىٰ.

قال: فهي العلة.

يعني: ان اصحاب الاختيار اِن جوزوا الخطأ في اختيار الأُمة لاِمامهم، كان ذلك هو السبب في عدم صحة الاعتماد علىٰ الاختيار، لجواز التخلُّف عمن فيه الصلاح بوقوعه علىٰ الفاسق والمنافق الذي يسعىٰ في هدم الدين.

ثم قال ـعليه السلام ـ: فهذا موسىٰ كليم الله مع وفور عقله، [وكمال علمه][1]، ونزول الوحي عليه، اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلاً ممن لم يشك في ايمانهم واِخلاصهم لله، فوقعت خيرته علىٰ المنافقين » علىٰ ما حكىٰ الله تعالىٰ...

ثم قال ـعليه السلام ـ: فلما وجدنا اِختيار مَنْ اصطفاه لله للنبوة واقعاً علىٰ الأفسَد دون الأصلح ، وهو يظن انه الأصلح، علمنا انه لا اِختيار لمن لا يعلم ما تخفي الصدور[2].

اقول: لا ريب ان الامام يجب أن يكون صالحاً في نفسه، مصلحاً لأمر رعيته، وهذه صفة تخفىٰ علىٰ المنتخِبين غالباً. ويؤيد ذلك احاديث افتراق الأمة الىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها هالكة وواحدة ناجية. كما في رواية الحاكم في «المستدرك»[3]، ومسند احمد[4]. فهي تناقض صحة انتخاب المنتخبين لكثرة الضالين.

---

١. الزيادة من الاحتجاج ٢/٢٧٤.

٢. لم أجد الحديث في «الكافي»، وهو موجود في الاحتجاج ٢/٢٧٣ ـ ٢٧٤ مع اختلافات مع المذكور هنا. والسائل هو سعد بن عبدالله الأشعري. والظاهر ان الرواية منقولة عن «الاحتجاج» اصلاً، مع نقل بعض الجُمَل بالمضمون.

٣. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/٥٤٧، ٤/٤٣٠.

٤. المسند ٣/١٤٥.

نعم، ان احاديث ايجاب التمسك بالثقلين: الكتاب والعترة، والاحاديث المصرحة بأنهم كباب حِطَّة، وسفينة نوح[١] ـ وجميعها متواترة من طرق العامة ـ تكشف لنا عن ان الفرقة الناجية هم الذين دانوا باتباع العترة الطاهرة النبوية، وان اختيار الله هو لاء للإمامة حجة علىٰ الخلق.

[الجواب عن ادلة صلاحية الأمة لاختيار الخليفة]

دفع الشبهات حول الإمامة: اورد الخصم شبهات حول اختيار الخليفة من قِبَل الأُمة، نتصدىٰ لدفعها، وهي:

اولاً: ان اِمامة الأئمة الاثني عشر ـ عند الشيعة ـ تمت بالاختيار في مَنْ عدا علي ـعليه السلام ـ، وذلك لأن اِمامتهم كانت بتعيين الامام السابق للامام اللاحق واختياره اِياه وهؤلاء الائمة ـ لاِنقطاع الوحي عنهم ـ لا يختلف اختيارهم عن اختيار سائر الرعية، مع ان الشيعة قائلون ببطلان الاختيار في الاِمام.

وجوابها: ان هذه الشبهة انما ترد علىٰ مذهب اهل السنة حيث لا يشترطون في الخليفة العلم والعصمة. اما الشيعة فتنتهي سلسلة الاِمامة والخلافة عندهم الىٰ الله والىٰ رسوله ـصلىٰ الله عليه واله ـ، فالنبي لا يختار اِلّا من اختاره الله بالعلم والوصية والأمن من الخطأ والزلل، وان كل واحدٍ من الائمة الاثني عشر ـعليهم السلام ـ منصوص عليهم من الله ورسوله[٢]، وان الله اوحىٰ بذلك الىٰ رسوله ـصلىٰ الله عليه واله ـ، والنبي كذلك اوصىٰ الى امير المؤمنين ـعليه السلام ـ، وهو الىٰ مَنْ بعده، وهكذا الىٰ آخرهم. فالوحي وإن كان منقطعاً عن الائمة ـعليهم السلام ـ، ولكنهم يعملون بالوحي السابق المنزَّل علىٰ جدهم ـصلىٰ الله عليه واله ـ،المعهود منه اليهم في تعيين خلفائهم واحداً بعد واحد. فالامام

١. فرائد السمطين ١/٢٤٢، كفاية الطالب / ٣٧٨، اِحياء الميت / ٢٧.

٢. راجع كتاب «إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات».

لا يختار للخلافة بعده اِلّا مَنْ عهد اليه ووجد فيه شروط الامامة والصلاحية التامة، اِذ هم جميعاً من أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا.

الشبهة الثانية: قالت الجماعة: أليس الاِجماع عندكم حجة؟ ألم يقع الاِجماع علىٰ خلافة المشايخ الثلاثة؟ أليس علي ـ عليه السلام ـ بايع ابا بكر وعمر بمحضر الصحابة، أليس فعله حجة قاطعة عند الجميع؟

قلنا: ان فعل علي ـ عليه السلام ـ حجة عندنا اذا كان صادراً عن اختياره ورضاه، ولم يكن صدوره عن اِكراه او تقية او وجوه اخرى. وأما بيعته ـ عليه السلام ـ مع مَنْ كان قبله، فستأتيك أنباء ما فيها، وانها كانت نتيجة القهر والغَلَبة.

وأمّا الاجماع، فلا حجية لنا فيه، ولا نقول به اِلّا أن يوافقه دليل معتبر يكشف عن رضا المعصوم، واِلّا فليس من المعقول والمنقول حجية قول أحدٍ أو فعله علىٰ أحد، اذ الأُمة ليست بمشرِّعة. فلو أن أحداً أوجب شيئاً أو حرَّمه، سُئل عن دليله ومدركه في ذلك الحكم من الكتاب او السنة، فان اتىٰ علىٰ ذلك ببرهان، واِلاّ فقوله مردود. وهذا مما أجمع عليه المسلمون، اذ لم يوجد أحد يعتبر الحكم بغير ما أنزل الله اِلّا أن يعلم ان القائل به مأمون عن الكذب او الوقوع في خلاف ما حكم به الله سهواً أو نسياناً.

فلاعبرة بقول الواحد و الأكثر، وانما المعتبر ـ بعد القران ـ قول رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ او قول مَنْ صح عنه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ الحديث، واِلّا لدخل في مَنْ قال عن الله بغير علم.

فظهر ايضاً بما ذكرنا بطلان الاِختيار وفساد حكمهم بوجوب اتباع مَنْ اختاروه في الدين او الدنيا.

الشبهة الثالثة: قالت الجماعة: ما السبب في اختلاف الشيعة، مع اتصال الامامة عندهم من امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ؟[1] فنجد منهم من افترقوا الىٰ طوائف مبتدعة،

---

١ . كذا في النسخة المطبوعة. والظاهر ان الصحيح اما «بأمير المؤمنين» او «الىٰ أمير لمؤمنين».

حتىٰ أن جماعة منهم كانت تُنازع الامام الصادق ـ عليه السلام ـ وابنه الكاظم والرضا ـ عليهما السلام ـ في الامامة.

قلت: سبب اختلافهم هو عين السبب في اختلاف الامم الماضية في انبيائهم، مع ما كان لهم من البراهين الجلية. وكما اختلف بنو اسرائيل وتخلفوا عن هارون ـ عليه السلام ـ مع ماكان في وجوده وتصرفه من اللطف، وأنه كان الأصلح للامامة، وفيه الرحمة والمغفرة، ومع هذا عكفوا علىٰ عبادة العجل.

وفي هذا كفاية في الجواب عما ناقش به ابن تيمية في إمامة أمير المؤمنين، مع إعترافه بالنص عليه ـ عليه السلام ـ، اذ قال في «منهاج [السنة]»: «اذا افضت النوبة الىٰ منصوصٍ حصل من سفك دماء الأُمة ما لم يحصل بغير المنصوص، ولم يحصل من مقاصد الولاية ما حصل بغير المنصوص، كان الواجب العدول عن المنصوص»[1]. انتهىٰ

وانت ترىٰ ان هذا القول يرجع الىٰ الإعتراض علىٰ الله وعلىٰ موسىٰ ـ عليه السلام ـ، اذ نصا علىٰ علي وهارون ـ عليه السلام ـ، فهل يصح ممن ينصب نفسه لنشر الدين أن يخطيء المنصوص عليه بالنص الالهي ويقول: بأن الأصلح غيره؟

فاذا قالوا: أليس نصب علي (عليه السلام) للخلافة ـ مع كونه مغلوباً ـ نقضاً للغرض؟

فجوابهم هو كل ما يجاب عن نصب هارون ـ عليه السلام ـ للخلافة، مع كونه مغلوباً. وكذلك في هود وصالح ويحيى وزكريا ـ عليهم السلام ـ.

ويُجاب أيضاً عن اختلاف الشيعة بما يجاب عن اختلاف الصحابة علىٰ رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في حياة نبيهم، وافترائهم علىٰ عائشة الإفك، وارادتهم قتله ليلة العَقَبَة، وبنائهم مسجد ضِرار، وتخلّفهم عن جيش أُسامة، وكراهتهم تأميره عليهم مع نصه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ عليه بالإمارة. كل ذلك في حياته ـ صلىٰ الله عليه واله ـ.

---

١. منهاج السنة ١/١٤٧.

وعن انقلابهم وارتدادهم بعد وفاته، وعن خروجهم علىٰ عثمان، وقتلهم اياه بحضور الصحابة، وعن تخلفهم عن امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، ونكثهم بيعته بعد قيام الاِجماع عليه، وخروج طلحة والزبير وعائشة عليه ـ عليه السلام ـ في البصرة... الىٰ اخره.

وأمّا امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ فلم يلحقه بذلك نقص في اِمامته، فانه الامام بالحق، ومَنْ خرج عليه كافر لا محالة، لقوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «مَنْ خَرَجَ عن الطاعة وفارق الجماعة، فمات، فقد مات ميتة جاهلية»[١]. و«من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»[٢].و«مَنْ مات وليس عليه اِمام، مات ميتة جاهلية»[٣].

أجل، ان ابن تيمية دعاه الحسد لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ علىٰ ان يقول فيه: ان العدول عن الامام المنصوص عليه واجب. ولكن لا يقول هذا في ابي بكر اذ حارب المسلمين الذين كانوا يشهدون الشهادتين ويقيمون الصلاة، كما اورده الشيخان في الصحيحين[٤]. ولا يقوله ايضاً في معاوية ورئيس الفئة الباغية، مع تصديقه بالخبر المعروف المتواتر عنه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «ويح عمار! تقتله الفئة الباغية».«يدعوهم الىٰ الجنة، ويدعونه الىٰ النار»[٥] اذ يصرِّح فيه بأن معاوية واصحابه هم أهل النار، ودعواهم دعوىٰ الفجار، قد عرَّفهم بصفة البغي.

ومثلهم اهل الجمل، اِذ يقول ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «علي اِمام البَرَرَة، وقاتل

---

١. صحيح مسلم ٣/١٤٧٨، كتاب الاِمارة، باب ١٣.

٢. صحيح مسلم ٣/١٤٧٨، كتاب الاِمارة، باب ١٣.

٣. الكنىٰ والاسماء ٢/٣.

٤. صحيح البخاري ٩/١٩، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج و..، صحيح مسلم ١/٥٢ ـ ٥٣، كتاب الايمان، باب ٨.

٥. البداية والنهاية ٧/٢٦٩، تاريخ مدينة دمشق ١٢/٦٢٦، كنز العمال ١١/٧٢٤ و١٣/٥٤٠.

الفَجَرة، منصورٌ مَنْ نَصَرَه، مخذولٌ مَنْ خذله»[1]. ويقول ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «اِن علياً وليكم بعدي»[2] أفهل يجوز مع هذا التصريح لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ان يُترك جهادهم؟

[**الشبهة الرابعة**]: قالت الجماعة: ما السبب في اختلافكم، مع أن علياً اعلم الأُمة ـ عندكم ـ بعد رسول الله (صلىٰ الله عليه واله) وهو (عليه السلام) اول الائمة الذين جاؤوا بعده من بنيه، فلِمَ لم يرفع الخلاف والخصومة عن الشيعة؟

وجوابهم: ان النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ توفي وقد بَلَّغ الأُمة أحكامهم كافة الىٰ يوم القيامة. قال تعالىٰ: «وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل اليهم»[3]. ومع هذا وقع الخلاف الشديد بين الأُمة وتفرقت كلمتهم اصولاً وفروعاً، حتىٰ ذهب بعضهم يكفِّر بعضا، وسُكفت من الدماء وهتكت من الحرمات ما لا يعلم عددها الّا الله. فالنبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وأمير المؤمنين من هذه الجهة سواء، فكما ان النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ مأمور بالتبليغ والهداية، فكذلك خليفته من بعده، وكما ان سبب الخلاف في جميع الأدوار هو التغلب والعناد والعصبية حتىٰ زمن الأنبياء، كذلك الخلاف الحاصل من غلبة اهل الباطل في زمن الأئمة الأوصياء.

وتوضيح المقال في حل هذا الاِشكال هو ان رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ اِمامٌ معصوم متصل بوحي الله تعالىٰ، وان الله تعالىٰ اكمل دينه به ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وبأُمنائه، ووعده ان يُظْهِرَ دينه علىٰ الدين كله. ومع هذا فقد اختلف المسلمون من بعده أشد الخلاف في الاصول والفروع، وكثرت الآراء والانظار الىٰ غير حد النهاية. فلو كان الاختلاف دليلاً علىٰ فساد المذهب، لزم من ذلك ان يكون دين الاِسلام باطلا، لوقوع الاختلاف بين المسلمين،

---

١. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٢٩، مناقب علي بن أبي طالب ـ للخوارزمي ـ / ١١.

٢. كنز العمال ١١/٦١٢.

٣. سورة النحل / ٤٤.

وافتراقهم في الدين كلياً وجزئياً الىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها هالكة اِلّا فرقة واحدة هي الناجية.

فكل ما يقال عن اختلاف مذاهب الشيعة، يقال ايضاً عن مذاهب السنة والجماعة، لاِختلاف هؤلاء في اصول العقائد الىٰ المعتزلة والاشعرية والجبرية والمعطّلة والقَدرية، والجهمية، والمُجَسِّمة، والمُشبِّهة، والقائلين برؤية الله تعالى، وبخلق القران. ولاِختلافٍ في الفروع الىٰ المذاهب الاربعة.

فلو كان الاختلاف سبباً لبطلان المختلف فيه جميعاً، لزم المصير الىٰ فساد تلك المذاهب ايضاً،لاِختلاف اصحاب الحديث مع اصحاب الرأي ـ وهم اصحاب أبي حنيفة ـ، بل ويلزم بطلان الصحاح الستة، لأجل ما فيها من التضارب والتناقض، بل وبطلان احاديث الصحيح الواحد منها، كالبخاري ـ مثلاً ـ لاشتماله علىٰ احاديث متنافية[١].

وخلاصة الجواب: ان نصب الامام كبعث النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ مشتملٌ علىٰ المصلحة العامة، لكن ذلك لا يكون بحيث يوجب الاِكراه والاِضطرار الىٰ حسم مادة الفساد.

فليس النصب والبعث مانعين عن نفاق المنافقين وضغن الكافرين وتمرد المتمردين واِضلال المضلين، كما يحدثنا القران الكريم بقوله تعالى: «قالت اليهود: عُزَيرٌ ابن الله. وقالت النصارىٰ: المسيح ابن الله»[٢]. وقوله: «يُحرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه»[٣]. وقوله: «وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله، ثم يُحَرِّفونه من بعدما عقلوه، وهم يعلمون»[٤].

فيكون حال الشيعة المتمردين عن العترة الطاهرة حال مَنْ أخبر الله عنهم في هذه

---

١. قد سبق التعرض لبعض هذه الاحاديث في الجزء الاول من هذا الكتاب، لاسيا في الصفحة ٥٦ ـ ٧٦.

٢. سورة البقرة / ٣٠.

٣. سورة النساء / ٤٦.

٤. سورة البقرة / ٧٥.

الآيات. فليست الكيْسانية والفَطَحية والزيدية والباطنية والاسماعيلية بأشنع مذهباً وأشد انحرافاً عن الحق عن المارقة والمجسِّمة وممن أثبتوا لله تعالىٰ الأعضاء والجوارح، وممن جوَّزوا القبيح علىٰ الله تعالىٰ... الى آخره.

وليس العجب ممن تخلَّف من بعض فِرَق الشيعة عن الامام بالحق، وانما العجب كل العجب ممن كانوا معاصرين أو قريبي العهد من رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، ومع ذلك اظهروا المنكر والفحشاء وتابعوا اهل الخنا في قتالهم آل محمد ـ صلوات الله عليهم ـ وانحرافهم عمن نص القران علىٰ وجوب مودتهم، وفي قتلهم ذرية رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ تحت كل حجر ومَدَر، وهدمهم الكعبة، واعمالهم القبيحة من واقعة الحَرَّة[1] وغيرها.

اما الشيعة الامامية فلا اختلاف بينهم في عقائدهم، لاتّباعهم ائمة الهدىٰ من أهل البيت الطاهرين ـ عليهم السلام ـ، وأخذهم منهم ـ عليهم السلام ـ المذهب الصحيح المتصل اسناده بالنبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ. فأما اذا اختلفوا في بعض الأحيان، فانما ذلك في فروع المسائل الفقهية فقط. وهذا الخلاف لزمته المصلحة العامة من التزامهم بالتقية الواجبة الحافظة لنفوسهم المبقية لتظلمهم، واتباعاً لقوله تعالى: «إلّا أن تتقوا منهم تقاة»[2].

* * *

تم بعون الله الجزء الاول من كتاب «الامامة الكبرىٰ والخلافة العظمى». ويتلوه الجزء الثاني بإذن الله تعالىٰ، ويبدأ بالمقصد الثالث: في شرائط الامام.

---

١. واقعة الحرة هي الهجوم الذي قام به الجيش الاموي علىٰ مدينة رسول الله، فقام بقتل الناس ونهب ممتلكاتهم، والاِعتداء بالعنف علىٰ النساء والبنات، وذلك في عام ٦٣ هجرية. سُميت هذه الواقعة بهذا الاسم لمحاصرة الجيش الأموي المدينةمن جهة الحرَّة او لأن بداية الاصطدام بين الجيش والسكان وقعت في منطقة الحرَّة.

٢. سورة آل عمران / ٢٨.

المقصد الثالث

في شرائط الإمام والخليفة

وهي عقلاً وسمعاً أُمورٌ:

الشرط الأول

كـــون الإمام أفضل الأمّة

لقد تطابق العقل والسمع علىٰ وجوب تقديم الافضل وعدم صحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل، ففي تقديمه من اللطف والرحمة ما لا يخفىٰ علىٰ ذي مسكة. ووافق فيما ذكرنا جمهور أهل السُّنة، كما صرح به ابن تيمية والطيبي والهروى والدهلوي الحنفي، فانهم ادعوا الإجماع علىٰ انه لا يولّىٰ الخلافة الّا أفضل الأُمة.

[كلمات الأعلام والصحابة في اشتراط افضلية الإمام]

١ ـ قال ابن تيمية في «منهاج السنة»: ان تولية المفضول مع وجود الافضل ظلم عظيم[1]. وقال: ان جمهور الناس وأهل الحديث وائمة الفقهاء فضّلوا عثمان علىٰ علي لإتفاق أهل الحل والعقد علىٰ مبايعته، فيلزم ان يكون هو الأحق. ومن كان هو الأحق كـان هـو الأفضل، فان أفضل الخلق مَنْ كان أحق ان يقوم مقام الرسول ـ ص ـ... فلو عدلوا عـن الحق مع علمهم بذلك، كانوا ظلمة، لا لخصوص الممنوع من الولاية، بل هو ظلم لكل من مُنع نفعه عن ولاية الأحق بالولاية. قال: ان رسول الله أفضل الخلق، وكل من كان به أشبه

---

١ . لم أجد التصريح بذلك. لكن ظاهر كلام ابن تيمية تعليقاً علىٰ كلام العلامة الحلي حول قبح تـقديم المفضول علىٰ الفاضل في «منهاج السنة» ٣/٧٧ انه مقرٌّ بذلك. وقد يستفاد ذلك أيضاً مما ذكره في الكتاب المذكور في ٤/١٢٦ ـ ١٢٧.

فهو افضل...، فمَن خَلَف النبي ـص ـ وقام مقامه، كان اشبه بالنبي، ومن كان اشبه، كان أفضل[١]. انتهىٰ

٢ ـ وقال الطيبي (في الفصل الثالث من مناقب الصحابة من شرح المشكاة، في شرح حديث: «لا ينبغي لقوم فيهم ابو بكر أن يؤمّهم غيره»): هذا دليل علىٰ فضله علىٰ جميع الصحابة، فاذا ثبت هذا، ثبتت خلافته، لان خلافة المفضول مع وجود الفاضل لا يصح.

٣ ـ وقال نور الدين الهروي في «شرح الفقه الاكبر»: واولىٰ ما يُستدل بـه علىٰ أفضلية الصديق نصبه للإمامة، ثم إجماع جمهورهم علىٰ نصبه للخلافة، وليس لهم أن يولوا الخلافة إلّا أفضلهم، وعليه إجماع الأُمة[٢]. انتهى

٤ ـ وقال شاه ولي الله الدهلوي في كتابه «قرة العينين» وكتابه «اِزالة الخفاء»: يلزم ان يكون الإمام أفضل الامة، ويكون محفوظاً مؤيداً من عند الله، ويكون مفترض الطاعة، فلا يتحقق الإستخلاف لغير الافضل، ولذا قال المرتضىٰ ـ عليه السلام ـ عند استخلافه الامام المجتبىٰ (عليه السلام): «اِن يُرد الله بالناس خيرا، فسيجمعهم بعدي علىٰ خيرهم». رواه الحاكم. وفي الحديث: «خلافة علي منهاج النبوة». وفيه: «تكون نبوة ورحمة، ثم خلافة ورحمة». فكما ان النبوة تلازم الأفضلية واِلّا يلزم قُبح المستنبيء جلّ ذكره، كذلك استخلاف شخص، فانه يدل علىٰ أفضليته، واِلّا كان نصبه وتعيينه خيانة، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ـص ـ: «من استعمل رجلاً من عصابة، وفي تلك العصابة مَنْ هو أرضىٰ لله منه، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين». وعن ابي بكر الصديق قال: قال رسول الله ـص ـ: «من وَليَ من أمر المسلمين شيئاً، فأمَّرَ عليهم أحداً مُحاباةً، فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا حتىٰ يدخله جهنم». أخرجها الحاكم[٣]. انتهى.

---

١. منهاج لسنة النبوية ٤/٢٠٢ ـ ٢٠٣.

٢. المصدر مخطوط.

٣. قرة العينين / ٨.

أقول: ان ما ذكره حجة قوية علىٰ بطلان قول مَنْ اكتفىٰ في الامامة بالكفاءة وحفظ الحوزة والسياسة مع الرعية، فهل هؤلاء يعتبرون في النبوة أيضاً مثل ذلك أم يعتبرون فيها الافضلية من جميع الوجوه؟

ومن المعلوم ان الإمامة نيابة عن النبوة وحالّة محلَّها في هذه الأُمة، فكما يُعتبر في النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ أن يكون افضل من أُمته، فكذلك الإمام وخليفته، بمعنىٰ أن لا يكون في رعية الإمام مَنْ هو أفضل منه ولو بجهة واحدة.

٥ ـ قال محب الدين الطبري في «الرياض النضرة» (في باب خلافة ابي بكر واثبات خلافته): ان احاديث افضليته كلها دليل علىٰ تعيّن ابي بكر علىٰ قولنا لا تنعقد ولاية المفضول عند وجود الأفضل[1].

٦ ـ وقال شارح المواقف: انما جعلها عمر شورىٰ بين الستة لأنه رآهم أفضل مَنْ عداهم، وانه لا يصلح غيرهم، وقال في حقهم: مات رسول الله ـ ص ـ وهو عنهم راض. ولم يترجح في نظره واحد منهم، وأراد أن يستظهر برأي غيره في التعيين[2]. انتهى

٧ ـ وفي «الصواعق المحرقة»، في باب خلافة أبي بكر: ان عمر أتىٰ أبا عُبيدة، أولاً ليبايعه، وقال انك أمين هذه الأُمة علىٰ لسان رسول الله ـ ص ـ. فقال: ما رأيتُ لك ضعفاً[3] قبلها منذ أسلمت، أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين»[4]؟

٨ ـ وفيها: ان ابا بكر قال لعمر: ابسط يدك لأُبايعك. فقال له: أنت أفضل مني. فأجابه: بأنك اقوىٰ مني. ثم كررا ذلك، فقال عمر: فان قوتي لك مع فضلك. فبايعه[5]. انتهىٰ.

---

١. الرياض النضرة ١/٢٢٣ ـ ٢٢٤.

٢. شرح المواقف / ٦١٤.

٣. في المصدر: «ما رأيتُ لك فهة» أي ضعف رأي.

٤. الصواعق المحرقة / ٧.

٥. الصواعق المحرقة / ٧.

أقول: ان ما ذكرنا من عبائر هؤلاء يدل على إناطة الإمامة بالأفضلية، وانه لو لا قبح إمامة المفضول مع وجود الأفضل ـ بمقتضىٰ العقول السليمة ـ لما باحثوا عن تـقديم الأفضل في السقيفة.

٩ ـ ولقد قال عمر (في ذلك المحضر) للناس: «أيكم يطيب نفساً أن يتقدم علىٰ مَنْ قدمه النبي ـ ص ـ في الصلاة»[1]؟

فترىٰ ان عمر لم يجوِّز لنفسه ولا لغيره التقدم علىٰ أبي بكر، وذلك لأفضليته عنده في الخصال التي ذكرها من انه الصديق وثاني اثنين في الغار.

١٠ ـ ثم ان النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ لما أمَّرَ اسامة علىٰ قاطبة الصحابة وأمره بالخروج بهم الىٰ أرض مؤته، طعن المهاجرون والأنصار في تأميره عليهم، لانه غلام حدث السن لا يليق بالإمارة علىٰ مشيخة الأصحاب مع قوة تدرّبهم في الحرب. ولما وصل الخبر الىٰ رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، قام خطيباً بينهم وقال: لئن طعنتم في تأميري أُسامة، فقد طعنتم في تأميري أباه من قبل، وأيم الله انه كان خليقا بالإمارة وابنه من بعده لخليق بها، وانه من خياركم...[2] (الحديث)

ففيه من الدلالة علىٰ ان الصحابة بحسب الفطرة انكرت علىٰ النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ إمارة أُسامة، لإنطباع غرائزهم علىٰ قبح تقديم المفضول علىٰ الأفـضل، وان النـبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ أقرهم علىٰ فطرتهم، غير انه (صلىٰ الله عليه واله) أجابهم بأن أُسامة مثلهم خليق بالإمارة، وانه من خيارهم.

١١ ـ ثم ان ابا بكر حين اراد استخلاف عمر، دخل عليه بعض الاصحاب كطلحة وعبدالرحمن بن عوف وآخرين، وخاطبوه في ذلك قائلين: ما أنت قائل لربك اذا سألك عن

---

١. الصواعق المحرقة / ٧.

٢. صحيح البخاري ٦/١٩، باب بعث النبي اسامة بن زيد. صحيح مسلم ٤/١٨٨٨٥، كتاب فضائل الصحابة، باب ١٠. مسند احمد ٢/٢٠ و٩٨، ٦/١٠.

تولية عمر وقد ترىٰ غِلظته؟ فقال ابو بكر: «أجلسوني، أجلسوني، أبالله تخوفوني؟ أقول: اللهم اني استخلفتُ عليهم خير أهلك». كما في رواية «الرياض النضرة»[1] وصواعق ابن حجر[2]. وفي رواية اخرىٰ: «ولَّيتُ عليهم خيرهم». وفي ثالثة من قوله «اذا سألني الله، قلت: استخلفتُ علىٰ أهلك خيرهم لهم». رواه علىٰ المتقي الهندي في «كنز العمال» ـ في ذكره خلافة عمر ـ[3].

فهذه صريحة في ان ابا بكر جعل مدار الخلافة، الخيرية المحضة والأفضلية المطلقة.

١٢ ـ ثم ان عمر لما طُعِن، واراد تعين الخليفة، اختار من الصحابة من هم الأفضلون من البقية، وهم الستة الباقية من العشرة المبشّرة، غير أنه لما رأىٰ اِتصاف كل واحدٍ منهم بصفة ذميمة عنده، جعل الأمر شورىٰ بينهم، يختارون للخلافة أفضلهم وأقربهم للصواب.

١٣ ـ ثم ان من احاديث القوم ما رووه عن النبي (صلىٰ الله عليه واله) من قوله لأبي الدرداء حين كان يمشي أمام أبي بكر: «أتمشي أمام من هو خير منك»؟ (الحديث)[4].

فهو حجة ملزمة لقبح تقدّم المفضول علىٰ الفاضل في المشي، فضلاً عن التـقدم في الامامة والخلافة.

[اِنكار وجوب اِمامة الافضل]

أ / ابن حزم الاندلسي وانكاره وجوب امامة الأفضل.

قال في كتابه «الفصل في الملل والنحل»: وما يُعلم لمن قال ان الامامة لا تجوز اِلّا لأفضل مَنْ يوجد، حجة اصلاً، لا من قرانٍ ولا من سنةٍ ولامن اِجماع ولا من صحة عقلٍ ولا قياس. وقد قال ابو بكر يوم السقيفة: قد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين، يعني ابا عبيدة

---

١. الرياض النضرة ١/٢٣٧. واللفظ له.

٢. الصواعق المحرقة / ٥٣.

٣. كنز العمال ٥/٦٧٨.

٤. كنز العمال ١١/٥٥٦.

وعمر. وابو بكر أفضل منهما. ودعت الانصار الىٰ بيعة سعد بن عبادة، وفي المسلمين من هو افضل. ثم عهدَهم عمر الىٰ ستة رجال، وان لبعضهم علىٰ بعض فضلا[1]. انتهىٰ.

ويرد عليه: ان الكتاب اقوىٰ برهان علىٰ وجوب تقديم الأفضل في قوله تعالى: «أفمن يهدي الىٰ الحق أحقُّ أن يُتَّبعَ أمَّن لا يهدّي اِلّا أن يُهدىٰ ؟ فمالكم كيف تحكمون»[2]؟ دل علىٰ ان المتفاضل بعلمه الىٰ الحق هو المتبع دون من لا يهتدي اِلّا بهداية غيره.

وليس التقابل في الاية بين الهادي والمضل ـ كما توهمه ابن تيمية وزملاؤه وقالوا ان هذا خارج عن الفرض ـ اذ لا فضل للمضل من جميع الوجوه مطلقا، وهذا منهم اِقتراح صِرْف في توجيه الآية. لان الله تعالىٰ جعل التقابل بين الهادي الىٰ الحق بنفسه وبين المهتدي الىٰ الحق بغيره، وجعل الهادي الىٰ الحق أقدر وأحق بالاِتباع من المهتدي بغيره، وليس ذلك اِلّا لأن الأول أفضل.

نحوه قوله تعالىٰ: «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ انما يتذكر اولوا الالباب»[3]. دل علىٰ عدم التساوي بين العالم وغيره العالم، وجعل الرجحان في طرف العالم، فلا يصح المصير الىٰ غيره مع وجوده، وهذا ايضاً هو مقتضىٰ العقل السليم،لقوله تعالىٰ: «انما يتذكر اولوا الألباب».[4]

وأمّا دلالة السُّنة علىٰ لزوم ترجيح الفاضل علىٰ المفضول، فقد عرفت مما قلناه، مضافاً الىٰ ما عرّفناك به من نهوض الاِجماع علىٰ وجوب الرجوع الىٰ أفضل الامة والبناء علىٰ امامته.

وأمّا قول ابي بكر «قد رضيتُ لكم أحد هذين» ـ يعني أبا عبيدة وعمر ـ، فاِمّا مُأوّلٌ الىٰ زعمه بأنهما أفضل منه، أو انهما اقوىٰ وأليق بالاِمارة، نظير قوله: «أقيلوني، ولستُ

١. الفصل في الملل والاهواء ٤/١٦٣ ـ ١٦٤.

٢. سورة يونس / ٣٥.

٣. سورة زُمَر / ١٩.

٤. سورة الرعد / ١٩.

بخير منكم»، وقوله: «ان لي شيطاناً يعتريني..». وإمّا تجافٍ من حقه لغيره إذ راىٰ المصلحة فيه.

وأمّا ذهاب الانصار الىٰ بيعة سعد بن عبادة، فان من نظر في أخبار السقيفة ـ ولا أقل ما في «الصواعق المحرقة» ـ، يرىٰ ان الانصار لم يكونوا مذعنين لواحدٍ من المهاجرين أنه أفضل منهم، ولذا قال سعد في خطبته: «نحن انصار الله وكتيبة الاسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين! رهط نبينا، وقد دفَّت الينا دافّة منكم»[1]. وقال الحُباب بن المنذر ـ وكان من الانصار ـ «أنا جُذَيْلها المحكك، وعُذَيْقها المرجَّب[2]، منا أمير ومنكم امير». وأن سعداً لم يبايع ابا بكر الىٰ أن مات، حيث لم يرله الفضل عليه[3].

هذا كله مع خطأ الانصار في تجاوزهم عن قريش ورفضهم حديث أبي بكر «الأئمة من قريش».

واما فعل عمر في الشورىٰ، فبأنه جعل النظر فيها لعبد الرحمن بن عوف، وهو عنده أفضل من البقية، وانه لا يختار غير الأفضل، أو أن الكل متساوون في الفضل.

ب / مقالة بن تيمية الحراني ونقضها

قال في «منهاج السنة» ـ عند كلام العلامة الحلي (قدس سره): ان الامام يجب ان يكون أفضل من رعيته، وعلي (عليه السلام) أفضل أهل زمانه، علىٰ ما يأتي، فيكون هو الامام، لقبح تقدم المفضول علىٰ الفاضل عقلاً ونقلاً[4]:

أولاً: أنا لا نسلّم ان علياً أفضل أهل زمانه، بل خير هذه الأُمة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر.

وثانياً: ان الجمهور من اصحابنا وغيرهم وإنْ كانوا يقولون بوجوب تولية الأفضل حتىٰ الامكان، لكن هذا الرافضي لم يذكر حجة علىٰ هذه المقدمة.

---

١. دفّت الينا دافة منكم: دبّ قوم منكم بالاستعلاء والترفع علينا.

٢. المعنىٰ: انا يشتفىٰ برأيي وتدبيري، وأمنع بجلدتي ولحمي كل نائبة تنوبهم. وهذا استعارة بالكناية.

٣. الصواعق المحرقة / ٦.

٤. منهاج الكرامة / ٥٢.

قال: وأيضاً فكثير من الناس يقول: ولاية الأفضل واجبة اذا لم تكن في ولاية المفضول مصلحة راجحة، ولم تكن في ولاية الأفضل مفسدة. فالرافضة وان قالوا حقا، فلا يقدرون ان يدلوا عليه بدليل، لأنهم سدوا علىٰ انفسهم كثيراً من طرق العلم، فصاروا عاجزين عن بيان الحق...[١] الى آخر كلامه.

قلت: أمّا اِثبات أفضلية أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ بجميع وجوه الفضل من العلم والعصمة والطهارة والحكمة والقرابة وقوة الايمان والشجاعة والسبق الىٰ رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، وانه قرينه في مبدأ الخلق والتكوين، وان نوره مع نوره، وأنه ثاني اثنين له، وانه اخوه ونفسه والمبلِّغ عنه (صلى الله عليه واله)، فسيأتيك انباء ذلك من غير استعجال.[٢]

وأمّا قوله «اذا لم تكن في ولاية المفضول مصلحة راجحة، ولم تكن في ولاية الأفضل مفسدة» فهو مقدمة لبيان ان في ولاية مَنْ تقدم علىٰ علي ـ عليه السلام ـ من المصالح ما ليس في ولاية علي ـ عليه السلام ـ وهو الأفضل، بل فيه مفسدة عظيمة، فلا لطف. فيتوجه عليه انه علىٰ خلاف المفروض، لأن المقصود بالأفضل هو الفضل من جميع الجهات حتىٰ جهة الصلاحية لدين الرعية ودنياهم، ومع فرض المفسدة الدينية كيف تبقىٰ الأصلحية؟ ألا ترىٰ ان عثمان ـ وهو ثالث ثلاثة ـ ناقشه رعاياه وأهل بلاده في دينه وأفعاله وأفعال عماله، فقتلوه لذلك، وقامت الفتنة؟ فأين المصلحة فيه وفي خلافة معاوية زعيم الفئة الباغية وقاتل النفس المحترمة البريئة؟ وكذلك مَنْ بعده من بني مروان بني الوزغة واخوان القردة، وقاتلي العترة الطاهرة النبوية، وممزقي الكتاب، ومظهري البدعة؟

واما قتال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ فهو لتقويم الدين، وفي القران قوله تعالىٰ:

---

١. منهاج السنة النبوية ٣/٢٧٧ ـ ٢٧٨.

٢. وذلك في الجزء الثالث المختص بهذا الموضوع.

«وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة، ويكون الدين لله، فإن انتهوا، فلا عدوان إلّا علىٰ الظالمين»[١]. وقوله سبحانه: «وكأيِّن من نبي قاتل معه ربّيّون كثير، فما وهَنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضَعُفوا، وماastكانوا، والله يحب الصابرين»[٢]. وإنْ هذا إلّا معنىٰ اللطف الواجب فيه، وفي قوله تعالى: «يا أيها النبي! جاهد الكفار والمنافقين، واغلُظ عليهم»[٣]. وقوله تعالىٰ: «وإنْ نكثوا أيْمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم، فقاتلوا أئمة الكفر...»[٤].

وفي المتواتر من الحديث عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ: «إنّ منكم مَنْ يقاتل علىٰ تأويل القران، كما قاتلتُ علىٰ تنزيله». قال أبو بكر انا هو يا رسول الله! قال: لا. قال عمر: انا هو؟ قال: «لا، ولكن خاصف النعل». وعليٌ يخصف نعله[٥].

أخرجه: أحمد بن حنبل في «المسند»[٦]، والحاكم في «المستدرك»[٧]، والذهبي في «التلخيص»[٨]، وابن كثير الشامي في البداية والنهاية»[٩]، وعلي المتقي الهندي في «كنز العمال»[١٠]، وابن الأثير الجزري في «أُسد الغابة» ـ في ترجمة علي عليه السلام ـ[١١]، والمحب

١. سورة البقرة / ١٩٣.
٢. سورة آل عمران / ١٤٦.
٣. سورة البراءة / ٧٣.
٤. سورة البراءة / ١٢.
٥. نعله: نعل رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ. ويخصف نعله: يخرزها بالمخرز.
٦. مسند احمد بن حنبل ٣/٣٣، ٨٢.
٧. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٢٢. وقال فيه: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين.
٨. تلخيص المستدرك ٣/١٢٢.
٩. البداية والنهاية ٧/٣٦١ ـ ٣٦٢.
١٠. كنز العمال ١١/٦١٣.
١١. أُسد الغابة ٤/٣٢.

الطبري في «ذخائر العقبىٰ»[١]، و«الرياض النضرة»[٢].[٣]

---

١ . ذخائر العقبىٰ / ٧٦.

٢ . الرياض النضرة ٢/٢٥٢.

٣ . يتبين من استقراء كلمات مجموعة من اعلام ومتكلمي المذهب السُّني حول إمامة المفضول مع وجود الأفضل انهم مذعنون بقُبح ذلك، لكن بعضهم انكر ذلك في كتاباته تبريراً لمقتضيات الأمر الواقع، أو لحوادث التاريخ فيما يتعلق بحكومة المفضولين بعد وفاة رسول الله، أو لإضفاء الشرعية علىٰ بعض الحكومات، أو لمعارضة خصومه الشيعة. كما يظهر من كلمات بعضهم إبتناء إنكاره علىٰ كون النصب للامامة بيد الناس، لا من قبل الله. ولا يخفىٰ ان الحكومة ليست من شروط الإمامة، بل هي من شؤونها، فمجرد المسك بزمام الامور لا يوجب صيرورة الحاكم إماماً، كما لا يوجب عدم وجود الحكومة بيد الامام، انعزاله من منصب الإمامة الذي اعطاه الله له.

الشرط الثاني

كـــون الاِمام معصومـــاً

فتكون العصمة من مقومات الاِمامة، ولولاها لم يكن الشخص اِماماً من جانب الله تعالىٰ، كما انه لا يكون نبياً مرسلاً لو لم يكن معصوماً. والمراد بالعصمة في الاِمام والخليفة ما هو المراد بها في النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ من عدم جواز الخطأ عليه وعدم صدور المعصية منه.

والبرهان علىٰ وجوب كون الاِمام معصوماً ماهو البرهان علىٰ وجوب كون النبي معصوماً غير جائز الخطأ من الغلط والسهو والنسيان، وذلك لأن الامام حافظ للشرع ومؤدٍ له، فلو جاز عليه الخطأ، كان ذلك نقضاً للغرض من نصبه، ومنافياً لايجاب طاعته في قوله تعالى: «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم»[1]، ومناقضاً لقوله تعالىٰ: «اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»[2]، ولقوله سبحانه: «ولا تركنوا الىٰ الذين ظلموا فتمسكم النار»[3]. وأي ركون واعتماد اشد واعظم من اِعطاء القيادة الدينية العامة والولاية المطلقة لخاطيء في الشريعة أو من يتبع خطوات الشيطان ولا يكون علىٰ صراط مستقيم؟

---

١. سورة النساء / ٩٥.

٢. سورة البراءة / ١١٩.

٣. سورة هود / ١١٣.

فالواجب لنصب الاِمام ـ من الله تعالىٰ أو من الناس ـ هو جهل الرعية وجواز الخطأ عليهم في شرعياتهم وسياساتهم، فلو كان الامام مثلهم في عدم الدراية، لكان هو أحوج الىٰ اِمام مرشد عليهم لا يخطيء، فيكون هو الامام الاصلي.

فإذاً العقل والنقل تطابقا علىٰ وجوب العصمة في الامام كالنبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ.

[النقاش في القول بعدم اشتراط العصمة]

ابن تيمية وذهابه الىٰ عدم قدح الفسق في الاِمامة: قال ابن تيمية في «المنهاج»: ان النبي ـ ص ـ لم يأمر بطاعة الائمة مطلقا، بل أمرهم بالطاعة في طاعة الله دون معصيته، وهذا يبين ان الائمة ليسوا بمعصومين. وفي صحيح مسلم: عن عوف بن مالك قال: سمعت رسول الله ـ ص ـ يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلّون عليهم ويصلّون عليكم. وشِرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم». قال: قلنا يا رسول الله! أفلا نُنابِذهم عند ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا [فيكم][1] الصلاة. ألَا مَنْ وَليَ عليه والٍ، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعنَّ يداً من طاعة»[2]. وهذا يبين ان الائمة هم الأُمراء وولاة الامور، وانه يُكره ويُنكر ما يأتونه من معصية الله، ولايُنزعنَّ اليد عن طاعتهم، بل يطاعون في طاعة الله، وان منهم خياراً وشرارا.

قال: وفي الصحيحين: عن ابن عمر عن النبي ـ ص ـ قال: «علىٰ المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره، اِلّا أن يؤمر بمعصية، فان أُمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة»[3]. انتهىٰ[4].

١. الزيادة من المصدر.
٢. صحيح مسلم ١٤٨١/٣، كتاب الاِمارة، باب ١٧.
٣. صحيح مسلم ١٤٦٩/٣، كتاب الاِمارة، باب ٨. صحيح البخاري ٦٠/٤، كتاب الجهاد، باب ١٠٧.
٤. منهاج السنة ٢٨/١.

أقول: كيف يكون مَنْ هو من شرار الناس ومن جبابرهم إماماً وهادياً منصوباً من عند الله تعالىٰ؟ أم كيف يُطاع ويُنقاد له وهو غير مأمون في الدين والدنيا؟ فكيف ينوب عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ وهو من الدعاة الىٰ النار كما قال تعالىٰ: «وجعلناهم أئمة يدعون الىٰ النار، ويوم القيامة لا يُنصرون. وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة، ويوم القيامة هم من المقبوحين»؟[1].

وقال سبحانه: «فهل عسيتم اِنْ تولّيتم أنْ تُفسدوا في الأرض وتُقطِّعوا أرحامكم؟ اولئك الذين لعنهم الله، فأصمَّهم وأعمىٰ أبصارهم»[2]. فالاية قدح في اُمراء السوء وانهم ملعونون من الله تعالىٰ. وقال جلَّ جلاله: «والذين كسبوا السيئات جزاءُ سيئة بمثلها، وترهقهم ذلّة، ما لهم من الله من عاصم. كأنما اُغشيت وجوههم قِطَعاً من الليل مُظلما. اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون»[3].

وفي «المسند» للامام احمد: عن حذيفة عن النبي ـ ص ـ قال: «ستكون اُمراء يكذبون ويظلمون، فمن صدّقهم بكذبهم، وأعانهم علىٰ ظلمهم، فليس منّا ولستُ منهم، ولا يرد عليَّ الحوض». انتهىٰ. فكيف يجوز علىٰ الله تعالىٰ أن يجعل أمثال هؤلاء اُمراء علىٰ عباده واُمناءه في بلاده؟ فهل يجوز علىٰ غيره من العقلاء ان يجعل الخونة وأشياع الضلالة مورداً لاِيجاب الطاعة؟

وفي «صحيح مسلم» ـ باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته، النار ـ من حديث معقل بن يسار، قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، اِلّا حرَّم الله عليه الجنة»[4]. وفي الحديث الصحيح: من رضي باِمام باطل، فقد كفر.

---

١. سورة لقصص / ٤١ ـ ٤٢.

٢. سورة محمد / ٢٢ ـ ٢٣.

٣. سورة يونس / ٢٧.

٤. صحيح مسلم ١/١٢٦، كتاب الايمان، باب ٦٣.

وفي «الخصائص الكبرىٰ» للسيوطي: انه أخرج احمد والبزار بسند صحيح عن ابي هريرة عن النبي ـ ص ـ قال: «نعوذ بالله من رأس الستين ومن إمارة الصبيان»[١].

وفي كتاب «صادق الفجرين» ـ للنعمان أفندي الآلوسي، مفتي بغداد. قال في الفصل الثالث والعشرين،نقلاً عن ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري ـ: ان من حديث ابن أبي شيبة ان ابا هريرة كان يمشي في السوق ويقول: اللهم لا تدركني سنة ستين ولا إمارة الصبيان. قال: وقال الحافظ ابن حجر: ومن حديث آخر عن أبي هريرة رفعه:«اعوذ بالله من إمارة الصبيان». قالوا: وما إمارة الصبيان؟ قال: «ان اطعتموهم، هلكتم ـ أي في دينكم ـ، وإن عصيتموهم، أهلكوكم». أي في دنياكم بازهاق النفس أو باتلاف المال[٢].

هذا كله مضافاً الىٰ قوله تعالىٰ «وما جعلنا الرؤيا التي اريناك إلّا فتنة للناس، والشجرة الملعونة في القران، ونخوّفهم، فما يزيدهم إلّا طغياناً كبيرا»[٣].

والمراد من «الشجرة الملعونة» بنو اُمية، كما وقع التفسير بها في مسطورات أعاظم علماء أهل السنة، كتفسير الفخر الرازي[٤]، وتفسير القرطبي[٥]، والطبري[٦]، وتفسير الخازن[٧]، و«روح المعاني»[٨] للسيد محمود الآلوسي، و«الدر المنثور»[٩] للسيوطي.

وفي كتب الحديث أيضاً تفسير «الشجرة الملعونة» ببنى الحَكَم بن العاص وبني

---

١. الخصائص الكبرىٰ ٢/٤٩٢.

٢. المصدر مخطوط.

٣. سورة الإسراء / ٦٠.

٤. التفسير الكبير ٢٠/٢٣٧.

٥. الجامع لأحكام القران ١٠/٢٨٦.

٦. لم اجده في المصدر عند تفسير الاية في ١٥/١١٣ ـ ١١٥ منه.

٧. لم اجده في تفسير الآية في ٤/١٣٦.

٨. روح المعاني ١٥/٩٩.

٩. الدر المنثور ٤/١٩١.

مروان وبني امية، كما في: «فتح الباري بشرح البخاري» للعسقلاني ـ عند قوله تعالىٰ: «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك»[١] ـ، و«المستدرك»[٢] للحاكم، و«التلخيص»[٣] للذهبي، وصححاه، و«الخصائص» للسيوطي، و«التاريخ»[٤] للخطيب البغدادي.

والغرض من التطويل حسم مادة الشبهة التي ألقاها ابن تيمية في أذهان الجُهّال تشييداً لمباني امراء السوء، خلافاً علىٰ الله وعلىٰ رسوله ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ واتباعاً لهوىٰ النفس. وما اعتمد عليه من الصحيح عنده هو الفاسد في قبال نصوص الكتاب والسنة الصريحة في رفض من تأمَّر علىٰ المسلمين وهو ليس علىٰ نهج الحق وعلىٰ صراط مستقيم.

ولا يكون المخطيء ممن يتبع هواه وهو المحتاج الىٰ هادٍ وولي مرشداً عليهم، فيتسلسل تسلسلاً باطلاً، أو ينتهي الىٰ إمامٍ لا يجوز عليه الخطأ، فيكون هو الإمام والمقتدىٰ. وحجتنا هذه من قبيل وجوب إنتهاء سلسلة الممكنات الىٰ الواجب بالذات، فدل العقل والنقل علىٰ وجوب عصمة الإمام علىٰ الأنام.

ثم انه لو اقتحم الخليفة في المعصية، فان أُطيع، كانت طاعته معصية لله تعالىٰ وركوناً الىٰ الظالم، ورفضاً لقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، وكونوا مع الصادقين»[٥]. وإن انكروا عليه المعصية ـ ومعه القوة السفّاكة ـ، أوجب ذلك ثوران الفتنة، وهو منافٍ للغرض في اختياره. ألم تَرَ الىٰ ما فعل يزيد بن معاوية بأهل المدينة في واقعة الحرَّة؟ والى ما فعلت عائشة وطلحة والزبير في يوم الجمل، ولم تؤثِّر فيهم أية نصيحة أو أية حجة من الله

---

١. فتح الباري ١٣/١٠.

٢. المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/٤٨٠.

٣. تلخيص المستدرك ٤/٤٨٠.

٤. تاريخ بغداد ٣/٣٤٣. والذي فيه «بنو فلان».

٥. سورة البراءة / ١١٩.

ورسوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ؟ والىٰ ما فعل المسلمون بعثمان[١] والىٰ ما فعله هو من ضرب عمار[٢] واِخراج أبي ذر الىٰ «الرَّبَذَة»[٣]، وحرقه المصاحف[٤]؟

فأية مصلحة حاصلة من الاِنكار علىٰ الاِمام المخطيء؟ فَلِمَ لم تحصل من اِنكار عمر علىٰ أبي بكر قتال أهل القبلة[٥]؟ وعلىٰ عدم اِجراء القصاص والحد علىٰ خالد بن الوليد[٦]؟ وعلى انتزاعه فدك من فاطمة ـ عليها السلام ـ[٧]؟ وقد ماتت وهي عليه واجِدة[٨].

[العدلة لا تكفي]

مقالة الجماعة في الاكتفاء بالعدالة: قالت الجماعة: لِمَ لا يجوز أن يكون الخليفة من قبل المسلمين حاله حال المجتهدين في الاِكتفاء بالعدالة، ويكون معذوراً اذا اجتهد وأخطأ، كما أن نواب الامام بنحو العموم والخصوص ـ عند الشيعة ـ معذورون ان اخطأوا؟

قلت: اِذن فما تصنع الامة برأي امامهم اذا علمت بخطئه أو خالف اجتهادهم اجتهاده؟ فهل يطيعونه في رأيه ويخالفونه؟ فاِن وافقوه، خالفوا المشروع من الدين عندهم.

---

١. راجع: الغدير في الكتاب والسنة والادب ٩/١٦٨ ـ ٢٠٨.

٢. انساب الاشراف ٥/٤٨.

٣. انساب الأشراف ٥/٢٥ ـ ٥٤، تاريخ اليعقوبي ٢/١٤٨.

٤. صحيح البخاري ٦/٢٢٦، باب جمع القران. تاريخ الخميس ١/١٥.

٥. صحيح البخاري ٩/١٩، مسند أحمد ١/٤٨، البداية والنهاية ٦/٣١١.

٦. البداية والنهاية ٦/٣٢٢، سير أعلام النبلاء ١/٣٧٢، تاريخ الرسل والملوك ٣/٢٨٠، ٢٧٨.

٧. صحيح البخاري ٥/١٧٧، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر.

٨. صحيح البخاري ٤/٩٦، كتاب الجهاد، باب فرض الخمس. صحيح مسلم ٣/١٣٨٠ كتاب الجهاد، باب ١٦. الامامة والسياسة / ١٤. تاريخ الرسل والملوك ٣/٢٠٨. وراجع التعليقة ٥ من صفحة ٦٦ من هذا الجزء. وفي شرح نهج البلاغة ٢/١٩ أن فاطمة الزهراء غضبت علىٰ عمر لمّا ظلمها وقالت: «والله لا أكلّم عمر حتىٰ القىٰ الله».

وان ردوا عليه، خرجوا من طاعته، وهو نقض للغرض من نصبه وبيعته. مع انه موجب لثوران الفتنة، كفتنة خلاف بني حنيفة مع ابي بكر، حيث ادىٰ اجتهادهم الىٰ تصديهم للزكاة وعدم اِخراجها الىٰ أبي بكر، وكفتنة الصحابة مع عثمان، وغير ذلك من الفتن.

لا يقاس ولاية الإمام علىٰ الامة بولاية المجتهد والعالم، فان ولاية هؤلاء قاصرة مقصورة علىٰ طائفة خاصة من مقلديهم، ولا تعمّ مقلدي غيرهم ولا غيرهم من المجتهدين. وأما ولاية الامام، فهي عامة لجميع البرية، وتكون من شؤون ولاية النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ الثابتة بقوله تعالىٰ: «النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم»[١].

ويكون وجه الحاجة الىٰ مثل هذه الولاية وكونها لطفاً في الشريعة هو ارتفاع العصمة وجواز وقوع القبيح من الامة. والامام بالحق المنصوب من عند الله تعالىٰ يمتنع عليه الخطأ، بخلاف الأُمراء المتعينين من ناحية الرعية أو بالقهر والغلبة، فان أخطاءهم العمدية والسهوية كثيرة، كذلك العالم العامل بظنه الذي لا يغني من الحق شيئا.

ومن أجل ذلك تشعبت المذاهب، وحصلت البدعة، فاحتاجت الامة الاِسلامية الىٰ شخص معصوم يحفظ لهم دينهم ويقيم عوجهم ويسلك طريق الحق، وينفي عنهم كل بدعة وضلالة، وهذا معنىٰ كون اللطف من الله تعالىٰ في نصب الحجة من نبي أو وصيّ نبي، لوحدة الجهة.

فاِن قال قائلهم: هب ان الغرض من النصب ما هو الغرض من البعث من غير شك ولا ريب، لكن الغرض كما يحصل من الاِمام العالم المعصوم، كذلك يحصل من غيره، فيكون حال الامام حال الامراء في زمن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ، وزمن علي امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في أنهم ليسوا بمعصومين ويحصل الغرض منهم.

قلنا: تلك مقايسة باطلة، لان ولاية النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ والامام ولاية عامة، وولاية الامراء والحكام خاصة، واقعة تحت نظارة النبي (صلىٰ الله عليه واله وسلم) ونظارة اوصيائه، والاِكتفاء في الامراء بحسن الظاهر لأجل الاِلجاء والاِضطرار، اِذ

---

١. سورة الاحزاب / ٦.

ليست الامة بأسرها مأمونة مصونة، وليس من وسع النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ أو الوصي إلّا هذا المقدار.

وحيث لم يكن الامراء والسفراء والحكام والخطباء وأهل جباية الفيء والصدقات وأهل الحديث والعلماء والمجتهدون والفقهاء واصحاب الرأي واهل الشورىٰ والحافظون للكتاب والمفسرون له، بمعصومين من الخطأ، بل والكذب والخيانة، احتاجوا الىٰ امام معصوم من ورائهم يتدارك زلّاتهم، كما كان رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ كذلك في حياته، فانه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ كثيراً ما كان يتدارك الزلات التي تقع فيها الصحابة، من خالد بن الوليد في واقعة بني جُذيمة[1]، ومن اسامة بن زيد في قتله الكافر الذي أظهر الكلمة وأدّىٰ الشهادة بالتوحيد والرسالة، حتىٰ نزل فيه قوله تعالىٰ: «ولا تقولوا لمن ألقىٰ اليكم السلام لست مؤمنا»[2].[3]

ولما استعمل النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ الوليد بن عقبة علىٰ صدقات «بني المصطلق»، رجع وأخبر النبي ـ كذباً ـ بأنهم امتنعوا امن الأداء، فنزل فيه قوله تعالىٰ: «إنْ جاءكم فاسق بنبأٍ، فتبينوا»[4]. اظهر سبحانه كذب الوليد تداركاً عن الحادثة[5]. ولما عيَّن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ ابا بكر لتبليغ سورة براءة الىٰ أهل مكة في الموسم، عزله بأمر من الله تعالىٰ[6].

فالرسول ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في حياته شاهد علىٰ أُمته يحفظهم عن الإنحراف، وهذا معنىٰ قوله تعالىٰ: «لتكونوا شهداء علىٰ الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا»[7].

---

١. صحيح البخاري ٥/٢٠٣، كتاب المغازي، باب ٥٨. مسند احمد ٢/١٥٠.

٢. سورة النساء / ٩٤.

٣. الدر المنثور ٢/٢٠٠.

٤. سورة الحجرات / ٦.

٥. الدر المنثور ٦/٨٨، المغازي ٢/٩٨٠ ـ ٩٨١.

٦. مسند احمد ١/٣ باسناد صحيح عندهم، الدر المنثور ٣/٢١٠، جامع البيان ١٠/٤٦. وتفاصيل ذلك مع مصادر اخرىٰ مذكورة في الجزء الثالث من هذا الكتاب، الصفحة ٣١ ـ ٣٤.

٧. سورة البقرة / ١٤٣.

وفي الصحيحين من قول النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: أقول كما قال العبد الصالح ـ يعني عيسىٰ عليه السلام ـ: «وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم، فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم»[1]. فرسول الله (صلىٰ الله عليه واله) اذا استخلف احداً أو بعثه حاكماً، لا يلزم ان يكون مأموناً، لكفاية عصمة النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في حياته، فيعزل المنصوب من قبله متىٰ أخطأ.

واما بعد وفاة رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وانتقال الأمر الىٰ نائبه، يلزم ان يكون مثله في العصمة والنظارة وتقويم الامة، سيما بعد النظر الىٰ قوله تعالىٰ: «وما محمد اِلّا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفاِن مات او قُتل، انقلبتم علىٰ أعقابكم»[2]؟ فاذا استخلف ـ صلىٰ الله عليه واله ـ أحداً بعد موته، لزم أن يستخلف معصوماً يهديهم الىٰ الحق، ويكون عليهم شاهدا.

فاِن قال قائلهم: ان الشريعة بالطريق الذي وصلت الىٰ الشيعة من أئمتهم، فبذلك الطريق وصلت الينا من النبي ـ ص ـ، اِذ هو الاِمام المعصوم.

قلنا: ليس اللُّطف اِلّا في وصول الشريعة من المعصوم الىٰ الامة علىٰ ما شُرعت من دون تغيير أو تبديل، فانه بذلك تبقىٰ محفوظة، وحيث ان الامة وقعت في كلفة الاِختلاف اِمّا لأجل الفتنة وتجاسر المنافقين، أو لأجل اختلاف آراء المجتهدين في الاصول والفروع، وخطئهم عن الواقع المشروع، فلا محالة لا يُحرز ان الواصل الىٰ الأمة هو المشروع من الشريعة، ومنشؤه عند الشيعة عدم تصرّف الامام لوجود المانع عنه وعن تصرفه، واِلّا فلو كان الامام مبسوط اليد، كانت الشريعة واصلة اليهم كما وصلت الىٰ الأُمة في الصدر الاول من النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وكان المستفاد من كلامه الصريح هو الواقع من غير سهو ولا غلط ولا اِلجاء ولا تقية.

وأما عند أهل السنة، فعدم اِحرازهم لواقع الشريعة لأجل كون الواسطة من لا

١. سورة المائدة / ١١٧.

٢. سورة آل عمران / ١٤٤.

يكون مأموناً عن الخطأ. فكيف يقال انهم اقتبسوا الأحكام من النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ كاقتباس الشيعة، فلا يكتفىٰ في حفظ الشرع لا بالإمام الغير المعصوم، ولا بالامام الغير المتصرف، وإن كان معصوماً.

[عدم اغناء الاجتهاد والعدالة عن العصمة]

كلام السيد محمود الآلوسي وتزييفه: اذ انه [قال] في كتابه «مختصر التحفة الاثني عشرية» بأن العدالة هي الشرط في الامامة دون العصمة، مستدلاً بأن الله قد بعث طالوت ملكا، فكان واجب الإطاعة بنصب من الله، ولم يكن معصوما. وبأن العُحوج الىٰ الامام تنفيذ الأحكام وحفظ بيضة الاسلام[1]، ولا حاجة فيه الىٰ العصمة، بل الاجتهاد والعدالة كافيان[2].

قلت: هذا عدول عن الحق، فانا بعد ان قلنا ان اللّطف في الإمام وفي تصرفه، كان الغرض منه حفظ الأحكام وإبقائها علىٰ ما شرعت، كما ان الغرض من النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ واللطف في بعثه شرع الاحكام وردع الأمة عن الغيّ والضلالة، وهذا المعنىٰ لا يجدي فيه الرأي وحسن النظر والعدالة، فانها غير صالحة للمحافظة، لعدم وفاء الاجتهاد بادراك الأحكام علىٰ ما شرعت بعد أن كان أغلب مداركها ظنية قابلة للتخلف، وذلك كخبر العدل الواحد، والإجماع المحكي، والشهرة ما لم تفد اليقين، مضافاً الىٰ القياس والاستحسان والاولوية الظنية عند أهل السنة، وكذلك لا تجدي العدالة لولا الحفظ من الله، لجواز التلبيس علىٰ العادل والتدليس له، فلا يحصل الغرض إلّا من امام معصوم.

واما احتجاجه بإمارة طالوت وانه لم يكن معصوماً، فممنوعٌ جداً، لانه الذي اصطفاه الله بالزيادة في العلم، ومعنىٰ زيادته ووفوره قوته وعدم وقوع صاحبه في الخطأ. ثم

---

١. بيضة الاسلام: أهل الاسلام.

٢. مختصر الحفة الاثني عشرية / ١٢٠ ـ ١٢١.

جرت علىٰ يده المعجزة من حمل الملائكة التابوت الذي فيه السكينة قُدّام جيشه، ولذا حكىٰ الفخر الرازي في تفسيره قائلاً: ان من الناس من قال بأن طالوت كان نبياً، لأن الله أظهر المعجزة علىٰ يده، وكل مَنْ كان كذلك كان نبياً...[1] الى آخر ما ذكره. والخلاصة ان دعوىٰ ان طالوت لم يكن معصوماً جزماً، في غير محلها.

ثم ان طالوت لم يكن زعيماً دينياً في بني اسرائيل، وانما زعيمهم الديني ذلك النبي الذي طلبوا منه أن يبعث الله لهم ملكاً يقاتلون في سبيله، فهو أمير علىٰ الجيش الاِسرائيلي ومأمور من الله تعالىٰ ومطاع في اِمارته. وحاله حال سائر الامراء في زمن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ مثل اسامة وأبي عبيدة وابي بكر وعمرو بن العاص، ومن المعلوم عدم العصمة في هؤلاء ولا لزومها فيهم، ولا ملازمة بين وجوب اطاعتهم في غير ما يعصي الله وبين عصمتهم.

وهذا بخلاف مَنْ هو الامام ومفروض الطاعة علىٰ الأنام، والذي علىٰ عاتقه حفظ الشريعة واِبقاء الدين علىٰ ما شرع، واِلّا فربما يغيِّر الشريعة بآرائه السخيفة، فحينئذ يقال: هل يجب ردعه عن اجتهاده المخالف للمشروع أم لا؟ فعلىٰ الثاني كيف يجوز لهم التعبّد بما هو الخطأ عندهم؟ مع أن المجتهد من الرعية ايضاً يقول برأي صحيح عنده، فلا ترجيح في البين بين الرأيين، وكل مجتهد مصيب أو مخطيء معذور، فلا رئاسة لواحد من الاِمام و المأموم علىٰ الآخر في أمر الدين.

فلو قيل بوجوب ردع الامة الامام اِن أخطا الكتاب والسنة، فيأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر. فان قَبِلَ منهم وامتثل اَمرهم، فالمصيب منهم اولىٰ بأن يكون اِماماً، واِلّا لزم ترجيح المرجوح علىٰ الراجح، وان لم يقبل أمرهم ولم يطعهم، فتعظم البليّة بين الامام والرعية.

---

١. التفسير الكبير ٦/١٨٩.

فان قال قائلهم: اِنّ خطأ الامام لا يبطل اِمامته، وليس علىٰ الأُمة الا الردع بالقول والسكوت عند العمل، كما عن القوشجي.

قلت: هذا تدليس وتلبيس في البحث، واِلّا فهل الامة يطيعونه في خلاف مشروعه أم يعصونه؟ فاِنْ اطاعوه، وقع الجميع ـ من الامام والمأموم ـ في الخطأ واتفقوا علىٰ الباطل، فهم حينئذ محتاجون الىٰ اِمام رادع لهم عن باطلهم. و[اِنْ] عصوه وناضلوه وخاصموه وعزلوه، احتاجوا الىٰ اِمام معصوم لا يخطيء، واِلّا فيجري الكلام فيه أيضاً بين العزل والنصب، وهذا تضييع للامة، واِلقاءٌ للنفس في التهلكة.

ومن راجع أحوال بني أُمية، وأفعال معاوية، وحوادث يزيد وابن الزبير ومروان وعبدالملك وفِتنهم، يرىٰ صدق كلامنا في عدم جواز نصب اِمام سفّاك خارج عن الشرع حامل للحميّة الجاهلية.

[دلالة القران على وجوب العصمة]

القران ووجوب عصمة الامام

[الاية الأولىٰ: «لا ينال عهدي الظالمين»]

قال الله تعالىٰ: «واِذا ابتلىٰ ابراهيمَ ربُّه بكلماتٍ، فاتمهنَّ، قال: اني جاعلك للناس اِماما. قال: ومن ذريتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين»[1].

قال الفخر الرازي ـ في تفسيره، المسألة الرابعة ـ: قوله تعالىٰ «اني جاعلك للناس اِماما» يدل علىٰ انه ـ عليه السلام ـ كان معصوماً من جميع الذنوب، لان الامام هو الذي يؤتمُّ به ويُقتدىٰ به، فلو صدرت المعصية منه لوجب علينا الاِقتداء به في تلك، فيجب علينا

---

١ . سورة البقرة / ١٢٤.

فعل المعصية، وذلك محال، لان كونه معصية عبارة عن كونه ممنوعاً من فعله، وكونه واجباً عبارة عن كونه ممنوعاً من تركه، والجمع بينهما محال[١]. انتهىٰ.

أقول: ان هذا احد الوجهين في دلالة الآية علىٰ لزوم عصمة الإمام المفترض الطاعة والخليفة بالحق.

والوجه الثاني: قوله تعالىٰ: «لا ينال عهدي الظالمين» الصريح في وجوب خلوّ الإمام والحجة عن المعاصي التي تجري عليها اسم الظلم، وأعظمه الكفر والشرك، كما في قوله تعالى: «إن الشرك لظلم عظيم»[٢]، وقوله سبحانه «والكافرون هم الظالمون»[٣].

قال الفخر الرازي الأشعري في تفسيره: ان قوله تعالىٰ: «لا ينال عهدي الظالمين» جواب لقوله «ومن ذريتي»؟ وقوله «ومن ذريتي» طلب للامامة التي ذكرها الله تعالىٰ[٤]، فوجب ان يكون المراد بهذا العهد هي الإمامة ليكون الجواب مطابقاً للسؤال، فتصير الآية كأنه تعالىٰ قال: لا ينال الامامة الظالمين، وكل عاصٍ ظالم لنفسه، فكانت الآية دالة علىٰ ما قلناه[٥].

أقول: إذاً الآية دلت علىٰ ان صدور المعصية مانعة عن نيل العاصي مرتبة الامامة والخلافة الالهية، ولو بعد التوبة، وذلك طبقاً لاستجابة دعاء ابراهيم ـ عليه السلام ـ في ذريته، إذ لا يليق بابراهيم ـ عليه السلام ـ حمل سؤاله علىٰ سؤال الإمامة من الله تعالىٰ لذريته حال شركه أو كفره أو عصيانه[٦]، بل المعقول من سؤاله هو سؤاله الإمامة لذريته حال الصلاح والإستقامة، فأجاب الله دعاءه في غير الظالم من ذريته إظهاراً منه

---

١. التفسير الكبير ٤/٤٤.

٢. سورة لقمان / ١٣.

٣. سورة البقرة / ٢٥٤.

٤. فالاستفهام غير حقيقي، والمراد به الطلب.

٥. التفسير الكبير، ٤/٤٦.

٦. أي: شرك ذلك الذي تعطىٰ له الامامة، او كفره او عصيانه.

جلَّ وعلا أن الظلم مطلقا ينافي العهد مني.

وفي حديث ابن المغازلي الشافعي ـ في المناقب ـ عن ابن مسعود عن النبي (صلىٰ الله عليه واله وسلم) قال: «انتهت الدعوة اليَّ والىٰ أخي علي، لم يسجد أحد منا لصنم قط، فاتخذني الله نبياً واتخذ علياً وصيا»[1] الحديث.

فالآية الكريمة تضمنت أمرين:

أحدهما: ان الإمامة عهد الهي ومشروع رباني، امره بيد الله تعالىٰ، يختاره لمن يريد.

ثانيهما: ان الامامة صفة جليلة ومرتبة عالية لا يليق بها الظالم، لا حال ظلمه ولا من بعده، فان الله تعالىٰ أعطىٰ عهداً لابرهيم ـ عليه السلام ـ أن لا يعهد اِلّا الىٰ المنتجبين من ذريته، دون غيرهم ممن جرىٰ عليه اسم الظلم أحياناً، لقوله «لا ينال عهدي الظالمين».

[نقاشات في دلالة الآية والجواب عنها]

١ ـ أهل السنة ونقض كلامهم: اِذ أنهم قالوا بأن أقصىٰ دلالة الآية اثبات التنافي بين الظلم والامامة، فالظالم حين الظلم لايجوز له عقد الامامة، دونه بعد انقضاء الظلم عنه وتلبسه به، فانه لا يكون ظالماً.

قلت: ان المعنىٰ الحقيقي للظالم هو مَنْ أوجد الظلم، كالقاتل والضارب والزاني والسارق، فيصح ان يقال: جاءني ضارب زيد، أو قاتل عمرو، ولو بعد حين، نظير قوله تعالىٰ: «السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما»[2]، وقوله تعالىٰ: «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما»[3]. فأُطلق «السارق» و«الزاني» عليهما بعد اِنقضاء التلبس بالزنا والسرقة، فكذا الظلم، فمعنىٰ الاية ان مَنْ ظلم لا ينال العهد من الله تعالىٰ.

---

١. مناقب علي بن أبي طالب / ٢٧٧، مع اختلاف غير مخل بالمقصود.

٢. سورة المائدة / ٣٨.

٣. سورة النور / ٢.

ويؤيد ما ذكرنا أو يدل عليه قوله تعالىٰ: «لا يحب الله الجهر بالسوء من القول اِلّا مَنْ ظُلم»[١] حيث دل علىٰ ان المظلوم يجوز له ذكر ظالمه بسوء عمله، وهذا بعد اِنقضاء الظلم، فهو مظلوم، كما ان الظالم ظالم ولو انقضىٰ عنه العمل.

٢ ـ مقالة شيخ الأشاعرة الفخر الرازي: قال (في المسألة الخامسة من مسائل تفسير الآية من تفسيره الكبير): فإن قيل: ظاهر الآية يقتضي انتفاء كونهم ظالمين ظاهراً وباطناً، ولا يصح ذلك في الائمة والقضاة. قلنا: اما الشيعة فيستدلون بهذه الآية علىٰ صحة قولهم في وجوب العصمة ظاهراً وباطناً. وأما نحن فنقول: ظاهر الآية ذلك، اِلّا انا تركنا اِعتبار الباطن، فتبقىٰ العدالة الظاهرة معتبرة[٢].

قلت: كيف جاز لأهل السنة رفع اليد عن مقتضىٰ الآية وتعمدهم الخلاف علىٰ الله تعالىٰ علىٰ علم؟ أم أي حجة قامت علىٰ الاِكتفاء بالعدالة الظاهرة من العقل والنقل في الامام وهو نائب النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ ولم يُكتف بها في المنوب عنه؟ والامام اِنما يكون اِماماً ليؤتمَّ به، فأنّى يحصل غرضٌ من نصبه اذا وقع في الخطأ؟ وان هو من القيمومية الدينية وازاحته العلة فيما قصرت عنه عقول الامة؟

وقد عرفت ان الامام يشارك النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في البشارة والنذارة وهداية الناس، وقد جعله الله مصوناً عن الخطأ في قوله سبحانه: «كذلك لنُثبّت به فؤادك»[٣]، وقوله تعالىٰ: «ولولا أن ثبّتناك»[٤]، وقوله عز وجل: «وما ينطق عن الهوىٰ، اِن هو اِلّا وحي يوحىٰ»[٥]. ومعنىٰ التثبت: الحفظ في القول والفعل حتىٰ تطمئن به ـ صلىٰ الله

---

١. سورة النساء / ١٤٨.

٢. التفسير الكبير ٤/٤٦ـ٤٧.

٣. سورة الفرقان / ٣٢.

٤. سورة الاِسراء / ٧٤.

٥. سورة النجم / ٣.

عليه واله ـ نفوس العباد. ومثله خليفته، إذ لو جاز عليه الخلاف لما اطمئنت به النفوس في أمرٍ أو نهي، وذلك نقض للغرض.

٣ ـ كلام لابن تيمية علىٰ الآية: قال في منهاجه: ومن اعتقد ان كل من لم يكفر ولم يذنب أفضل من كل مَنْ آمن مِن بعد كفره أو تاب بعد ذنب، فهو مخالف لما علم بالاِضطرار من دين الاسلام، فان من المعلوم ان الصحابة الذين آمنوابرسول الله ـ ص ـ بعدكفرهم، وهداهم الله بعد ضلالتهم، أفضل من اولادهم الذين ولدوا علىٰ الاِسلام، وهل يُشبَّه بنو الأنصار بالأنصار وبنو المهاجرين بالمهاجرين[١]... الىٰ آخر ما ذكره.

وقال في الجزء الثالث من منهاجه[٢] (عند استدلال العلامة ـ اعلىٰ الله مقامه ـ بالآية علىٰ اِمامة أمير المؤمنين ـ عليه السلام): الوجه الرابع: ان كون الشخص لم يسجد لصنم [فضيلة][٣] يشاركه فيها جميع مَن وُلِدَ علىٰ الاِسلام، مع ان السابقين الاولين افضل منه، فكيف يجعل المفضول مستحقاً لهذه المرتبة دون الفاضل[٤]... الىٰ اخر كلامه.

اقول: هذا كلام مَنْ لا يُحْسِن الكلام، أوَ لم يعلم من الدين ان الايمان يزداد وينقص، وان زيادته بحسن العمل ـ ولذا اختلفت الصحابة في الفضل ـ وان العصيان خلاف التقوىٰ وتقوية للشيطان؟ فكيف يدعي ان مَنْ عصىٰ وتاب خيرٌ ممن لم يعصِ؟

وتمثيله بالمسلم بعد كفره الزائد ايمانه بجهاده وغيره من خصاله الحميدة، وانه أفضل من المتولد مؤمناً ولم يكن مجاهداً، مغالطةٌ محضة، اذ من المعلوم ان الايمان يتقوىٰ بالاعمال الحسنة، فالمجاهد خير من القاعدة، والمجاهد الذي لم يكفر بالله طرفة عين أفضل منه، لانه من عباد الله المخلصين، فالحيثيات والاِضافات في باب الفضل وقوة الايمان محفوظة،

---

١. منهاج السنة النبوية ١/٢٢٦.

٢. كلامه الاتي مذكور في الجزء الرابع من المنهاج، لا الجزء الثالث.

٣. الزيادة من المصدر.

٤. منهاج السنة النبوية ٤/٣٧.

والمقايسة انما تقع بجهة واحدة فاذاً: العاصي التائب لا يكون خيراً من غير العاصي، ومَنْ بذل نفسه منهما في سبيل الله وجاهد وأقام الدين، كان خيراً من مثله اذا كان سابقه من الغاوين. فكيف صح القول من ابن تيمية «وهل يشبّه بنو الانصار بالانصار» والحال ان من ضرورة الشرع كون الذين آمنوا ولم يهاجروا ولم يجاهدوا، أو هاجروا وتقاعدوا عن النصر، كان اولادهم خيراً منهم لفضيلة الاِيمان وعدم سبق الشرك، فكيف اذا جاهدوا وبالغوا في نصر الدين؟

إن ضرورة الشرع ناهضة بأن مَنْ لم يتخلّق باخلاق الجاهلية، يكون هو الاكرم عند الله، لما له من كمال التقوىٰ وتزكية النفس، وقد قال الله تعالىٰ: «قد افلح مَنْ زكّاها، وقد خاب مَنْ دسّاها»[1]. وقال عز وجل: «ان اكرمكم عند الله أتقاكم»[2]، وفي القران تصريح بأن في عباد [الله] المخلصين وفيهم مَنْ عَبَد الشيطان وصار من الغاوين. والمعيار في المفاضلة الموازنة بين الاعمال الحسنة، فمن اتصف من بني الأنصار بجميع ما لآبائهم من الفضل، فلا محالة يكون هؤلاء أفضل من آبائهم، لسبق الكفر فيهم، فمن يقول بأن المؤمن الذي لا يسبق الىٰ الكفر أفضل ممن سبقه ذلك، يريد الفضل بعد التوازن من سائر الخصال الحميدة، غير انه اختص الفاضل بعدم سبق عبادة الصنم.

ومقالة ابن تيمية ـ بأنه اين المنتقل بنفسه من السيئات الىٰ الحسنات بنظره واستدلاله وصبره وجهاده، ممن لم يحصل له مثل هذا الحال ـ مخدوشة، اِذ يقال: اين التابعون الذين عرفوا الحق بالعلم واليقين من الاصحاب الذين قالوا أسلمنا ولم تؤمن قلوبهم؟ أوْ لم يعرفوا من الايمان اِلّا قول: أشهد أن لا اله الا الله، وان محمداً رسول الله؟ وهم المذمومون في قوله تعالى: «ماكان لأهل المدينة ومَنْ حولهم من الأعراب ان يتخلفوا عن

---

١. سورة الشمس / ٩ ـ ١٠.

٢. سورة الحجرات / ١٣.

رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه»[١] وقوله عزوجل: «والذين آمنوا ولم يهاجروا، ما لكم من وَلايتهم من شيء حتىٰ يهاجروا»[٢]. فأين هؤلاء من الذين وصفهم الله بقوله: «انما المؤمنون الذين اذا ذُكر الله، وجِلت قلوبهم .وإذا تُليت عليهم آياته، زادتهم ايمانا، وعلىٰ ربهم يتوكلون»[٣]. ومن المعلوم ان هؤلاء أعظم قدراً عند الله وان لم يكونوا من الاصحاب، كما في قوله تعالىٰ: «الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أُنزل اليك وما أُنزل من قبلك، وبالآخرة هم يوقنون، اولئك علىٰ هدىٰ من ربهم ،واولئك هم المفلحون»[٤].

ثم ان المنتقل من الاصحاب بنفسه من السيئات الىٰ الحسنات، انما صارت لهم الفضيلة العظمىٰ لخدمتهم في الدين حتىٰ صار الدين كله لله برغم المشركين، وهذه جهة مشتركة بين السابقين الاولين وبين سائر المسلمين اذا كانوا بمثابة الاولين في حفظ الدين، وكسر صولة الكافرين، وتعظيم شأن المؤمنين مع ما يكون لهم مزيد الفضل، لقول الصادق الأمين في الحديث من التعليل بنفي السجود للصنم وجعله فضيلة نال بها النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ النبوة، وأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ الوصاية.

والعجب من تجرّي ابن تيمية علىٰ النبي (صلىٰ الله عليه واله) في منهاجه بالنقض عليه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قائلاً: «ثم التعليل بكونه لم يسجد لصنمٍ، هو علة موجودة في سائر المسلمين بعدهم»[٥]. انتهىٰ.

---

١. سورة البراءة / ١٢٠.

٢. سورة الانفال / ٧٢.

٣. سورة الأنفال / ٢.

٤. سورة البقرة / ٥.

٥. منهاج السنة النبوية ٤/٣٧.

والحال ان الصريح من كلام النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ (في حديث ابن مسعود المتضمن لاِنتهاء دعوة ابراهيم ـ عليه السلام ـ اليه ببعثه نبياً، والىٰ علي ـ عليه السلام ـ بنصبه من الله وصيا) التعليل بقوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: لم يسجد أحدنا لصنم قط [1]، وجعل ذلك منشأً لدركهما فضيلة النبوة والوصاية. فالتحامل من ابن تيمية علىٰ رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ انماهو من تبعات تحامله علىٰ علي (عليه السلام)، فنصبه ألجأه الىٰ ان يقول بغير علم ولا دراية.

ثم انه استشكل ـ في تلك الصفحة [2] ـ ان لازم اِنتهاء الدعوة الىٰ علي (عليه السلام) أنه لا يكون بعده امام، فلا يكون الحسن والحسين اِمامين.

ويندفع بأن المراد انتهاء سلسلة النبوة من الله والوصاية للانبياء بدعوة ابراهيم ـ عليه السلام ـ اليهما. واما وصاية السبطين (عليهما السلام) وبقية الائمة، فهي من فروع شجرة النبوة، جعلها رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في الاكبر من ولد علي وفاطمة (عليهما السلام).

فلو قيل: ان انتهاء الدعوة الىٰ علي ـ عليه السلام ـ لا يدل علىٰ بطلان اِمامة مَنْ سبقه، كما ان اِنتهاء الدعوة الىٰ النبي (صلىٰ الله عليه واله) لا يدل علىٰ عدم نبي قبله.

قلنا: ان معنىٰ انتهاء الدعوة الىٰ علي ـ عليه السلام ـ بالوصاية (في نص رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ علىٰ عليٍ عليه السلام) انه لم يكن لرسول الله وصي غير علي.

٤ ـ ثم اِن ابن تيمية نهض بتقويم مبناه (في الصفحة المذكورة من الجزء الثالث من المنهاج) قائلاً: «وقد اخبر الله عن اخوة يوسف بما أخبر، ثم جَعَلَهم انبياء بعد توبتهم، وهم الاسباط، فنُنازعُ الرفضة في قولهم: مَنْ صَدَرَ منه ذنب، لا يصير نبيا، لأن التائب من

---

١. مناقب علي بن أبي طالب ـ لابن المغازلي ـ / ٢٧٧.

٢. وهي صفحة ٣٧ من الجزء الرابع من المنهاج.

الذنب يكون ناقصاً مذموماً، لا يستحق النبوة، ولو صار من أعظم الناس طاعة. وهذا هو الأصل الذي توزعوا فيه. والكتاب والسنة يدلان علىٰ بطلان قولهم فيه»[1]. انتهى.

أقول: قد عرّفناك نهوض الحجة من العقل والنقل علىٰ ان المعصية تنافي النبوة والإمامة، وأن فعل القبائح يكون من الظلم، وفاعلها ظالم، والآيات الواردة في عصيان الأنبياء كلها مُأوّلة، ليس هنا محل ذكرها.

والتمثيل باخوة يوسف ـ عليه السلام ـ علىٰ مطلوب الشيعة أدل، فانهم بعد أن عصوا، لم ينالوا من النبوة شيئاً، وانما نالتها اولاد هؤلاء، وهم الأسباط، كما في القران: «وقطّعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أُمما»[2] والنقباء في بني اسرائيل منهم، فهم حيث اسلموا ولم يعصوا الله ولم يأتوا بمكروه، صاروا رُسُلاً وانبياء، فهم داود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسىٰ ـ عليهم السلام ـ وغيرهم من انبياء بني اسرائيل. والذي صار نبياً من اولاد يعقوب هو يوسف الصديق دون اخوته. وفي تاريخ ابي الفداء: كان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً هم آباء الأسباط[3]. فابن تيمية عِلْمُه من التاريخ صِفر.

وفي اللغة: ان الاسباط في بني يعقوب كالقبائل في وُلد اسماعيل، وهم اثني عشر سبطاً من اثني عشر ولداً ليعقوب. راجع في ذلك «مجمع البحرين»[4] فكيف ابن تيمية يفسّر الأسباط باولاد يعقوب، ثم يقول انهم نالوا النبوة بعد توبتهم؟

---

١. ليس هذا مذكوراً في الجزء الثالث.

٢. سورة الاعراف / ١٦٠.

٣. المختصر في اخبار البشر ١/١٦.

٤. مجمع البحرين ٤/٢٥١.

وفي لسان العرب ٧/٣١٠: الاسباط هم وُلد اسحاق بن ابراهيم، والقبائل هم وُلد اسماعيل بن ابراهيم. والسبب في تسمية اولئك بالأسباط وهؤلاء بالقبائل هو التفريق والتمييز بينهم.

[الآية الثانية: «اطيعوا الله. واطيعوا الرسول. واولي الامر منكم»]

آية الاِطاعة وكلام فخر الاشاعرة: قال الله تعالىٰ: «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم»[١].

قال الفخر الرازي في التفسير: ان الله أمر بطاعة اولي الأمر علىٰ سبيل الجزم، ومَنْ أمر الله بطاعته علىٰ سبيل الجزم يجب ان يكون معصوماً عن الخطأ، اِذ لو لم يكن معصوماً وبتقدير اِقدامه[٢] علىٰ الخطأ، يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك امراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأً يكون منهياً عنه، فهذا يفضي الىٰ اجتماع الامر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وانه محال. فثبت ان الله أمر بطاعة اولي الأمر علىٰ سبيل الجزم، وثبت ان كل من أمر الله بطاعته علىٰ سبيل الجزم، وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً ان ولي الامر المذكور في هذه الآية لا بد أن يكون معصوماً[٣]. انتهىٰ.

أقول: ان الله أمر بطاعته علىٰ الاطلاق، وأمر بطاعة رسوله كذلك، بل وقرن طاعة رسوله بطاعته في قوله تعالىٰ: «مَنْ يُطع الرسول، فقد اطاع الله»[٤]، فيعرف من ذلك ان رسوله لا يجوز عليه الخطأ. ثم أمر أيضاً بطاعة اولي الأمر مطلقاً، كما أمر بطاعة نفسه المقدسة وطاعة رسوله من غير تقييد بموافقة طاعته لطاعة الله، فيُعلم منه ان ولي الأمر معصوم عن الخطأ، وأن طاعته كطاعة الرسول ـ صلىٰ الله عليه واله ـ عين طاعة الله، فالامام هو ولي الأمر، والولي للأمر معصوم من كل ذنب بحكم الآية.

---

١. سورة النساء / ٥٩.

٢. في المصدر: كان بتقدير اِقدامه.

٣. التفسير الكبير ١٠/١٤٤.

٤. سورة النساء / ٨٠.

[الآية الثالثة: «أجيبوا داعي الله»]

قوله تعالىٰ: «أجيبوا داعي الله»[١]: ثم ان نظير آية الاِطاعة ـ في ايجاب كون الامام معصوماً ـ قوله تعالىٰ: «اجيبوا داعي الله» الصريح في وجوب تلبية الداعي الىٰ الحق بقول مطلق. ومَنْ يكون كذلك فهو المعصوم، لحرمة تلبية الفاسق، وانما يجب التبيُّن عند دعائه، وانه حق او باطل.

فظهر بطلان ما ذهب اليه ابن حزم الاندلسي من الاحتجاج بالآية علىٰ ان كل داعٍ دعا الىٰ خيرٍ ـ من صلاة او حج او جهاد ـ او تعاونٍ علىٰ برٍ وتقوىٰ، ففرض اجابته وعَمَلُ ذلك الخير معه.

ويتوجه عليه: ان ذلك مع العلم بكون دعوته الىٰ الله، فاِحراز الموضوع شرط في ترتب الحكم، ولا يُحرز لو لم يكن الداعي مأموناً عن الخطأ، فمع العلم بعصمته يقطع بكون دعوته الىٰ الله، فتجب اجابته، لا كدعوة خالد بن الوليد في قتله بني جذيمة وبني حنيفة ومالك بن نويرة ـ الرجل الصحابي ـ وكدعوة وليد بن عقبة أيام اِمارته، بل وفي زمن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ حتىٰ نزل فيه «اِن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا»[٢].

[وجوب اِطاعة اولي الأمر غير مقيد بشيء]

ابن تيمية ونقض كلامه: ان ابن تيمية تعدىٰ في القول عن حدّه، واستدل بآية الاِطاعة علىٰ صحة اِمامة الفاسق، وانه يُطاع ويُقتدىٰ به في غير معصية، ففي منهاجه (عند كلام العلامة الحلي ـ قُدس سره ـ: وكل من بايع قريشاً، انعقدت اِمامته عندهم ووجبت طاعته واِن كان في غاية الفسق... الى اخر كلامه) قال: ان الله تعالىٰ في قوله «اطيعوا الله

١. سورة الأحقاف / ٣١.

٢. سورة الحجرات / ٦.

واطيعوا الرسول» أمر بطاعة نفسه مطلقاً، وأمر بطاعة الرسول، لأنه لا يأمر الّا بطاعة الله، وجعل طاعة اولي الأمر داخلة في ذلك، ولم يذكر لهم طاعة ثالثة، لان ولي الأمر لا يطاع طاعة مطلقة، وانما يطاع في المعروف، كما قال النبي ـ ص ـ: «انما الطاعة في المعروف ولا طاعة في المعصية». وقال: «مَنْ أمركم بمعصية الله، فلا تطيعوه». فقول الرفضة انه تجب طاعة غير الرسول ـ ص ـ مطلقاً في كل ما أمر به، أفسد من قول شيعة عثمان... [١] الىٰ اخر كلامه.

اقول: قوله «ان الله لم يذكر لهم طاعة ثالثة» مردود بصريح الآية، وجَعْلها طاعة اولي الأمر في عداد طاعة الله وطاعة رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، فقال: «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم»، فلم يجعل طاعتهم داخلة في طاعة الرسول، لان ظاهر العطف يقتضي تعدد المعطوف والمعطوف عليه. مع ان دخول طاعتهم في طاعته ـ صلىٰ الله عليه واله ـ يقتضي اتحاد الطاعتين في ايجابهما مطلقاً، والايجاب المطلق يقضي بعصمة الشخص المطاع، فلو لم يكن ولي الأمر معصوماً بعصمة النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ لجعلت طاعته في مرتبة ثالثة، وقُيدت بما اِذا كان الفعل معروفاً. فمع عدم التقييد تبين اشتراك طاعة ولي الأمر مع طاعة الرسول كاشتراك طاعة الرسول ـ صلىٰ الله عليه واله ـ مع طاعة الله في اِطلاق الأمر بهما، ولا يكون مطلقاً اِلّا مع الأمن عن الخطأ، وهو معنىٰ كون ولي الأمر معصوماً.

واما الحديث عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ فمُأوّلٌ الىٰ غير الإمام ومن نائب عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في حفظ الاحكام، ممن وجبت طاعته علىٰ الغير، كالاب بالنسبة الىٰ الولد، والزوج بالنسبة إلىٰ زوجته، والمولىٰ بالنسبة الىٰ عبده، فان الطاعة في هذه الموارد انما تكون واجبة اِذا كان الأمر بشيء معروف، لا بشيء منهي عنه. فقول ابن تيمية

---

١ . منهاج السنة ٢/٨٦.

ان ولي الأمر لا يطاع طاعة مطلقة، مجردُ مصادرة، ولم تكن عليه حجة، وانما الحجة نهضت علىٰ أن الطاعات الثلاث في آية الاطاعة مطلقة، وعدم التقييد دليل علىٰ عصمة الرسول وعصمة اولي الأمر.

دخول طاعة الائمة من اهل البيت في طاعة الله ورسوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، وذلك للحديث الذي اخرجه الحاكم في «المستدرك»[1]، والذهبي في «التلخيص»[2]، والمحب الطبري في «ذخائر العقبىٰ»[3] عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قال: «من أطاعني، فقد أطاع الله. ومن عصاني، فقد عصىٰ الله. ومن أطاع علياً، فقد اطاعني. ومن عصىٰ علياً، فقد عصاني». دل الحديث علىٰ اتحاد طاعة علي ـ عليه السلام ـ مع طاعة النبي (صلى الله عليه واله).

ووحدة الاطاعتين حجة علىٰ عصمة علي ـ عليه السلام ـ وعدم خطئه في الدين، كدلالة كون «علي مع القران» علىٰ عصمته كعصمة القران، فـفيما اخرجه الحاكم في «المستدرك»[4]، والذهبي في «التلخيص»[5]، وابن حجر في «الصواعق»[6]، والكنجي الشافعي في «كفاية الطالب»[7]، والسيوطي في «تاريخ الخلفاء» ـ في فضائل علي عليه السلام ـ[8] عن ام سلمة قالت: سمعت رسول الله (صلىٰ الله عليه واله) يقول: «علي مع القران، والقران مع علي، لا يفترقان حتىٰ يردا عليَّ الحوض».

واخرج الحاكم ايضاً في «المستدرك» وصححه من كلام النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ

---

١. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٢١. واللفظ له.

٢. تلخيص المستدرك ٣/١٢١.

٣. ذخائر العقبىٰ / ٦٥.

٤. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٢٤.

٥. تلخيص المستدرك ٣/١٢٤.

٦. الصواعق المحرقة / ٧٥.

٧. كفاية الطالب / ٣٩٩.

٨. تاريخ الخلفاء / ١٧٣.

لعلي (عليه السلام): «يا علي! مَنْ فارقني، فقد فارق الله، ومن فارقك، فقد فارقني»[1]. وكل ذلك دليل علىٰ عصمة أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ.

واما ما دل علىٰ عصمة أهل البيت من ذريته، فهو ـ كما يأتي ـ من أحاديث الثقلين، واحاديث «مَثَل اهل بيتي فيكم كسفينة نوح» الصريحة ان الكون مع العترة هداية، والتخلف عنهم ضلالة. وبيان ذلك مطلقاً من غير تقييدٍ، دليلٌ علىٰ عصمتهم.

[ابو بكر وعمر وعثمان لم يكونوا معصومين]

ابو بكر وعدم عصمته من الخطأ: قال الحافظ ابن حجر المكي في «الصواعق»: أخرج أحمد أن ابا بكر بعد شهرٍ نادىٰ: الصلاة جامعة. ثم خطب فقال:

«ايها الناس! وددتُ ان هذا كفانية غيري، ولئن أخذتُ[2] بسُنّة نبيكم، ما اطيقها، انه كان لمعصوماً عن الشيطان». وقال: «اني قد وليتُ هذا الأمر وأناله كاره (!!). والله لودتُ أن بعضكم كفانيه (!!). ألا وانكم إن كلفتموني أن اعمل فيكم بمثل عمل رسول الله ـ ص ـ، لم أقُم به، كان رسول الله عبداً أكرمه الله بالوحي، وعصمه به. ألا وانما أنا بشر، ولستُ بخير من أحدكم، فراعوني، فاذا رأيتموني استقمت، فاتبعوني، واذا رأيتموني زغت، فقوموني، واعلموا أن لي شيطاناً يعتريني[3]، فاذا رأيتموني غضبت، فاجتنبوني، لا اوثر في اشعاركم وابشاركم». قال ابن حجر: قال مالك: لا يكون أحد إماما أبداً إلّا علىٰ هذا الشرط[4]. انتهىٰ.

أقول: لا يكون احد إماماً ومقتدىً للامة إلّا أن يكون عارفاً باحكامهم، مصلحاً لأحوالهم، بصيراً بامورهم، موثوقاً به، معصوماً عن الخطأ. وابو بكر ـ كما ترىٰ ـ معترف

---

1. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٢٣ ـ ١٢٤.
2. في المصدر: «أخذتموني».
3. يعتريني: يعرض لي.
4. الصواعق المحرقة / ٧.

بعدم ذلك كله، فأقرَّ بالعجز عن القيام بالإمرة في قوله «ما أُطيقها» [١]، وقوله «وددتُ ان هذا كفانيه غيري» [٢] وقوله «ولئن أخذتموني بسُنّة نبيكم، ما أُطيقها». وأقرَّ ايضاً علىٰ نفسه بعدم العصمة، وانها مختصة بالنبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، وان الله اكرمه بالوحي وعصمه به [٣]: «وانما انا بشر مثلكم». واعترف بعدم عدالته، بل بعدم أفضليته عن بقية الأصحاب بقوله: «ولست بخير منكم» [٤] وقوله «ان لي شيطاناً يعتريني، واذا غضبت فاجتنبوني» [٥].

ثم ان من كلامهم في عدم عصمة أبي بكر، ما في «المواقف» وشرحه، قال: «الخامسة: ان يكون الإمام معصوماً، اشترطه الإمامية والاسماعيلية. ويبطله ان ابا بكر لا تجب عصمته اتفاقاً» [٦]. انتهىٰ.

كلام ابن تيمية في عصمة ابي بكر: قال في منهاجه (عند احتجاج العلامة رحمه الله علىٰ عصمة علي عليه السلام بقول النبي صلىٰ الله عليه واله: علي مع الحق، والحق مع علي، يدور معه حيث دار، ولن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض... الى اخر كلامه) قال: ان الحق لا يدور مع شخص غير النبي ـ ص ـ. ولو دار الحق مع علي حيثما دار، لوجب أن يكون معصوماً كالنبي ـ ص ـ، ولكن مَنْ عَلِمَ انه لم يكن أولىٰ في العصمة من أبي بكر وعمر وعثمان [عَلِمَ كذبهم]، [٧]، وان النبي ـ ص ـ لم يعتب علىٰ عثمان وعتب علىٰ علي في مواضع:

منها: لما عزم علىٰ تزويج اِبنة أبي جهل، فغضب النبي ـ ص ـ وقال: «فاطمة بضعة

---

١. كنزالعمال ٥/٥٩٧، المستدرك على الصحيحين ٣/٦٦.

٢. الامامة والسياسة / ١٦، كنز العمال ٥/٥٨٨، رواه عن احمد في المسند.

٣. كنز العمال ٥/٥٨٨.

٤. كنز العمال ٥/٥٨٩، ٥٩٩.

٥. الامامة والسياسة / ١٦.

٦. شرح المواقف / ٦٠٦.

٧. الزيادة من المصدر.

مني، يريبني ما رابها».

ومنها: لما طرقه النبي ـ ص ـ وفاطمة ليلاً، وأمرهما بالصلاة، فقال علي: انما انفسنا بيد الله، ان شاء يبعثنا، بعثنا، فانطلق النبي ـ ص ـ وهو يضرب فخذه ويقول: وكان الانسان اكثر شيء جدلا.

ومنها: فتواه في الحامل المتوفىٰ عنها زوجها انها تعتدّ بأبعد الأجلين[1].

ومنها ـ علىٰ ما ذكره ايضاً في المنهاج ـ: ان علياً اوتي بقوم زنادقة، فحرقهم بالنار، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنتُ انا لقتلتهم بقول رسول الله ـ ص ـ «مَنْ بَدَّل دينه، فاقتلوه» ولم اكن لأحرقم بالنار، لان رسول الله قال «لا تعذبوا بعذاب الله». فبلغ ذلك عليا. فقال: صدق ابن عباس[2]. انتهى.

أقول: ان ما ذكره لأقصىٰ درجة الكذب والاِفتراء، وارتكاب التحامل بالباطل علىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ حسب ما هو عادته في كتابه الذي سمّاه «منهاج السُّنّة»، وأيّ سُنّةٍ قضت بالتهاجم [علىٰ] مَنْ عصمه الله من الزلل، ونزَّهه في كتابه المنزل عن كل رجس، وجعله نفس نبيه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وعِدْله وقرينه وأخاه ووزيره والمبلِّغ عنه، ومن يدور الحق معه، ويدور هو مع القران. وقال ـ صلىٰ الله عليه واله ـ فيه: اللهم انصر من نَصَره، واخذل مَنْ خذله[3]. وقال: انا حرب لمن حاربه، وسلم لمن سالمه[4]. واختص بقول النبي (صلىٰ الله عليه واله): يا علي! بك يهتدي المهتدون بعدي[5].

واخرج الخطيب الخوارزمي في «المناقب»، واليمني الشافعي في «الاِكتفاء» بالاِسناد

---

١. منهاج السنة النبوية ١٦٨/٢.

٢. منهاج السنة النبوية ١٢٤/٣.

٣. شواهد التنزيل ١٩٠/١، كفاية الطالب / ٦٣، تاريخ دمشق ـ ترجمة الامام علي ١٣/٢.

٤. ذخائر العقبىٰ / ٢٣.

٥. كنز العمال ٦٢٠/١١. المستدرك علىٰ الصحيحين ١٥٣/٣ ـ ١٥٤.

الىٰ علي ـعليه السلام ـ قال: قال لي رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ بعد واقعة خيبر: «لولا أن تقول فيك طوائف[1] من أُمتي ما قالت النصارىٰ في المسيح، لقلتُ فيك قولاً لا تمرُّ بملأٍ اِلّا أخذوا من تراب رجليك وفضل طهورك، يستشفون بك[2]. حسبك ان تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ، اِلّا انه لا نبي بعدي. وانك تُبرء ذمتي، وتقاتل علىٰ سنتي[3]. وانك في الاخرة معي، وانك علىٰ الحوض خليفتي، وانك اول من، يُكسىٰ معي، وانك اول داخل الجنة من امتي، ان حربك حربي، وسلمك سلمي، وسِرُّك سِرّي، وعلانيتك علانيتي، وامرك امرى، وسرير صدرك سرير صدري، وان ولدك ولدي، وأنت منجز عداتي، وان الحق معك وعلىٰ لسانك وفي قلبك وبين عينيك، والايمان مخالط بلحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي، وانه لن يَرِد الحوض مُبغض لك، ولا يغيب عنك مُحب لك، حتىٰ ترد الحوض معي» فخَرَّ عليٌّ ساجدا[4]. انتهىٰ.

فهذه كلها حجة من الله تعالىٰ علىٰ كون علي ـعليه السلام ـ معصوماً يزول عنه الباطل ويدور معه الحق، كما ان النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ كذلك، ولا محذور في اشتراكهما في العصمة.

فكلام ابن تيمية ـ ان علياً ليس بأولىٰ من العصمة من المشايخ الثلاثة ـ مجرد اِدعاء منشؤه العناد، وذلك لتطابق الكتاب والسنة علىٰ عصمة علي (عليه السلام)[5]، ولم يقم أي دليل علىٰ عصمة أبي بكر وعمر وعثمان. ولا اقل من سبق الكفر فيهم، ولغيره من الامور، كاِقرار ابي بكر بأن له شيطاناً يعتريه[6].

---

١. في المناقب: طائفة.

٢. في المناقب: يستشفون به.

٣. الىٰ هنا ينتهي المنقول عن كتاب مناقب علي بن أبي طالب / ٩٦ ـ ٩٧.

٤. «الاِكتفاء في فضل الاربعة الخلفاء» مخطوط.

٥. سيأتي ذكر الآيات والاحاديث المتواترة الدالة علىٰ ذلك.

٦. الصواعق المحرقة / ٧، الامامة والسياسة / ١٦، تاريخ الرسل والملوك ٣/٢٢٤، وشرح نهج البلاغة ٢/٨.

[اعتداء ابي بكر وعمر علىٰ فاطمة الزهراء دليلّ علىٰ عدم عصمتهما]

وقوله في مرضه: «ليتني لم اكشف بيت فاطمة» فيما نص عليه: الطبري[١]، و«العقد الفريد»[٢]، و«مروج الذهب»[٣]، و«تاريخ اليعقوبي»[٤]، وكتاب «الاِمامة والسياسة»[٥]. وأقرّ به [ابن] تيمية في «منهاج السنة»[٦]. وليس تمني أبي‌بكر عدم كشفه بيتها ـ عليها السلام ـ اِلّا لعلمه بأن الله يغضب لغضبها ويرضىٰ لرضاها[٧].

وفي صحيح البخاري[٨] وصحيح مسلم[٩] والمسند لأحمد[١٠] والصواعق لابن حجر[١١]:

---

١. تاريخ الرسل والملوك ٣/٤٣٠ وفيه: «لا آسىٰ على شيء من الدنيا اِلّا على ثلاث فعلتهن، ووددتُ اني تركتهن... ووددتُ اني لم اكشف بيت فاطمة عن شيء، وان كانوا قد غلّقوه علىٰ حرب».

٢. العِقد الفريد ٤/٢٦٨.

٣. مروج الذهب ٢/٣٠٩. وفيه: «ما آسىٰ اِلّا علىٰ ثلاث فعلتُها، وددتُ اني تركتها... وددتُ اني لم اكن فتشتُ بيت فاطمة » وذكر في ذلك كلاماً كثيراً.

٤. تاريخ اليعقوبي ٢/١٣٧. وفيه: «ليتني لم اُفتش بيت فاطمة بنت رسول الله واُدْخلْه الرجال، ولو كان أغلق علىٰ حرب».

٥. الامامة والسياسة / ١٨. وفيه: «ليتني تركتُ بيت علي، وان كان أعلن عليّ الحرب».

٦. منهاج السنة ٤/٢٢٠. والذي فيه يختلف مع المذكور عنه هنا.

٧. روي حديث رسول الله بأن الله يرضىٰ لرضا فاطمة، ويغضب لغضبها، في كل من: المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٥٤، كنز العمال ١٢/١١١، الخصائص الكبرىٰ ٣/١٧٨، المعجم الكبير ١/١٠٨، ميزان الاعتدال ٢/٧٢. ذخائر العقبىٰ / ٣٩

٨. صحيح البخاري ٥/١٧٧، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر. و٤/٦٦، كتاب الجهاد والسير، باب فرض الخمس. و٨/١٨٥، كتاب الفرائض، باب قول النبي لا نورّث...

٩. صحيح مسلم ٣/١٣٨٠ ـ ١٣٨٢، كتاب الجهاد، باب ١٦.

١٠. مسند احمد بن حنبل ١/٦.

١١. الصواعق المحرقة / ٨.

ان فاطمة وجَدَت[١] علىٰ ابي بكر، فهَجرته، ولم تكلمه حتىٰ توفيت. ولما توفيت دفنها علي ليلاً، ولم يأذن بها أبا بكر.

ومن كلام عمر لعلي ـ عليه السلام ـ ومَنْ في داره: «لتخرجنَّ الىٰ البيعة أو لأحرقنَّ عليكم البيت». وهو آخذ بقبس من النار، كما في «العقد الفريد» ـ باب استخلاف أبي بكر ـ[٢]، وتاريخ الطبري[٣] واليعقوبي[٤] وابي الفداء[٥]، و«الامامة والسياسة»[٦] لابن قتيبة، وابن ابي الحديد المعتزلي في «شرح نهج البلاغة»[٧].

وفي روايته الاخرىٰ في الشرح: ان أبا بكر أرسل خالداً ردءاً لعمر الىٰ علي ـ عليه السلام ـ، فدخل عمر[٨]، فأقام علياً وساقه ومنْ معه سوقاً عنيفا. ولما رأت فاطمة ما صنع عمر، صرخت وولولت، وخرجت الىٰ باب حجرتها، ونادت: يا ابا بكر! ما أسرع ما غرتم علىٰ أهل بيت نبيكم. والله لا أُكلِّم عمر حتىٰ ألقىٰ الله»[٩].

---

١. وَجَدَت: غضبت.

٢. العقد الفريد ٤/٢٥٩ ـ ٢٦٠. وفيه: «أقبل عمر بقبس من نار علىٰ ان يُضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة، فقالت: يابن ابي الخطاب! أجئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم».

٣. تاريخ الرسل والملوك ٣/٢٠٢.

٤. تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٦، والذي وجدته فيه: «وبلغ أبا بكر وعمر ان جماعة من المهاجرين والانصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله، فأتوا في جماعة حتىٰ هجموا الدار...، فخرجت فاطمة فقالت: والله لتخرجنَّ أو لأكشفنَ شعري ولأعجنَّ الى الله...».

٥. المختصر ١/١٥٦. وفيه: «اقبل عمر بشيء من نار علىٰ أن يُضرم الدار، فلقيته فاطمة، قالت: الىٰ أين يا ابن خطاب! جئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم».

٦. الإمامة والسياسة / ١٤.

٧. شرح نهج البلاغة ١/١٣٤.

٨. وذلك بعد أن هدَّم قسماً من حائط بيت فاطمة الزهراء، كما يظهر من شرح نهج البلاغة ٢/١٩، السطر ٢٨.

٩. شرح نهج البلاغة ٢/١٩.

وفي الشرح ـ للمعتزلي ـ و«الامامة والسياسة»: ان أبا بكر وعمر اِستأذنا للدخول علىٰ فاطمة ـ عليها السلام ـ للاِسترضاء منها. فأبتْ وأعرَضت عنهما. فألحّا عليها. فقالت: نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله (ص) يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخطهامن سخطي؟

قالا: نعم.

قالت: فاني اشهد الله وملائكته انكما اسخطتماني. ولئن لقيتُ النبي ـ ص ـ لأشكونكما اليه. وقالت لأبي بكر: والله لأدعونَّ عليك في دَبَر كل صلاة اصليها. ثم قالت لعلي ـ عليه السلام ـ: انشدك الله يا علي! ان لا يصليا علىٰ جنازتي، ولا يقوما علىٰ قبري[1]. انتهىٰ.

وفي «صحيح البخاري» ـ في تفسير سورة الحج من كتاب التفسير، عند قوله تعالىٰ: «هذان خصمان اختصموا في ربهم، فالذين كفروا قُطِّعت لهم ثياب من نار» ـ: عن علي انه قال: «أنا أول مَنْ أجثوا للخصومة بين يديّ الرحمان»[2].

ثم انه حكىٰ عبدالكريم بن أبي بكر احمد الشهرستاني الأشعري ـ في كتابه «الملل والنحل» [المطبوع] في هامش «الفصل» لابن حزم الأندلسي، عن النظامية من فِرَق معتزلة البصرة، أتباع ابراهيم بن سيار النظام ـ انه[3] قال: ان عمر ضرب بطن فاطمة (عليها السلام) يوم البيعة حتىٰ ألقت المحسن من بطنها، وكان يصيح: احرقوها بمَنْ فيها. وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين[4]. انتهىٰ.

ونحوه ـ علىٰ اختلاف الجملة ـ ما حكاه المقريزي في «الخطط» قائلاً: وزعم انه

---

١. شرح نهج البلاغة ٤/١٠٤، الامامة والسياسة / ١٤. مع اختلافات غير مُخلّة بالمقصود.

٢. صحيح البخاري ٦/١٢٤، كتاب التفسير، تفسير سورة الحج.

٣. انه:ابراهيم بن سيار النظّام.

٤. الملل والنحل ١/٥٧.

ضَرَب فاطمة ابنة رسول الله (ص)، ومَنَع ميراث العترة[١].[٢]

قلت: ومَنَعَ أبو بكر وعمر، فاطمة ـ عليها السلام ـ من اِرث أبيها (صلىٰ الله عليه واله)[٣]. ومنعا أيضاً ذا القُربىٰ عن سهم في كتاب الله لقوله تعالى «واعلموا أنّ ما غنمتم من شيء، فأن لله خُمُسَه وللرسول ولذي القربىٰ»[٤] مخالفاً كتاب الله. ففي «صحيح مسلم» و«الدر المنثور» ـ للسيوطي، عند قوله تعالىٰ: «واعلموا أن ما غنمتم من شيء» ـ: ان ابا بكر ردّ نصيب القرابة الىٰ سبيل الله[٥].

وفيها عن ابن عباس في سهم ذي القُربىٰ، قال: «هو لقُربىٰ رسول الله ـ ص ـ، قَسَّمَ لهم النبي. وعرض علينا عمر من ذلك دون حقنا، فرددناه[٦].

هذا كله من الدلائل الواضحة علىٰ عدم عصمة أبي بكر وعمر، ووقوع الخطأ منهما كثيراً، وذلك مثل حرق أبي بكر «الفجاءة» بالنار[٧]، ولم يعلم انه لا يجوز. حتىٰ اِذا كان آخر عمره، تمنىٰ أن قتله ولم يحرقه، كما في «العِقد الفريد»[٨].

والعجب من وقاحة ابن تيمية انه في منهاجه يُقرّ بأن ابا بكر أحرق «الفجاءة» بالنار، وذلك لانه ثابت من طرقهم، ثم يكرّ علىٰ الشيعة ويقول: ان علياً أيضاً ممن أحرق بالنار كأبي

---

١. المواعظ والاِعتبار ١٦٥/٤.

٢. راجع تفاصيل الهجوم علىٰ بيت فاطمة الزهراء في كتاب شرح نهج البلاغة ١٨/١ ـ ٢٠، والامامة والسياسة / ١٢ ـ ١٣.

٣. صحيح البخاري ١٧٧/٥، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر. صحيح مسلم ١٣٧٩/٣ ـ ١٣٨٢، كتاب الجهاد، باب ١٦.

٤. سورة الانفال / ٤١.

٥. صحيح مسلم ١٣٧٩/٣ ـ ١٣٨٢، كتاب الجهاد، باب ١٦. الدر المنثور ١٨٧/٣.

٦. الدر المنثور ١٨٦/٣.

٧. البداية والنهاية ٣١٩/٦.

٨. العقد الفريد ٢٦٨/٤، وكذلك في الامامة والسياسة / ١٨.

بكر[١]. وهذا من كذب النواصب علىٰ علي ـعليه السلام ـ في طرقهم، لا في طرق الشيعة، فكيف يكون حجةعليهم؟

والغرض بيان ان ابا بكر فعل نُكرا، فدخل في إِنكار ابن عباس علىٰ مَنْ أحرق أحداً بالنار، لقول النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ: «مَنْ بَدَّل دينه، فاقتلوه». كما رواه ابن تيمية (في الصفحة المزبورة) في النقض علىٰ علي ـعليه السلام ـ. وهو من فرط تعصبه لم يلتفت الىٰ ان الحديث يشمل أبا بكر وينقض عدالته، وانه لا يقع رداً علىٰ من قال بعصمة علي ـعليه السلام ـ، إِذ الحديث عن ابن عباس في شأن إِحراق علي ـعليه السلام ـ كذب محض وافتراء صرف، ليس في كتب الشيعة منه عين ولا أثر.

ثم ان ابا بكر قال: رأيتُ في الكَلالة رأياً[٢]، «فان كان صواباً، فمن الله، وان كان خَطأً، فمني ومن الشيطان». كما في «الدر المنثور» للسيوطي[٣].

فأبو بكر يرىٰ نفسه معرَّضاً للشيطان، فكيف يكون علىٰ جانب من الخطأ؟ أم كيف يكون اولىٰ بالعصمة من علي ـعليه السلام ـ الذي شهد القران بعصمته كما عرفت وستعرف؟

ثم ان ما يدل علىٰ خطأ أبي بكر في تصديه للخلافه، قوله عند موته: «ليتني سألتُ النبي (ص) هل للأنصار فيها ـ يعني الخلافة ـ حق»؟ كما في رواية «العقد الفريد»[٤]، والطبري في تاريخه[٥]. فانه يدل علىٰ شكه في خلافة نفسه وارتيابه فيما أسسه في السقيفة من قوله «الائمة من قريش».

---

١ . منهاج السنة ٣/١٢٤.

٢ . في المصدر «سأقول في الكلالة برأيي».

٣ . الدر المنثور ٢/٢٥٠.

٤ . العقد الفريد ٤/٢٦٩.

٥ . تاريخ الرسل والملوك ٣/٣١.

[ثناء الله علىٰ أمير المؤمنين وعتابه الصحابة]

ان الله تعالىٰ عاتب الصحابة واثنى علىٰ علي ـ عليه السلام ـ. وأمّا دعوىٰ ابن تيمية انه لم يُعرف من النبي (صلىٰ الله عليه واله) عتابٌ علىٰ عثمان، وقد عتب علىٰ علي ـ عليه السلام ـ، فهي باطلة، لأن الله عاتب علىٰ المؤمنين اِلّا علىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، بل الثناء عليه من الله تعالىٰ ومن رسوله (صلىٰ الله عليه واله) بأعظم بيان، هو المتواتر من القران ومن السُّنة. ففي «الصواعق المحرقة» و«منتخب الكنز» ـ في هامش المسند ـ: انه أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «ما أنزل الله «يا ايها الذين آمنوا» اِلّا وعليٌّ أميرها وشريفها. ولقد عاتب الله اصحاب محمد، وما ذكر علياً اِلّا بخير»[1]. قال في «منتخب الكنز»: رواه أبو نعيم[2].

وأخرج ابن عساكر عنه، قال: «مانزل في أحدٍ من كتاب الله ما نزل في علي» ـ عليه السلام ـ. وأخرج عنه ايضاً، قال: «نزلت في علي ثلاثمائة آية»[3]. انتهىٰ. ونحو هذا الحديث في «تاريخ الخلفاء» للسيوطي[4].

اما العتاب الواقع من الله ومن رسوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في حق أبي بكر وعمر وبالنسبة الىٰ سائر المؤمنين من الأصحاب سوىٰ أمير المؤمنين (عليه السلام)، ففي مواقع:

[الأول]: منها ما عاتب الله به ابا بكر وعمر حينما تنازعا ورفعا أصواتهما عند رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، فنهاهما الله عنه في سورة الحجرات بقوله: «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم بعضا، أن

١. الصواعق المحرقة / ٧٦ واللفظ له، منتخب كنز العمال ٥/ ٣٨. وايضاً في كنز العمال ١٣/ ١٠٨.

٢. منتخب كنز العمال ٥/ ٣٨.

٣. منتخب كنز العمال ٥/ ٣. تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الامام علي ٢/ ٤٣٠ ـ ٤٣١.

٤. تاريخ الخلفاء / ١٧١ ـ ١٧٢.

تحبط اعمالكم، وانتم لا تشعرون»[١]. ثم بيّن سبحانه انه مَنْ امتحن الله قلبه بالتقوىٰ هو الذي يغضّ صوته عند رسول الله. نص عليه البخاري في صحيحه من كتاب التفسير، في تفسير سورة الحجرات[٢]، روىٰ الحديث السيوطي في «الدر المنثور» عند تفسير الآية عن البخاري والترمذي وابن المنذر وابن جرير والطبري[٣].

وقال السيوطي في كتاب «لباب النقول في أسباب النزول»: ان ابا بكر وعمر تماريا[٤]، حتىٰ ارتفعت اصواتهما، فنزل قوله تعالىٰ: «يا أيها الذين آمنوا...»[٥].

[الثاني]: قوله تعالىٰ: «فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج»[٦]. ومنها: ما في «الدر المنثور» للسيوطي (عند ذكر الآية): قال: وأخرج الحاكم ـ وصححه ـ عن أسماء بنت أبي بكر قالت: خرجنا مع رسول الله ـ ص ـ حُجّاجا، وكانت زاملتنا[٧] مع غلام أبي بكر، فجلسنا ننتظر حتىٰ تأتينا. فاطلع[٨] الغلام يمشي ما معه بعيره. فقال أبو بكر: اين بعيرك؟ قال: أضلني الليلة[٩]. فقام ابو بكر يضربه ويقول: بعير واحد أضلّك وانت رجل؟ ورسول [الله] يبتسم ويقول: انظروا الىٰ هذا المحرِم ما يصنع[١٠]. انتهىٰ.

---

١. سورة الحجرات / ٢.

٢. صحيح البخاري ٦/١٧١، كتاب التفسير، تفسير سورة الحجرات.

٣. الدر المنثور ٦/٨٤.

٤. تماريا: تجادلا.

٥. لباب النقول / ٦٨٢.

٦. سورة البقرة / ١٩٧.

٧. زاملة: البعير الذي يُحمل عليه المتاع.

٨. في سنن ابن ماجة ٢/٩٧٨: فَطَلَع الغُلام.

٩. في سنن ابن ماجة ٢/٩٧٨: قال: اضللتُه البارحة قال [ابو بكر]: معك بعير واحد تُضلّه ؟...

١٠. الدر المنثور ١/٢٢٠.

والحديث أيضاً هو المروي في «المسند» ـ لأحمد، وفي مسند أسماء بنت أبي بكر ـ[١]، ورواه ايضاً النسائي وابن ماجة القزويني في سننهما[٢]، وذكره المقريزي في «إمتاع الأسماع» ـ في حجة الوداع ـ[٣].

فهذا مما ترىٰ فيه من العتاب من الله ومن رسوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ لأبي بكر، انه أفرط في الخطأ، وفي القران من قوله تعالى: «كونوا ربّانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون»[٤].

[الثالث]: ومنها: ما ورد في حديث استشارة النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ ابا بكر وعمر في شأن غلمان قريش الذين لحقوا بالنبي (صلىٰ الله عليه واله)، فأشارا عليه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ بما دخل عليه الغضب، وانكر عليهما.

ففي «المسند» لأحمد[٥]، والحاكم في «المستدرك» ـ في كتاب قسم الفيء ـ[٦]، والذهبي في «التخليص»[٧]، والترمذي في جامعه[٨]، ومحب الدين الطبري في «ذخائر العقبى»[٩] و«الرياض النضرة»[١٠]، وعلي المتقي الهندي في «الكنز»[١١]، والخطيب البغدادي في تاريخه[١٢]،

١. مسند أحمد بن حنبل ٦/٣٤٤.
٢. سنن إبن ماجة ٢/٩٧٨.
٣. إمتاع الاسماع / ٥١٤.
٤. سورة آل عمران / ٧٩.
٥. مسند احمد بن حنبل، ٦/٣٤٤.
٦. المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/١٣٨.
٧. تلخيص المستدرك ٢/١٣٨.
٨. سنن الرمذي ٥/٦٣٤. وق وصف الترمذي الحديث بالحسن الصحيح، ووثّق راويه.
٩. ذخائر العقبىٰ / ٧٦. مع اختلاف.
١٠. الرياض النضرة ٢/٢٥٢. وليس فيه ما يتعلق باستشارة ابي بكر وعمر.
١١. كنز العمال ١٣/١٢٧. وقريب منه في ١٣/١١٥، ١٧٣، ١٧٤.
١٢. تاريخ بغداد ٨/٤٣٣.

وابن الأثير في «اسد الغابة»[١] باسنادهم الىٰ ربعي بن حراش[٢] عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء النبي (ص) أُناسا من قريش.

فقالوا: يا محمد! إنَّا جيرانك وحلفاؤك، وإنَّ أُناساً من عبيدنا قد أتوك، ليس لهم رغبة في الدين، ولا رغبة في الفقه، وانما فرّوا من ضياعناوأموالنا، فارددهم الينا.

فقال لأبي بكر: ما تقول؟ قال: صَدقوا. فتغيّر وجه رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ. ثم قال لعمر: ما تقول؟ قال: صدقوا. فتغيّر وجه النبي ـ ص ـ.

ثم قال: «يا معشر قريش! ليبعثن[٣] الله عليكم رجلاً منكم، امتحن الله قلبه للايمان، يضرب رقابكم علىٰ الدين». فقال ابو بكر: انا هو يا رسول الله؟ قال: لا. قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا، ولكن خاصف النعل في المسجد». وقد كان ألقىٰ نعله الىٰ علي يخصفها. قال الحاكم: هذا حديث صحيح، ولم يخرِّجاه[٤].

أقول: ولا يخفىٰ ما تضمنه الحديث ـ بجميع اسناده والفاظه ـ من تغيِّر وجه النبي (صلى الله عليه واله) الذي هو علامة الوجد والغضب من تصديق ابي‌بكر وعمر لقريش ضد ارادة رسول الله (صلىٰ الله عليه واله)، وأي خلاف منهما أعظم؟

ثم اشتماله ـ ثانياً ـ علىٰ أن الرجل المبعوث من الله تعالىٰ لقتال العرب هو علي (عليه السلام) دون ابي‌بكر وعمر، بنص من رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وتصريح منه. فمن الجزاف دعوىٰ الجماعة سيما ابن حجر ـ في «الصواعق» ـ ان قوله تعالىٰ: «يا أيها الذين آمنوا! مَن يرتدّ منكم عن دينه، فسوف يأتي الله بقومٍ يحبهم ويحبونه...»[٥] الىٰ آخر الاية،

---

١. اسد الغابة ٤/٢٦.

٢. بعض الاسناد في المصادر المذكورة ينتهي الىٰ غير ربعي بن حراش.

٣. في بعض المصادر المذكورة: «لتنتهنَّ أو ليبعثنَّ..».

٤. المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/١٣٨.

٥. سورةالمائدة / ٥٤.

نزل في أبي بكر[١]، من دون استنادٍ الىٰ حديث عن النبي (صلى الله عليه واله) من أي طريقٍ كان، فهل الدعوىٰ بمجردها مقبولة؟ أم هل للشيعة مثل هذه المجازفة؟

ثم اِن تلك الأحاديث برمتها مشتملة علىٰ خصلة ممدوحة ومختصة بعلي ـ عليه السلام ـ في قبال الصحابة، وهو انه قد امتحن الله قلبه للايمان، فهي مديحة، وأي مديحة لا يساويها أحد، كيف وعمر ممن قال ـ في واقعة الحديبية ـ: «والله ما شككتُ منذ أسلمت اِلّا يومئذ» !! رواه السيوطي عنه في «الدر المنثور»[٢].

ان علياً ـ عليه السلام ـ لمّا ضربه ابن ملجم قل: «فزتُ ورب الكعبة، اليوم ألقىٰ الأحبة: محمداً وحزبه». فكان اول من اذعن بما وعده الله من الأجر.

وفي «الصواعق المحرقة»: أخرج الحاكم ـ وصححه ـ عن ابي سعيد الخدري عن النبي (ص): «.. فوالله ان علياً لا خيشن[٣] في ذات الله» أو «في سبيل الله»[٤].

وفيها: من كلام علي ـ عليه السلام ـ: «لو كُشف الغِطاء، ما ازددتُ يقينا»[٥]. انتهىٰ.

ومن كلام أبي بكر عند موته: «وجاءت سَكْرة الموت بالحق، ذلك ما كنت منه تحيد». كما في «تاريخ الخلفاء»[٦] للسيوطي.

وفيه: انه أخرج البيهقي في «شعب الايمان» عن الضحاك قال: قال ابو بكر: «والله لوددتُ اني كنت شجرة الىٰ جنب الطريق، فمرَّ عليَّ بعير، فأخذني، فأدخلني فاه، فلاكني، ثم

---

١. الصواعق المحرقة / ٩.

وسيأتي (في الجزء الثالث من هذا الكتاب، صفحة ١٤٧ ـ ١٦٨) تفصيل بيان اِنطباق الآية المذكورة علىٰ الامام علي بن ابي طالب، وعدم اِمكان انطباقها علىٰ أبي بكر.

٢. الدر المنثور ٦/٧٧.

٣. روي بلفظ «الأخشىٰ» و «الأخشن» ايضاً.

٤. الصواعق المحرقة / ٧٦. والترديد من الراوي.

٥. الصواعق المحرقة /٧٧.

٦. تاريخ الخلفاء /٨٤.

ازدردني، ثم أخرجني بعْرا»[١].

وفي «حلية الاولياء» ـ لابي نعيم الحافظ ـ: عن مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن أبيه: ان عمر دخل علىٰ أبي بكر وهو يجبذُ لسانه. فقال له عمر: مه! غفر الله لك. فقال ابو بكر: هذا أوردني الموارد[٢]. ـ يقصد لسانه ـ.

وفي صحاح الجوهري ـ في لغة «نصص» ـ قال: وفي حديث أبي بكر (رض) حين دخل عليه عمر وهو ينصنِص لسانه ـ اي: يحركه ـ ويقول: هذا اوردني الموارد[٣].

[وروىٰ] حسام الدين علي المتقي الهندي في «منتخب كنز العمال» ـ المطبوع في هامش مسند احمد ـ عن قتادة قال: بلغني ان ابا بكر قال: «وددت اني خضرة تأكلني الدواب»[٤].

وفيه: قال أبو بكر: «والله لوددتُ اني كبش يسمنني أهلي، فاذا كنتُ أعظم ما كنت وأسمَنه، ذبحوني، فيجعلون بعضي شواءاً وبعضي قديدا، ثم أكلوني، ثم ألقوني عَذَرة في الحشّ[٥]، واني لم أكن خُلقتُ بشرا»[٦].

ومن كلام عمر بعد أن طُعن ـ كما في الحلية ـ: «لو أن لي طِلاع[٧] الارض ذهباً

---

١. تاريخ الخلفاء / ١٤٢.

٢. حلية الأولياء ١/٣٣.

وفي تاريخ الخلفاء /١٠٤: ان عمر اطلع علىٰ ابي بكر وهو آخذٌ بلسانه. فقال: هذا الذي أوردني الموارد.

٣. صحاح اللغة ٢/١٠٥٩.

٤. منتخب كنز العمال ٤/٣٦١.

٥. الحشّ: المرحاض.

٦. منتخب كنز العمال ٤/٣٦١.

وقريب منه قول عمر المروي في «تاريخ لخلفاء» /١٤٢.

٧. طلاع: مِلء.

لافتديتُ به من عذاب قبل أن أراه»[١].

وفيها: من كلام عمر في مرضه الذي مات فيه: ويلي وويل أُمي ان لم يرحمني ربي»[٢].

وفي «منتخب كنز العمال» ـ المطبوع في هامش المسند لأحمد ـ: عن عامر بن واثلة[٣] قال: رأيت عمر بن الخطاب آخذ نبتة، فقال: «يا ليتني كنت هذه النبتة، ليتني لم أُخلَق، ليتني لم اكن شيئاً، ليت أُمي لم تلدني، ليتني كنت نسياً منسيا»[٤].

ونحو هذه قول عائشة عند موتها: «يا ليتني كنتُ نسياً منسيا». [رواه] احمد في «المسند»[٥]، والحاكم في «المستدرك»[٦]، وابو نعيم في «الحلية»[٧]، والخطيب الخوارزمي في «المناقب»[٨].

وفي «الطبقات الكبرىٰ» ـ لِابن سعد ـ من قول عائشة: «وددتُ اني اِذا متُّ وكنت نسياً منسيا». وقولها حين حضرها الموت: «ليتني لم أُخلَق، ليتني كنت شجرة. والله لوددتُ اني كنت مدرة، وياليتني كنت ورقة من الشجرة، وياليتني كنت نباتاً من نبات الأرض، ولم اكن شيئاً مذكورا»[٩].

---

١. حلية الأولياء ١/٥٢.

وروىٰ البخاري بسَنَده عن ابن عباس انه دخل علىٰ عمر لما طُعِن، فرأه جَزِعاً فَزِعاً.. فقال له عمر: «والله لو أن لي طِلاع الارض ذهباً، لافتديت به من عذاب الله قبل أن اراه». (صحيح البخاري ٥/١٦، باب مناقب عمر بن الخطاب).

٢. حلية الإلياء ١/٥٢.

٣. في المصدر: «عامر بن ربيعة».

٤. منتخب كنز العمال ٤/٤٠٠.

٥. مسند احمد بن حنبل ١/٣٤٩.

٦. المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/٨ ـ ٩.

٧. حلية الأولياء ٤/٤٥.

٨. مناقب علي بن أبي طالب / ١١٥. وليس فيه انها قالته عند موتها.

٩. الطبقات الكبرىٰ ٨/٧٤، مع اختلاف غير مخل بالمقصود.

ما عاتب الله تعالىٰ به المسلمين اِلّا أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ

فمن تلك المواقع ما في قوله تعالىٰ: «ءَأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات»[١]؟ وهذه المعاتبة وقعت في حادثة كان فيها ابو بكر وعمر وعثمان وساير الخواص من الأصحاب. فكلهم أمرهم الله تعالىٰ أن يقدّموا بين يدي نجواهم مع النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ صدقة في سبيل الله لا تزيد عن درهم، فبخلوا عنها بصريح القران، فلم يناجوا ولم يتصدقوا، وانما فعل ذلك علي ـ عليه السلام ـ باجماع الكل، فصار هو ـ عليه السلام ـ المخصوص بالنجوىٰ والتصدق في سبيل الله.

والحديث في هذا الخصوص هو المروي في «الدر المنثور»[٢]، وفي «خصائص النسائي»[٣]، و«الرياض النضرة»[٤] للمحب الطبري، وعلي المتقي الهندي في «منتخب الكنز»[٥] ـ المطبوع في هامش المسند ـ[٦].

ومنها: واقعة بدر، لما استشار النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ اصحابه في الاسارىٰ، فأشار عليه ابو بكر بأخذ الفداء. وقال عمر: اِضرب أعناقهم. فنزل ـ تعريضاً علىٰ مَنْ قال بأخذ الفدية ـ قوله تعالى: «ما كان لنبيٍ أن يكون له أسرىٰ حتىٰ يُثْخِنَ في الارض. تريدون عَرَضَ الدنيا، والله يريد الآخرة، والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق، لمسَّكم فيما أخذتم عذاب عظيم»[٧].

---

١. سورة المجادلة / ١٣.

٢. الدر المنثور ٦/١٨٥.

٣. خصائص علي بن ابي طالب / ٢٨.

٤. الرياض النضرة ٢/٢٦٥.

٥. منتخب كنز العمال ٢/٢١.

٦. توجد مصادر اخرىٰ حول نزول الآية وتصدق الامام علي واثبات كون ذلك فضيلة له في الجزء الثالث من هذا الكتاب في الصفحة ١٧٣ ـ ١٨٤.

٧. سورة الأنفال / ١٦٧ ـ ١٦٨.

فقوله تعالى: «تريدون عرض الدنيا» خطاب لمن مال الىٰ أخذ الفداء وتقبيح لعملهم. ولذا جعل أبو بكر يبكي بعد نزول قوله تعالىٰ: «تريدون عرض الدنيا» وقوله «لمسّكم فيما أخذتم» يعني الفداء «عذاب عظيم». حسبما قاله الفخر الرازي في تفسيره. وفيه: ان النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قال: ان العذاب قَرُب نزولُه ولو نزل لما نجىٰ منه اِلّا عمر[١]. انتهىٰ

ثم انه اختص علي ـ عليه السلام ـ في تلك الواقعة بفضيلة لم يشاركه فيها أحد. ففي «كنز العمال» (في غزوة بدر من كتاب لغزوات من حرف الغين) و«منتخب الكنز» (المطبوع في هامش المسند): عن ابن شاهين بالإسناد الىٰ علي ـ عليه السلام ـ قال: «لما كانت ليلة بدر، قال النبي ـ ص ـ: من يستقي لنا الماء؟ فأحجم الناس. فقام علي ـ عليه السلام ـ، فاعتصم القربة، ثم أتىٰ بئراً بعيدة القعر مظلمة. فانحدر ـ عليه السلام ـ فيها، فأوحىٰ الله الىٰ جبرائيل وميكائيل واسرافيل: تأهبوا لنصر محمد (صلىٰ الله عليه واله). فنزلوا من السماء. فلما مرّوا بالبئر، سَلَّموا علىٰ علي ـ عليه السلام ـ من اخرهم، اِكراماً وتبجيلا»[٢].

ومن المواقع التي ورد الخطاب والعتاب علىٰ المسلمين حتىٰ أبي بكر وعمر وعثمان ـ دون علي ـ عليه السلام ـ ما نزل فيهم قوله تعالىٰ: «ان الذين تولّوا منكم يوم التقىٰ الجمعان، انما استزلّهم الشيطان»[٣]. وقوله: «اذ تُصعدون ولا تَلوون علىٰ أحد، والرسول يدعوكم في أُخراكم»[٤].

ففي «كنز العمال» ـ من مسند الصديق ـ: قال ابو بكر: انا كنت اول من رجع[٥]. وفي «الرياض النضرة»: عن عائشة قالت: كان ابو بكر اذا ذكر يوم اُحُد، قال: ذلك يوم طلحة.

---

١. التفسير الكبير ١٥/١٩٨.

٢. كنز العمال ١٠/٤٢١، منتخب كنز العمال ٤/١٠٩.

٣. سورة آل عمران / ١٥٥.

٤. سورة آل عمران / ١٥٣.

٥. كنز العمال ١٠/٤٢٥.

قال ابو بكر: كنت اول من جاء يوم أُحُد، فقال لي رسول الله ولأبي عبيدة: عليكما بطلحة وقد نزف[١].

وفي تفسير الفخر الرازي: كان من المنهزمين عمر[٢]. وفي «شرح النهج» ـ لابن أبي الحديد المعتزلي ـ: قال عمر بن الخطاب، لما صاح الشيطان قُتل محمد ـص ـ، أقبلتُ أرقىٰ الجبل، فلقد رأيتني انزو كأني أروية. فانتهيت الىٰ النبي ـص ـ وهو يقول: «وما محمد اِلّا رسول قد خَلَت من قبله الرُّسُل، أفاِن مات أو قُتل انقلبتم علىٰ أعقابكم»[٣]؟

وفي «تاريخ اليعقوبي»: انه لم يبق مع النبي ـص ـ يوم أُحد اِلّا ثلاثة: علي (عليه السلام) وطلحة والزبير[٤].

وفي «خصائص» النسائي: سأل رجلٌ ابنَ عمر عن عثمان، قال: كان من الذين تولوا يوم التقىٰ الجمعان[٥]، فتاب الله عليه، ثم أصاب ذنباً فقتلوه. وفي حديث الآخر: ان عثمان أذنب يوم أُحُد ذنباً عظيماً، فعفىٰ الله عنه. وأذنب فيكم ذنباً صغيراً، فقتلتموه[٦].

اِنّ من جميع ما أسمعناك تعرف كذب ما يُدعىٰ من عصمة أبي بكر وعمر، اِذ من الضرورة من الشرع ان الفِرار من الزحف معصية كبيرة. فكيف يفتري ابن تيمية ويدعي ان اصحاب النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ لم يعاتبهم الله؟ فشتّان بين ما عرفتَ من صراحة الآية في توبيخ الصحابة يوم أُحد، وبين ما صحَّ عن علي ـعليه السلام ـ كما في حديث النسائي عن عكرمة عن ابن عباس: ان علياً ـعليه السلام ـ كان يقول في حياة رسول الله (ص): «ان

---

١. الرياض النضرة ٣٣٨/٢.
٢. التفسير الكبير ٥٠/٩.
٣. شرح نهج البلاغة ٣٩١/٣.
٤. تاريخ اليعقوبي ٤٧/٢.
٥. يوم التقىٰ الجمعان يوم أُحد.
٦. خصائص علي بن ابي طالب / ١٩ ـ ٢٠.

الله تعالىٰ يقول: «أفإن مات أو قُتل انقلبتم علىٰ اعقابكم»؟ والله لا ننقلب علىٰ أعقابنا بعد إذ هدانا الله. و[الله][1] لئن مات أو قُتل، لأُقاتلنَّ علىٰ ما قاتل عليه حتىٰ أموت. والله اني لأخوه ووليه ووارثه وابن عمه، فمن أحق به مني؟[2] انتهىٰ.

فهل العتاب حينئذ متوجه الىٰ المسلمين الفارّين عن الزحف أو الىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ؟

ومن عظيم ثبات علي ـ عليه السلام ـ وباهر شجاعته في يوم احُـد، ما في تاريخ الطبري عن ابي رافع قال: لما قَتَل عليٌّ ـ عليه السلام ـ أصحاب الألوية، أبصر رسول الله جماعةً من مشركي قريش، فقال لعلي: اِحْمِل عليهم. فحمل عليهم، ففرَّق جمعهم، وقتل عمرو بن عبدالله الجمحي. قال: ثم أبصر النبي ـ ص ـ جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي ـ عليه السلام ـ: اِحْمل عليهم. فحمل عليهم، ففرَّق جماعتهم، وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لوى. فقال جبرئيل: هذه للمواساة. فقال النبي ـ ص ـ: انه مني وأنا منه. فقال: وأنا منكما. قال: فسمعوا صوتاً: «لا سيف الّا ذو الفِقار، ولا فتىٰ اِلّا علي»[3]. انتهى.

فالكلام مع ابن حجر ـ في صواعقه ـ المدعي لأشجعية أبي بكر[4]، في انه هل عُلم منه مثل ما عُلم وثبت لعلي (عليه السلام) من المبارزة وقتل الشجعان؟ فلو كان، فليتفضل بالبيان. فهل قيل لأبي بكر: لا سيف اِلّا سيفه؟ أم هل أظهر النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ فضلاً لأبي بكر في غزواته مثل ما أظهر لعلي ـ عليه السلام ـ؟

ثم ان من تلك المواقع التي عاتب الله فيها المسلمين، وأثنىٰ علىٰ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ واقعة الأحزاب ومبارزة عمرو بن عبد ود، وقد أخبر الله ما بلغ بالمسلمين

---

١. الزيادة من المصدر.

٢. خصائص علي بن ابي طالب /١٣.

٣. تاريخ الرسل والملوك ٢ /٥١٤.

٤. الصواعق المحرقة / ١٧ ـ ١٨.

في قوله: «واذ زاغت الابصار، وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً»[١]. وكل ذلك لغير أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ؛ فانه الذي برز الىٰ عمرو وقتله، واثنىٰ عليه النبي (صلىٰ الله عليه واله) بقوله: «برز الايمان كلُّه الىٰ الشرك كلِّه»[٢] وقال ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «قَتْلُ علي لعمرو أفضل من عبادة الثقلين»[٣] ونزل فيه (عليه السلام): قوله تعالىٰ «وكفىٰ الله المؤمنين القتال»[٤] بعلي في قراءة أبي مسعود، علىٰ ما في «الدر المنثور»[٥] للسيوطي.

ومن تلك الوقائع واقعة خيبر وقول النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ فيها «لاعطيّن الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرّار غير فرّار»[٦] تعريضاً علىٰ ابي بكر وعمر، اِذ أخذا الراية من النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وذهبا الىٰ اليهود، فانكشفا عنهم[٧]، سوىٰ علي (ليه السلام)، فانه ذهب الىٰ قلاعهم، ففتح الله عليه.

---

١. سورة الأحزاب / ١٠ ـ ١١.

٢. شرح نهج البلاغة ٣/٢٧٠. (و٣/٢٨٥ من طبعة اخرىٰ).

٣. انسان العيون ٢/٣٢٠.

وقريب منه في: المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/٣٢، كنز العمال ١١/٦٢٣، التفسير الكبير ٣٢/٣١، مناقب علي بن أبي طالب (للخوارزمي) / ٥٨.

٤. سورة الاحزاب / ٢٥.

٥. الدر المنثور ٥/١٩٢.

٦. صحيح البخاري ٥/١٧١، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر. و ٥/٢٢ كتاب المناقب، باب مناقب علي بن ابي طالب. صحيح مسلم ٤/١٨٧١ ـ ١٨٧٣، كتاب فضائل الصحابة، باب ٤. وسيأتي ذكر مجموعة كبير من مصادر الواقعة مع تفصيلها في الجزء الثالث من هذا الكتاب، في الصفحة ١٠٣ ـ ١٠٦.

٧. مسند احمد ٥/٣٥٩، ارشاد الساري ٦/٣٦٦، كنز العمال ١٠/٤٦٢ ـ ٤٦٣ و١٣/١٢١، مناقب علي بن ابي طالب ـ لابن المغازلي ـ / ١١٨.

ومنها: يوم حُنين، فان الله تعالىٰ عاتب فيه المسلمين بقوله عزوجل: «ويومَ حُنينٍ إذ أعجبتكُم كثرتُكم، فلم تُغنِ عنكم شيئا، وضاقت عليكم الارض بما رحُبت، ثم ولّيتم مدبرين»[١]. فهذا ذم ولوم علىٰ المسلمين، لقوله تعالىٰ: «ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولُّن الأدبار، وكان عهد الله مسؤولا»[٢].

قال ابن قتيبة في كتاب «المعارف»: كان الذين ثبتوا مع رسول الله ـ ص ـ يوم حنين بعد هزيمة الناس: علي بن ابي طالب، والعباس بن عبدالمطلب، وابو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وابنه، والفضل بن العباس، وأيمن بن عبيد (وهو ابن اُم ايمن مولاة رسول الله ـ ص ـ وحاضنته، وقتل يومئذ) وربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، واسامة بن زيد بن حارثة.

وقال العباس بن عبدالمطلب:

نصرنا رسول الله في الحرب سبعة ... وقد فَرَّ مَنْ قد فَرَّ منهم فاقشعوا

وثامننا لا قىٰ الحِمام بسيفه ... بما مسَّه في الله لا يتوجَّعُ

يعني: ابن أُم أيمن[٣]. انتهىٰ.

وفي «منتخب كنز العمال» ـ المطبوع في هامش «المسند» لأحمد ـ: عن انس بن مالك قال: لما كان يوم حُنين قال النبي (ص): الآن حَمِيَ الوطيس[٤]. وكان علي بن ابي طالب أشد الناس قتالاً بين يديه[٥]. انتهىٰ.

عدة الحامل المتوفّىٰ عنها زوجها: وأما مازعمه ابن تيمية من ان علياً ـ عليه السلام ـ أخطأ في عدة الحامل المتوفّىٰ عنها زوجها من أن عدتها أبعد الأجلين، فيتوجه عليه

---

١. سورة البراءة / ٢٥.

٢. سورة الاحزاب / ١٥.

٣. المعارف / ٧١ ـ ٧٢.

٤. حَمِي الوطيس: جدّت الحرب واشتدت. وقيل انه مثل يُضرب للأمر عند اشتداده.

٥. منتخب كنز العمال ٤/١٧٠.

من ان الاِعتداد بذلك هو الأوفق باصول الشرع من التحفظ علىٰ الفروج، لأن قوله تعالىٰ: «واولات الأحمال أجلُهُن أن يضعن حملَهُنّ»[١] يكون المستظهر منه انه في غير المتوفىٰ عنها زوجها. وان عدتها فيها أربعة أشهر وعشرا، لقوله تعالى: «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا، يتربّصن بأنفسهنّ أربعة أشهرٍ وعشرا»[٢].

فلو عورضت إِحدىٰ الآيتين بالاخرىٰ كان اللازم بالاحتياط، الحكم بالاعتداد بأبعد الأجلين، لأن فيه الأخذ بالآيتين والعمل بهما، لانه لم يعلم تأخر نزول آية «واولات الأحمال» عن آية «والذين يتوفون منكم» حتىٰ يعمل بالمتأخر الخارج مخرج النسخ. فاحتمال التقدم والتأخير واحتمال النسخ في كل من الآيتين علىٰ حدٍ سواء[٣].

قال محمد بن عبدالهادي الحنفي ـ في حاشيته علىٰ سنن ابن ماجة القزويني ـ: قد جاءت آيتان متعارضتان، احداهما تقتضي ان العدة في حقها أربعة أشهرٍ وعشرا، والثاني تقتضي ان العدة في حقها وضع الحمل. ولم ندرِ أن العمل بأيهما، فالوجه العمل بالأحوط وهو الأخذ بالأجل المتأخر، فان تأخر وضع الحمل عن اربعة اشهر وعشر يؤخذ به، وان تقدم يؤخذ بأربعة أشهر وعشرا. نعم قد يتساويان، فلا يبقىٰ آخر الأجلين، بل هما مجتمعان. انتهىٰ.

كذب دعوىٰ عتاب النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ علياً في رادة تزويجه:

واما دعوىٰ ابن تيمية واصحابه ان النبي (صلىٰ الله عليه واله) عاتب علياً ـ عليه السلام ـ

---

١. سورة الطلاق / ٤.

٢. سورة البقرة / ٢٣٤.

٣. لا يخفىٰ أن هذا المذكور كله توجيه صرف، وإلّا فما ذكره الامام حول عدة الحامل هو حكم الله، وعليه روايات اخرىٰ. واثبات خطأ الامام في ذلك بحاجة الىٰ الدليل وهو غير موجود. نعم ادعىٰ ابن تيمية ان من اسماه بـ«ابي سنابل» افتىٰ بذلك في عهد النبي، فكذّبه. وهو في غاية الضعف، ولا يبعد ان يكون كذباً مفترىٰ على رسول الله تنقيصاً لامير المؤمنين. ويؤيد ذلك ما في الكشّاف ٥٧٧/٤ من أن هذا كان رأي ابن مسعود ايضاً، وفي كنز العمال: ان عمر افتىٰ بوجوب التربص الىٰ ابعد الأجلين.

حينما أراد التزويج بابنة أبي جهل، فلقد عرَّفناك في الجزء الاول من الكتاب[١] ان رواية الخطبة فرية بينة، وانما بنو المغيرة هم أرادوا ان يزوجوا ابنتهم من علي ـعليه السلام ـ، واستأذنوا النبي (صلىٰ الله عليه واله) في ذلك، فلم يأذن لهم، كما هو صريح حديث البخاري ـ في كتاب النكاح، في باب ذبّ الرجل عن ابنته في الغيرة ـ[٢]. فلا يتوجه من ذلك عتاب علىٰ علي ـعليه السلام ـ، وانما العتاب علىٰ من أقدم واراد أن يزوّج علياً ابنة ابي جهل، وأما علي ـعليه السلام ـ فهو الممتنع عن التزويج بعد أن علم من النبي (صلىٰ الله عليه واله) عدم الرضا به.

[مفهوم اِقرار ابي بكر بعروض الشيطان له]

نقض قول الآلوسي والدهلوي: قال الشاه عبدالعزيز الدهلوي في «التحفة الاثني عشرية»، والسيد محمود الآلوسي في «مختصر التحفة»: ان لمقالة ابي‌بكر «ان لي شيطاناً يعتريني» قياس واضح علىٰ كلام السيد السجاد علي بن الحسين ـعليهما السلام ـ في دعائه في «الصحيفة»: «انا الذي أفنت الذنوب عمري، وقد ملك الشيطان عناني، واشكو سوء جواره لي»[٣]. وعلىٰ قوله تعالىٰ: «وعصىٰ آدمُ ربَّه فغوىٰ»[٤]. وقوله عزوجل في يوسف «وما أُبريء نفسي، ان النفس لأمّارة بالسوء اِلّا ما رحم ربي»[٥][٦].

وقال في «التحفة»: اذاصح علىٰ الانبياء اِتباع الشيطان وان يلقي الشيطان الزيغ

١. في الصفحة ٥٣ ـ ٥٥.

٢. صحيح البخاري ٤٧/٧، كتاب النكاح، باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة.

٣. الصحيفة السجادية / ٥٩. ـ دعاء ٣٢ ـ.

٤. سورة طه / ١٢١.

٥. سورة يوسف / ٥٣.

٦. مختصر التحفة الاثني عشرية / ٢٤٣. لكن الذي فيه ان المذكور هنا جواب عن شيء اخر، فراجع.

في قلوبهم ـ كما هو منطوق بعض الآياتِ، فلا مانع من أن يكون ابو بكر مثلهم، وقد قال الله تعالىٰ في حق المتقين من المؤمنين: «ان الذين اتقوا اذا مسَّهم طائفٌ من الشيطان تذكروا، فاذا هم مبصرون»[١]. دل علىٰ انه قد يمسهم الشيطان، وذلك لا يضرهم اذا تبصروا ثم عدلوا وتابوا.

قلت: ان ما ذكراه خروج عن فرض البحث، لان محل الكلام هو لزوم عصمة الامام وعدمه بعد الفراغ عن وجوب عصمة الأنبياء، وإلّا فمتىٰ نفينا اِعتبار العصمة برأسها، كان النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وخلفاؤه في حد سواء، فلا حاجة اِذاً الىٰ ما قيل أو يقال.

ولكنه قد تظافر العقل والشرع علىٰ عصمة الانبياء، لقوله تعالىٰ: «واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم، ومنك ومن نوح...»[٢]. وقوله في ابراهيم ويعقوب: «اِنّا أخلصناهم بخالصةٍ ذكرىٰ الدار، واِنهم عندنا لمن المصطفَيْن الأخيار»[٣]. وقوله تعالى في آدم: «اني جاعلك في الارض خليفة»[٤]. وفي داود ـ عليه السلام ـ: «اِنا جعلناك خليفة في الأرض»[٥].

وقال في محمد ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام): «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويطهّركم تطهيرا»[٦]. فطهَّر الله محمداً وأهل بيته المذكورين عن رجس الشيطان وأعانهم عليه، كما أعان محمداً ـ صلىٰ الله عليه واله ـ عليه في الأحاديث المتظافرة المذكورة في فصل العصمة من كتاب «الشفاء» للقاضي عياض.

---

١. سورة الأعراف / ٢٠١.
٢. سورة الأحزاب / ٧.
٣. سورة ص / ٤٦ ـ ٤٧.
٤. سورة البقرة / ٣٠.
٥. سورة ص / ٢٦.
٦. سورة الأحزاب / ٣٣.

وقد أثبت فيه عصمة الأنبياء وعصمة نبينا محمد ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قائلاً: «قد تعاضدت الأخبار والاثار علىٰ تنزيه الأنبياء عن هذه النقيصة، ونشأتهم علىٰ التوحيد والإيمان، بل علىٰ إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة...»[١]. الىٰ آخر كلامه. ثم حاول الىٰ دفع مشكلات الايات ومتشابهاتها.

الىٰ ان قال: «واعلم ان الأُمة مجمعة علىٰ عصمة النبي ـ ص ـ من الشيطان، وكفايته منه. لا في جسمه بأنواع الاذىٰ، ولا علىٰ خاطره بالوساوس. فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ـ ص ـ: ما منكم من أحدٍ إلّا وُكِّل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة. قالوا: واياك يا رسول الله! قال: واياي، ولكن الله تعالىٰ أعانني عليه، فأَسلَمَ»[٢]. انتهىٰ.

ففيه من التصريح بنفي العصمة عن مَنْ عداه من اصحابه من غير فرق، ولذا صحّ عن ابي بكر قوله: «ان لي شيطاناً يعتريني» من غير عهد ولا ميثاق من الله تعالىٰ لحفظه واعانته عليه، لسبق الكفر فيه. فبطلت بذلك المقايسة بين الانبياء الموعودين من الله الحفظ عن الخَطَأ، وبين أبي بكر الذي اعترف بالخطأ.

بطلان الاحتجاج بآية مسّ الشيطان للمقين: واما الاحتجاج بقوله تعالىٰ: «ان الذين اتقوا إذا مسَّهم طائف من الشيطان تذكروا، فاذا هم مبصرون»[٣]. فيتوجه عليه ان الآية علىٰ الخلاف ادل، نظراً الىٰ تضمنها مس الشيطان للمتقين، أقصىٰ الأمر انهم ربما يناهم التوفيق من الله، فيتذكرون ويتوبون، وهذا المقدار من الذنب ينافي العصمة الالهية اللازمة في الإمام والخليفة. وعلي ـ عليه السلام ـ ثاني اثني النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في هذه الفضيلة (علىٰ ما سيأتي) دون غيره من الاصحاب، لما في «الدر المنثور» للسيوطي من انه: اخرج البخاري في «الادب المفرد» عن معقل بن يسار قال: انطلقتُ مع ابي بكر الصديق

١. الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ٢/١٠١ ـ ١٠٥. (و٢/٢٧٥ ـ ٢٨٤ من طباعة مؤسسة علوم القران).

٢. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/١٠٠ ـ ١٠١. (و٢/٧٥ من طباعة مؤسسة علوم القرآن).

٣. سورة الأعراف / ٢٠١.

الىٰ النبي ـص ـ. قال: يا ابا بكر! الشرك فيكم أخفىٰ من دبيب النمل. فقال ابوبكر: وهل الشرك اِلّا مَنْ جعل مع الله اِلهاً آخر؟ فقال النبي ـص ـ: والذي نفسي بيده الشرك فيكم أخفىٰ من دبيب النمل»[١].

وفيه ـ عند تفسير قوله تعالىٰ: «أَم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه»[٢] ـ: حدث ابو بكر عن النبي ـص ـ قال: الشرك فيكم أخفىٰ من دبيب النمل. قال أبو بكر: يا رسول الله! هل الشرك اِلا مَنْ عبد دون الله أو ما دعىٰ مع الله؟ قال ـص ـ: ثكلتك أُمك! الشرك أخفىٰ فيكم من دبيب النمل[٣]. انتهىٰ.

وأما الدفاع عن ابي بكر ـ في اعترافه بخطئه بمرئىٰ من الناس ـ بكلام الائمة من اهل البيت عليهم السلام في تضرعهم وخشوعهم لله تعالىٰ، ففيه بطلان القياس، لان ابا بكر أظهر بكلامه (مخاطباً للمسلمين: «أقيلوني، ولست بخيركم» و«ان لي شيطاناً يعتريني» و«فاذا عصيت الله، فلا طاعة لي عليكم. واذا زغتُ، فقوموني».) ما ظاهره الاِقرار بما اذا صدر من غيره كشف عن عدم أهليته من غير تأويل فيه.

وهذا بخلاف ما في دعاء المعصومين من الخضوع والخشوع والتضرّع والإقرار بقصور العبد عن أداء ما يستحقه الرب. وهذه هي الخصلة المتداولة في الأدعية. كما في قوله تعالىٰ حكاية عن ابراهيم ـعليه السلام ـ: «والذي أطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين»[٤]. ومن ذلك استغفار النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ وهو معصوم، وقد ورد أن حسنات الابرار سيئات المقرَّبين. قال القاضي عياض في كتاب «الشفاء»: ان كثرة استغفار النبي ـص ـ

---

١. الدر المنثور ٤/٥٤.

٢. سورة الرعد / ١٦.

٣. الدر المنثور ٤/٥٤.

٤. سورة الشعراء / ٨٢.

دليل علىٰ ملازمته للخضوع والخشوع لله تعالىٰ، شكراً له علىٰ نعمه[١]. انتهىٰ

فالمعصومون من الانبياء والأولياء أخشع واخضع لله سبحانه،لقوة معرفتهم، فكثرة العبادة بكثرة المعرفة، وفي القران: «انما يخشىٰ اللهَ من عباده العلماءُ»[٢]. فدعاؤهم وخشوعهم انما يكون لربهم. اين هذا من التضرع والاِقرار بالذنب عند مخلوق مثله؟

آية الاتقىٰ ومقالة الجماعة: قالت الجماعة: ان ابا بكر هو المعنيّبقوله تعالىٰ: «وسَيُجَنَّبها الأتقىٰ الذي يؤتي ما له يتزكىٰ ...»[٣]. فأبو بكر هو الاتقىٰ. قالهاِبن تيمية في منهاجه[٤].

قلت: فهل يقبل هو من الشيعة مثل هذه الحجة غير المبتنية علىٰ وجه صحيح عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ؟ فالاية عامة، لعموم اللفظ.

علىٰ ان ابا بكر كيف يكون هو الاتقىٰ مع إظهاره عند موته ما ظاهره القنوط واليأس، مثله تمنيه تارة كونه بَعْرة، واُخرىٰ انه قديد، وثالثة انه شجرة اِلىٰ جنب الطريق، ولم يكن بشرا، ورابعة انه خضرة تأكله الدواب، الىٰ غير ذلك من العبارات التي لم يُعهد صدورهامن أحد من المتقين عند موته، بل لا يجوز للمؤمن الذي امتحن الله قلبه ان يتمناها، بل هذه خلاف ما وعد الله به أولياءه المتقين في قوله: «قد افلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون»[٥] وقوله عزّ وجلّ: «الله ولي الذين آمنوا، يخرجهم من الظلمات الىٰ النور»[٦]، وقوله تعالىٰ: «ان الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ اولئك عنها مبعدون، لا يسمعون حسيسها،

---

١. الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ٢/١٥١ ـ ١٥٢.

٢. سورة فاطر / ٢٨.

٣. سورة الليل / ١٨.

٤. منهاج السنة ٤/١٠٠.

٥. سورة المؤمنون / ١.

٦. سورة البقرة / ٢٥٧.

وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون»[١]، وقوله تعالىٰ: «ألا اِن اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[٢]. وقد صح من احاديث الجماعة عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: ان الله يتجلىٰ يوم القيامة لابي بكر خاصة. فكيف يصح لأبي بكر ان يكون ما تمناه؟

قال ابن تيمية في «المنهاج»: كلام ابي بكر «ليت أُمي لم تلدني» قاله خوفا[٣].

قلت: ان الخوف الشديد يؤثر في رجاء العفو والترحّم من الله تعالىٰ، لا اِلقاء ما لم يلقه أحدٌ من المؤمنين. قال ابن تيمية في منهاجه: ان بلالاً قال عند موته: واطرباه ! غداً ألقىٰ الأحبة، محمداً وحزبه. وقال معاذ بن جبل لما ضُرب بالطاعون: يا أبتِ الحق من ربك، فلا تكونن من الممترين. وقال مولىٰ لأبي بكر ـ لما قُتل يوم بئر معونة ـ: فزتُ ورب الكعبة. وقال شبيب الخارجي (لما طُعن): وعجلتُ اليك ربِ لترضىٰ[٤]. انتهىٰ

فلا تقتضي الخشية من الله اِظهار ما فيه القنوط عن الرحمة، فرسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ مع شدة خشيته من الله، كان يقول عند موته: «الرفيق الأعلىٰ». فيتمنىٰ من الله تعالىٰ مرافقة الانبياء.

[أدلة عصمة أمير المؤمنين]

[١ ـ آية التطهير]

النص الجلي علىٰ عصمة علي ـ عليه السلام ـ: وذلك قوله تعالىٰ: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويطهركم تطهيرا»[٥]. والنصوص الصريحة من

---

١. سورة الانبياء / ١٠١ ـ ١٠٢.

٢. سورة يونس / ٦٢.

٣. منهاج السنة النبوية ٣/١٢٠.

٤. منهاج السنة النبوية ٣/١٣٢.

٥. سورة الأحزاب / ٣٣.

علماء الأُمة الاسلامية بأن الآية نزلت في رسول الله وعلي وفاطمة والسبطين (عليهم السلام)، حيث جمعهم النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ تحت ردائه وقال: «اللهم! هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا». فنزلت الآية إجابة لدعاء النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ.

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه[١]، والحاكم في «المستدرك»[٢]، والذهبي في «التخليص»[٣]، والسيوطي في «الخصائص الكبرىٰ»[٤].

وأحمد في «المسند»، في مسند أُم سلمة، قالت: ان النبي ـ ص ـ كان في بيتها، فأتته فاطمة بِبُرْمَةٍ[٥] فيها خَزيرة[٦]، فدخلت بها عليه. فقال: ادعي زوجكِ وابنيكِ. قالت: فجاء علي والحسن والحسين، فدخلوا عليه. فجلسوا يأكلون من تلك الخَزيرة، وهو علىٰ مَنامةٍ[٧] له علىٰ دُكّان[٨]، تحته كساء له خيبري. قالت: وانا اصلي في الحُجرة.

فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت، ويطهركم تطهيرا». قالت: فأخذ فضل الكساء، فغشّاهم به. ثم أخرج يده، فألوىٰ[٩] بها الىٰ السماء، ثم قال: «اللهم! هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنم الرجس وطهرهم تطهيرا».

قالت: فأدخلتُ رأسي البيت، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: انك علىٰ خير، انك علىٰ خير..[١٠].

---

١. صحيح مسلم ٤/١٨٨٣، كتاب مناقب الصحابة، باب ٩.

٢. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٤٦ ـ ١٤٨، ٢/٤١٦.

٣. تلخيص المستدرك ٣/١٤٦ ـ ١٤٧، ٢/٤١٦.

٤. الخصائص الكبرىٰ ٣/٣٥٩، مع اختلاف غير مُخل بالمقصود.

٥. بُرْمة: القِدْر من الحجارة.

٦. خزيرة: ماء يوضع فيه قطع صغار من اللحم، وعندما تُطبخ، يُذر عليه الدقيق ويُعصَدُ به.

٧. مَنامة: موضع النوم.

٨. دُكّان: مِصطبة (بناء مرتفع قليلاً يُنام عليه).

٩. الوىٰ: ثنىٰ.

١٠. مسند احمد بن حنبل ١/٢٩٢.

وأخرجه أيضاً: الحميدي في «الجمع بين الصحيحين»[١]، وابن الصباغ في «الفصول المهمة»[٢]، وابن حجر في «الصواعق»[٣]، وابن عساكر في تاريخه[٤]، وابن عبدالبر في «الاِستيعاب»[٥]،والترمذي في جامعه[٦].

وهو من حديث عمرو بن ميمون (المتضمن للخصائص العشرة لعلي ـعليه السلام ـ) عن ابن عباس عن النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ، وهو حديثٌ أخرجه أحمد في «المسند»[٧]، والنسائي في «الخصائص»[٨]، والذهبي في «التلخيص» معترفاً بصحته[٩].

عن عمرو بن ميمون قال: اني لجالس عند ابن عباس اذ أتاه تسعة رهطٍ[١٠]، فقالوا: يا ابن عباس! أمَّا أن تقوم معنا، وإمّا أن تخلوا بنا من بين هؤلاء. فقال ابن عباس: بل أنا أقوم معكم. قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمىٰ. قال: فابتدؤا، فتحدثوا، فلا ندري ما قالوا. قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول: أُفّ وتُفّ[١١]. وقعوا في رجلٍ[١٢] له بضع عشرة فضائل[١٣]

---

١. المصدر مخطوط.

٢. الفصول المهمة / ٢٦.

٣. الصواعق المحرقة / ٨٥.

٤. تاريخ مدينة دمشق ١/١٨٥.

٥. الاستيعاب ١١/٤٧٣، مع اختلافات.

٦. سنن الترمذي ٥/٦٩٩. مع اختلاف غير مخل بالمقصود.

٧. مسند أحمد بن حنبل /٣٣٠ ـ ٣٣١. مع اختلاف في غير القسم المتعلق بآية التطهير. وكثير من مواردالاختلاف مع المصدر يوافق رواية الخوارزمي لهذا الكلام عن احمد بن حنبل نفسه، وذلك في مناقب علي بن أبي طالب /٧٣ ـ ٧٤.

٨. خصائص علي بن أبي طالب / ٦ ـ ٧.

٩. تلخيص المستدرك ٣/١٣٢ ـ ١٣٤.

١٠. رهط: نفر، رجل.

١١. أُفّ وتُفّ: تركيب يُستعمل عند التضجر من شيء والتأذي به.

١٢. وقعوا في رجل: اغتابوه، ذمّوه، عابوه، اتهموه.

١٣. في رواية الخوارزمي / ٧٣: بضع عشرة فضيلة.

ليست لأحد غيره. وقعوا في رجلٍ:

١ / قال له النبي ـ ص ـ: «لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله ابدا، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله» فاستشرف[١] لها مَنْ استشرف. فقال: يا علي؟... فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر. فنفث في عينيه، ثم هزَّ الراية ـ ثلاثاً، فأعطاها اِياه، فجاء علي ـ عليه السلام ـ بصفيّة بنت حُييّ.

٢ / قال ابن عباس: ثم بعث رسول الله فلاناً[٢] بسورة براءة، فبعث علياً خلفه، فأخذها، وقال: لا يذهب بها اِلّا رجل هو مني وأنا منه.

٣ / قال ابن عباس: وقال النبي ـ ص ـ لبني عمه: أيكم يواليني في الدنيا والاخرة؟ ـ قال: وعلي جالس معه ـ فأبوا. فقال علي: أنا اواليك في الدنيا والآخرة. قال: انت وليي في الدنيا والآخرة. ثم قال ـ ص ـ أيكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ فأبوا. وقال علي: أنا اواليك في الدنيا والآخرة. فقال لعلي: انت وليي في الدنيا والآخرة.

٤ / قال ابن عباس: وكان عليٌ أول من آمن من الناس بعد خديجة.

٥ / قال: وأخذ رسول الله ـ ص ـ ثوبه ووضعه علىٰ علي وفاطمة وحسن وحسين، وقال: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا».

٦ / قال: وشرىٰ عليٌ نفسه، فلبس ثوب النبي ـ ص ـ، ثم نام مكانه، وكان المشركون يرمونه... الىٰ ان قال:

٧ / وخرج رسول الله ـ ص ـ في غزوة تبوك، وخرج الناس معه. فقال له علي: أخرج معك؟ فقال ـ ص ـ: لا. فبكىٰ علي (عليه السلام). فقال له رسول الله ـ ص ـ: أما ترضىٰ ان تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ، اِلّا انه لا نبي بعدي، انه لاينبغي أن أذهب اِلّا وانت خليفتي.

---

١. استشرف: رفع بصره ونظر اليه.

٢. كذا في مسند أحمد. وفي «خصائص علي بن ابي‌طالب»: بعث ابا بكر. وفي رواية الخوارزمي في المناقب /٧٣ عن احمد: بعث رسول الله ابا بكر.

٨ / وقال له رسول الله ـ ص ـ: أنت وليٌّ كل مؤمن بعدي ومؤمنة.

٩ / قال ابن عباس: وسدّ رسول الله ـ ص ـ ابواب المسجد غير باب علي. فكان يدخل المسجد جنباً، وهو طريقه، ليس له طريق غيره[١].

١٠ / وقال رسول الله ـ ص ـ: «من كنت مولاه، فان مولاه علي». الحديث.

ثم ان حديث «الاستيعاب» في شأن نزول آية الطهارة انه لما نزلت «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس...»، دعا رسول الله ـ ص ـ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً في بيت أُم سلمة، وقال: «اللهم! هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا»[٢].

ومن حديث «منتخب الكنز» ـ المطبوع في هامش المسند ـ عن واثلة قال: أتيتُ فاطمة أسألها عن علي. قالت: توجه الىٰ رسول الله (ص)، فاجلس[٣]. فجاء رسول الله ومعه علي وحسن وحسين، كل واحد منهما بيده حتىٰ دخل[٤]. فأدنىٰ علياً وفاطمة، فأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسينا، كل واحد منهما علىٰ فخذه. ثم لفَّ عليه ثوبه[٥] ـ أو قال: كساءه ـ. ثم تلا هذه الآية: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويطهركم تطهيرا». ثم قال: اللهم ان هؤلاء أهل بيتي، واهل بيتي أحق.

ومن حديثه أيضاً عن واثلة: ان رسول الله ـ ص ـ جمع فاطمة وعلياً والحسن والحسين تحت ثوبه وقال: «اللهم! قد جعلتَ صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك علىٰ ابراهيم وعلىٰ آل ابراهيم. اللهم! هؤلاء مني، وأنا منهم،فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليَّ وعليهم»[٦].

---

١. قد تكون جملة «وهو طريقه، ليس له طريق سواه» موضوعة علىٰ ابن عباس. راجع تفصيل ذلك في الجزء الثالث، صفحة ٥٤، التعليقة ٣.

٢. الاستيعاب ٢/٤٧٣ ـ ٤٧٤.

٣. في تذكرة الخواص /٢٤٤: «فجلستُ أنتظره».

٤. في المستدرك ٢/٤١٦: «فدخل، ودخلتُ معهما».

٥. في المستدرك ٢/٤١٦: «لفَّ عليهم ثوبه».

٦. منتخب كنز العمال ٥/٢٧٢.

[من هم اهل البيت؟]

فهذه الأحاديث برمتها كاشفة عن عدم دخول الزوجات في هؤلاء الذين جمعهم النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ تحت الكساء ودعا لهم بالعصمة.

ونحوها في الدلالة حديث مسلم ـ في صحيحه ـ عن عائشة قالت: خرج النبي (ص) غَداةً وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل[1] من شعر اسود. فجاء الحسن بن علي، فأدخله. ثم جاء الحسين، فدخل معه. ثم جاءت فاطمة، فدخلت معها[2]. ثم جاء علي، فأدخله. ثم قال: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت، ويطهركم تطهيرا»[3] فالحديث صريح في عدم دخول عائشة معهم تحت الثوب.

وفي الحديث ـ عن تفسير الثعلبي ـ بعد نزول الآية قالت عائشة: يا رسول الله! مَنْ أهلك؟ فقال: تّنحي، فانكِ الىٰ خير[4]. وفي حديث احمد في «المسند» انه أخرج النبي (ص) ام سلمة من تحت الكساء.

ومن حديث «المسند» لأحمد، والمحب الطبري في «ذخائر العقبىٰ»: ان النبي ـ ص ـ قال لفاطمة: «ائتيني بزوجكِ وابنيكِ». فجاءت [بهم][5]. فأكفأ عليهم الكساء[6]، ثم وضع يده عليهم

---

١. مِرْط مُرَحَّل: كساء يماني منقوش بصور الرِّحال.

٢. في المصدر: «فأدخلها».

٣. صحيح مسلم ٤/١٨٨٣ كتاب فضائل الصحابة، باب ٩. ورواه ايضاً الحاكم في المستدرك ٣/١٤٧ وقال انه صحيح على شرط الشيخين. وأقرّ الذهبي صحته في «التلخيص». وفي التفسير الكبير ٨/٨٥ قال: اعلم ان هذه الرواية كالمتفق علىٰ صحتها بين أهل التفسير والحديث.

٤. المصدر مخطوط.

٥. الزيادة من المصدرين.

٦. في المصدرين: كساءاً فدكيا.

وقال: «اللهم ان هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك علىٰ آل محمد، انك حميد مجيد».
قالت: ام سلمة: فرفعتُ الكساء لأدخل معهم، فجذبه رسول الله ـ ص ـ، وقال: «اِنكِ علىٰ خير»[١].

ومن حديث «اِسعاف الراغبين»: قالت اسم سلمة: وانا معكم يا رسول الله؟ فقال: «انك من ازواج النبي»[٢]. ومعنىٰ كلام النبي ـ صلى الله عليه واله ـ: «انك من الازواج»، نفي كونها من آل محمد (صلى الله عليه واله) من اهل بيته.

وفي الحديث، عن الثعلبي ـ في تفسيره ـ: قالت زينب بنت جحش زوجة النبي (ص): يا رسول الله! لا أدخل معكم؟ فقال النبي ـ ص ـ: «مكانكِ، فانك الىٰ خير اِن شاء الله»[٣].

تصريح القوم بأن الآية نزلت في خمسة:

١ ـ ففي «الصواعق المحرقة»: المفسرون[٤] علىٰ ان الآية نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين، لتذكير الضمير في «عنكم» [وما بعده][٥]. وفيه: والمسلَّم انه ـ ص ـ أدخل اولئك تحت كسائه، وقرأ هذه الآية.... فقالت ام سلمة: وأنا معهم يا رسول الله !؟ قال: اِنكِ علىٰ خير[٦].

٢ ـ وفي «ذخائر العقبىٰ»: ان الآية نزلت في خمسة: في رسول الله (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين. أخرجه احمد في المناقب، والطبراني[٧].

٣ ـ وفي رواية الشبلنجي في «نور الأبصار»: روىٰ احمد والطبراني عن ابي سعيد الخدري

---

١. مسند احمد بن حنبل ٦/٢٢٣، ذخائر العقبى / ٢١.
٢. اسعاف الراغبين / ١٠٦.
٣. المصدر مخطوط.
٤. في المصدر: «اكثر المفسرين».
٥. الزيادة من المصدر.
٦. الصواعق المحرقة / ٨٥.
٧. ذخائر العقبىٰ / ٢٤.

قال: قال رسول الله (ص): «أُنزلت الآية في خمسة: فيَّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة»[١].

٤ ـ ومن حديث «الخصائص الكبرىٰ» للسيوطي: أخرج الحاكم عن ام سلمة قالت: في بيتي نزلت، فأرسل الىٰ علي وفاطمة وابنيهما. فقال: هؤلاء أهل بيتي[٢].

٥ ـ وفي حديث ابن عساكر (في تاريخه، في ترجمة الامام الحسن المجتبى عليه السلام) انه قالت ام سلمة بينما رسول الله ـ ص ـ في بيتي [يوماً][٣]، اذ قالت الخادم: ان علياً وفاطمة بالسُّدَّة[٤]. فقال لها[٥]: «قومي فتنحي عن اهل بيتي». قالت: فقمتُ، فتنحيتُ في البيت قريباً، فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين...[٦] (الحديث). فهو صريح في عدم كون الازواج من اهل البيت الذين أدخلهم النبي ـ صلى الله عليه واله ـ معه الكساء.

٦ ـ وفي «الدر المنثور» للسيوطي: اخرج ابن مردويه عن ام سلمة قالت: نزلت الآية في بيتي، وفي البيت سبعة: جبرئيل وميكائيل، وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وأنا علىٰ باب البيت. قلت: يا رسول الله! ألستُ من اهل البيت؟ قال: «انكِ الىٰ خير. انك من ازواج النبي» ـ ص ـ[٧].

٧ ـ وفيه: عن ابي سعيد الخدري قال: قال النبي (ص): «نزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ وفي علي وفاطمة والحسن والحسين»[٨].

العصبية الفاضحة من الفخر الرازي: اذ قال في «التفسير الكبير»

---

١. نور الأبصار / ١١٢.

٢. الخصائص الكبرىٰ ٣/٣٥٩.

٣. الزيادة من المصدر.

٤. السُدَّة: باب الدار.

٥. اي: لأم سلمة.

٦. تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الامام الحسن / ٦٤.

٧. الدر المنثور ٥/١٩٨.

٨. الدر المنثور ٥/١٩٨.

ـ عند بيان الآية في سورة الأحزاب ـ: «واختلفت الأقوال في «اهل البيت»، والأوْلىٰ ان يقال: هم اولاده وازواجه، والحسن والحسين، وعلي منهم، لانه كان من اهل بيته بسبب معاشرته لبنت النبي، وملازمته للنبي ـ ص ـ»[1].

ويتوجه عليه سؤال: انه ما الوجه في دخول الازواج في أهل البيت في الآية، والحال ان المصرَّح به ـ فيما ذكرنا من النصوص ـ خصوص الخمسة؟ مع ما فيها من سؤال عائشة وأُم سلمة انهما من اهل البيت؟ فلو كانت الزوجة داخلة في أهل بيت الرجل، لما احتاجتا الىٰ السؤال. وعلىٰ أي حال، فسؤالهما وجواب النبي (صلىٰ الله عليه واله) لهما انكما من الأزواج يدل علىٰ ان الازواج لسن من اهل بيته (صلىٰ الله عليه واله)، ولذا أمرهما بالتنحي عن جماعتهم.

قال ابن حجر في «الصواعق»: عطف الأزواج والذرية علىٰ الآل في كثير من الروايات يقتضي انهما ليسا من الآل، وهو واضح في الأزواج بناءاً علىٰ الاصح في الآل...، واما الذرية فمن الآل علىٰ سائر الأقوال، فذكرهم بعد الآل للإشارة الىٰ عظيم شرفهم[2]. انتهىٰ.

وفي «الدر المنثور» للسيوطي من حديث الضحاك بن مزاحم ان نبي الله ـ صلى الله عليه واله ـ كان يقول: «نحن أهل بيتٍ طهّرهم الله، من شجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم»[3]. ومن المقطوع به ان الازواج لسن من شجرة النبوة وموضع الرسالة، الىٰ آخر الأوصاف.

ثم ان مما هو صريح في خروج نساء النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ عن اهل بيته، حديث مسلم في صحيحه (باب فضائل علي عليه السلام): عن زيد بن أرقم عن النبي ـ ص ـ،

---

١. التفسير الكبير ٢٥/٢٠٩.

٢. الصواعق المحرقة / ٨٧.

٣. الدر المنثور ٥/١٩٩.

قال: «اني مُخلِّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[١]. وفيه قلنا[٢]: مَنْ اهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا وأيم الله! ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها، فترجع الىٰ أبيها وقومها[٣].

وفي «صحيح مسلم» ايضاً من حديث سعد بن ابي وقاص: انه لما نزلت هذه الآية «فقل تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم» دعا رسول الله ـ ص ـ علياً وفاطمة وحسناً وحسينا، فقال: «اللهم! هؤلاء أهلي». ونحوه حديث الترمذي في جامعه[٤].

قال محمد بن يوسف الكنجي الشافعي ـ في الباب الاول من «كفاية الطالب» ـ: الصحيح ان أهل البيت علي وفاطمة والحسنان (عليهم السلام)، كما رواه مسلم...[٥] الىٰ آخره.

وفي «الصواعق المحرقة»: أخرج الدارقطني ان علياً يوم الشورىٰ احتج علىٰ أهلها، فقال لهم: «اُنشدكم بالله هل فيكم أحدٌ جعله النبي ـ ص ـ نفسه، وابناءه ابناءه، ونساءه نساءه، غيري»؟ قالوا: اللهم لا[٦].

كلام النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ السلام عليكم يا أهل بيت النبوة:

لقد استفاضت النصوص علىٰ ان النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ بعد نزول آية التطهير كان يمرُّ ببيت علي وفاطمة والسبطين (عليهما السلام) عند صلاة الفجر لمدة ستة أشهر (كما في

١. في المصدر: «اني تارك فيكم ثقلين: اولهما كتاب الله... واهل بيتي، اُذكركم الله في أهل بيتي. اُذكركم الله في اهل بيتي. اُذكركم الله في اهل بيتي».

٢. صحيح مسلم ٤/١٨٧٤، كتاب فضائل الصحابة، باب ٤.

٣. صحيح مسلم ٤/١٨٧١، كتاب فضائل الصحابة، باب ٤.

٤. سنن الترمذي ٥/٦٣٨. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

٥. كفاية الطالب / ٥٤.

٦. الصواعق المحرقة / ٩٣.

«المسند» لأحمد بن حنبل)[١] أو تسعة أشهر (كما في «ذخائر العقبىٰ»)[٢] وهو يقول: «الصلاة يا أهل البيت! انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا». ونحوه الحديث في «مستدرك»[٣] الحاكم، و«تلخيص»[٤] الذهبي.

وقال الشبلنجي في «نور الأبصار»: روىٰ ابن أبي شيبة، واحمد، والترمذي ـ وحسّنه ـ، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم ـ وصّححه ـ عن انس ان رسول الله (ص) بعد نزول هذه الآية كان يمرُّ ببيت فاطمة اذا خرج الىٰ صلاة الفجر يقول: «الصلاة اهل البيت! انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيرا»[٥]. انتهىٰ.

وفي رواية ابن مردويه عن ابي سعيد الخدري انه ـ ص ـ جاء أربعين صباحاً الىٰ دار فاطمة ويقول: «السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته. الصلاة رحمكم الله. انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا»[٦].

وفي رواية ابن عباس: سبعة اشهر. وفي رواية جرير وابن المنذر ثمانية اشهر[٧].

اقول: كل ذلك من رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ اِظهاراً لعظمة شأن رهطه واهل بيته عند الله تعالىٰ، وتثبيتاً لعصمتهم، وتأكيداً لذهاب الرجس عنهم.

مضافاً الىٰ اِظهاره عدم عصمة غيرهم من الأقارب والزوجات، ولذا لم يفعل لواحد منهم مثل ما فعل للخمسة الطاهرة، بل ولا ادعىٰ واحد من الأقارب والأزواج لأنفسهم العصمة.

---

١. مسند احمد بن حنبل ٣/٢٥٩، ٢٨٥، واللفظ له.

٢. دخائر العقبىٰ / ٢٥.

٣. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٥٨.

٤. تلخيص المستدرك ٣/١٥٨.

٥. نور الابصار / ١١٢.

٦. نور الأبصار / ١١٢.

٧. نور الابصار / ١١٢.

بل أجمعت الأُمة علىٰ أن عائشة خالفت كلام الله تعالىٰ ووصية رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، ولكنها تابت، وليست التوبة من الذنب إِلّا بعد المعصية. قال شارح المواقف: ازواج محمد (ص) واقرباؤه لم يكونوا معصومين بالاِتفاق[١]. وقال ابن تيمية في منهاجه: انه لا معصوم عند أهل السنة الا النبي ـ ص ـ، وعند الشيعة: النبي والامام، فقد وقع الاِجماع علىٰ اِنتفاء العصمة (المختصة بالنبي ـ ص ـ) عن ازواجه[٢]. انتهىٰ.

انتفاء العصمة عن زوجات النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ:

ان من المقطوع به تطابق الكتاب والسنة علىٰ انتفاء العصمة عن ازواج رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ. وأنّىٰ لهن بالعصمة وقد نزل فيهن قوله تعالىٰ «يا نساء النبي ! مَنْ يأتِ منكنَّ بفاحشة مبيّنة، يُضاعف لها العذاب ضعفين»[٣].

ونزل في عائشة وحفصة قوله تعالى: «اِن تتوبا الىٰ الله، فقد صغت قلوبكما»[٤]. أي: مالت عن الحق، كما في التفاسير. وتلك المعصية: ثم قال الله تعالىٰ: «وان تظاهرا عليه، فان الله مولاه»[٥]. يعني: اِنْ تتعاونا علىٰ اِيذاء النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ. وفي «صحيح البخاري»، باب تبتغىٰ مرضات أزواجك: عن ابن عباس قال: سألتُ عمر بن الخطاب عن المرأتين المتظاهرتين علىٰ رسول الله ـ ص ـ من ازواجه. فقال: تلك عائشة وحفصة[٦]. ونحوه

---

١. شرح المواقف / ٦٠٩.

٢. منهاج السنة ٤/٢٣.

٣. سورة الاحزاب / ٣٠.

٤. سورة التحريم / ٤.

٥. سورة التحريم / ٤.

٦. صحيح البخاري ٦/١٩٥، كتاب التفسير، باب «يا أيها النبي لم تحرم..».

حديث احمد في «المسند»[١].

وفي حديث البخاري في باب ما جاء في بيوتات ازواج النبي ـص ـ: عن نافع، عن ابن عمر قال: قام النبي (ص) خطيباً، فأشار نحو مسكن عائشة، فقال: ههنا الفتنة ـ ثلاثاً ـ من حيث يطلع قرن الشيطان[٢].

ومن حديث أحمد بن حنبل في «المسند»: عن ابن عمر: خرج رسول الله ـص ـ من بيت عائشة فقال: ان الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان.

وأخرج السيد الهمداني في «مودة [القربىٰ]» عن عائشة قالت: قال النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ: «ان الله قد عهد اِليَّ عهداً أن من خرج علىٰ علي، فهو كافر...»[٣] الحديث.

وفي المتواتر من الحديث عن النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ انه قال يوماً لأزواجه: أيتكنَّ صاحبة الجَمَل الأدبب[٤]، [تخرج فـ][٥] تنبحها كلاب الحوْأب[٦]؟ ثم التفت الىٰ عائشة وقال: اياكِ أن تكونيها[٧].

---

١. مسند احمد ١/٤٨.

٢. صحيح البخاري ٤/١٠٠، كتاب الجهاد والسير، باب ما جاء في بيوت ازواج النبي و ٩/٦٧، كتاب الفتن، باب قول النبي: الفتنة من المشرق.

٣. المصدر مخطوط.

٤. الأدبب: كثير الشعر، أو كثير وبر الوجه.

٥. الزيادة من مجمع الزوائد ٧/٢٣٤ وفتح الباري ١٦/١٦٥.

٦. الحوْأب: مكان بين مكة والبصرة.

٧. الصدر بلفظه رواه في فتح الباري ١٦/١٦٥ ومجمع الزوائد ٧/٢٣٤. ومضمون الذيل مروي في المصادر التي ستُذكر.

والحديث ـ مع اختلاف الالفاظ ـ ـ مروي في تاريخ الرسل والملوك ٣/٤٥٧، مسند احمد بن حنبل ٦/١٧٤، شرح نهج البلاغة ٢/٤٩٧، العقد الفريد ٤/٣٣٢ وفيه: «قال لها النبي: يا حُميرا! كأني بكِ تنبحكِ كلاب الحوأب، تقاتلين علياً وانت له ظالمة».

وفي المتواتر من احوالها أنها قالت في عثمان بن عفان: «اقتلوا نَعْثَلاً[١]، قتل الله نَعْثَلا»[٢]. تريد بالنَّعْثَل عثمان. ولما قُتل عثمان، خرجت تطلب علياً (عليه السلام) بدمه!![٣]

ان من حديث «كنز العمال» عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قال لزوجاته: انكنَّ صواحب يوسف. وكذلك قال عمر لهن: انكنَّ صوَيْحبات يوسف.

وفي «ينابيع المودة» للشيخ سليمان القندوزي الحنفي: ان الحسن بن علي قال في خطبته: اِنّا اهل البيت اكرمنا الله واختارنا واصطفانا واذهب عنا الرجس وطهرنا تطهيرا. قال: وجعل الله لنساء نبيه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ المحسنة منهن أجرين، وللمسيئة منهن وزرين ضعفين.

ثم ان الذي يكشف عن عدم عصمة الأزواج، احاديث اللَّدُود[٤] المروية في صحاح الجماعة عن عائشة قالت: اُغمي علىٰ رسول الله ـ ص ـ والدار مملوءة من نسائه. فلَدَدْناه[٥]. فقال ـ ص ـ: لا تَلُدُّوني. فقلنا: كراهيةُ المريض للدواء. فلما افاق قال: لا يبقىٰ أحدٌ في البيت اِلّا لُدَّ، غير عمي العباس. ولقد لُدَّت ميمونة وانها لصائمة، لقَسم رسول الله ـ ص ـ، عقوبة لهم بما صنعوا[٦]. انتهىٰ

فالحديث صريح في عدم انتهاء الازواج عن نهي النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وانه أجرىٰ عليهن العقوبة، ولا تكون العقوبة اِلّا مع التمرد والاِتيان بالمنهي عنه[٧].

---

١. نعثل: الشيخ الأحمق. وقال بعض الناس في عثمان «اقتلوا النعثل» يقال شبَّهه بالضبع، كما يقال في العربية: يا ثور! يا حمار! (العين ٢/ ٣٤١).

كان عثمان يُسمىٰ نعثداً. و«نعثل» اسم رجل طويل اللحية وهو اسم الذكر من الضباع. (تاريخ الخميس / ٢).

٢. تذكرة الخواص / ٦٦، تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٤٥٩.

٣. تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٤٥٩، تذكرة الخواص / ٦٤.

٤. اللَّدُود: الدواء ـ أو نحوه ـ يُصبُّ في احد شقي الفم، فيمر علىٰ صفحتي العنق تحت الأُذنين.

٥. لَدَدناه: صببنا الدواء في أحد شقي فمه.

٦. صحيح البخاري ٩/ ٨، كتاب الديات، باب ١٣. صحيح مسلم ٤/ ١٧٣٣، كتاب السلام، باب ٢٧.

٧. واعظم من ذلك اِعلان عائشة الحرب علىٰ اِمام زمانها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وتسببها في حدوث مقتلة الجمل. وكفىٰ بذلك اثماً عظيما.

[كيفية دلالة آية الطهارة علىٰ العصمة]

عبدالحليم بن تيمية وتقولاته: اذ قال في منهاجه: ان ارادة الله ـ يعني في قوله «انما يريد الله» ـ لا تتضمن وجود المراد، بل قد يريد ما لا يكون ويكون ما لا يريد، فليس في كونه مريداً لذهاب الرجس ما يدل علىٰ وقوعه، كما في قوله تعالىٰ: «والله يريد أن يتوب عليكم»[١]. فان في المؤمنين من تاب وفيهم من لم يتب. وان الله تعالىٰ أراد ان يطهِّر الخلق من الشرك، ولكن فيهم من اراد الكفر، فلم يذهب عنه الرجس[٢].

قال: المراد من «الرجس» هو الشرك، كما في قوله تعالىٰ: «فاجتنبوا الرجس من الأوثان»، ونحن نعلم ان الله اذهب عن أهل بيت نبيه ـ ص ـ الشرك والخبائث باطاعتهم لله تعالىٰ باتيانهم الواجب وتركهم الحرام. ولكن مجرد هذا لا ينفع لمدعي العصمة، لان الخطاب في الآية للازواج، والأمر متوجه الىٰ اِطاعتهن في قوله تعالىٰ: «واطعْنَ الله ورسوله، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا». فان حصلت منهن الاِطاعة، ثبتت الطهارة من المعصية، وإلّا فلا، لاِقتران الاِطاعة بالمشية[٣].

الىٰ ان قال: الدعاء بالعصمة ممتنع علىٰ أصل القَدرية، بل وبالتطهير أيضاً، فان الأفعال الاختيارية التي هي فعل الواجبات وترك المحرمات عندهم غير مقدور للرب، ولا يمكنه ان يجعل العبد مطيعاً ولا عاصياً ولا متطهراً من الذنوب ولا غير متطهر، وانما العبد يفعل باختياره اِمّا الخير واِمّا الشر[٤].

قال: وهذا الرافضي ـ يعني العلامة قدس سره ـ وامثاله قَدرية، فكيف يحتجون

---

١. سورة النساء / ٢٧.

٢. منهاج السنة النبوية ٤/٢٠. مع اختلاف.

٣. منهاج السنة ٤/٢١ ـ ٢٢، مع اختلاف.

٤. منهاج السنة ٤/٢٣. وهذا الكلام متعلق بشُبهةٍ ذكرها في ٤/٢٠ من المصدر.

بقوله «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس...» علىٰ وقوع المراد؟ [و][١] عندهم [ان الله قد اراد ايمان مَنْ علىٰ وجه الأرض، فلم يقع مراده][٢].[٣] انتهى.

اقول: مذهب العدلية علىٰ عدم انفكاك ارادة الله سبحانه عن المراد حتىٰ في الشرعيات، لانه تعالىٰ أراد من العبد الاِطاعة، ولكن علىٰ سبيل الاِختيار دون الكُره والاِجبار، وهذا المعنىٰ حاصل من غير تفكيك وتخلّف للاِرادة عن المراد، واِنما الاِنفكاك في ارادة العباد اذا كان الفعل منوطاً باختيارهم، فقد يختارون المعصية بسوء اِختيارهم.

واما احتجاج ابن تيمية بقوله: «والله يريد أن يتوب عليكم» فمدفوع بأن التوبة من الله لعباده الرجوع اليهم بالمغفرة والرحمة، وارادته تعالىٰ عبارة عن وعده وايجابه قبول التوبة من عبده، كما في قوله عزَّ مِن قائل: «كتب ربكم علىٰ نفسه الرحمة، انه من عمل منكم سوءاً بجهالة، ثم تاب من بعده واصلح، فانه غفور رحيم»[٤]. و«كتب» هنا بمعنىٰ أثبت، والتائب هو الراجع الىٰ الله، فان تاب، فان الله يتوب عليه حسب ما وعده، ولا خلف لوعده. ومن هذا الشأن قوله تعالىٰ: «يريد الله بكم اليُسر، ولا يريد بكم العُسر»[٥]. فانه تعالىٰ بمقتضىٰ لطفه ورحمته الواسعة لم يجعل في حق عباده تكليفاً حرجياً، فقال: «ما جعل عليكم في الدين من حرج»[٦]. فكان كما اراد، فأين التخلف عن المراد.

ثم ان المقصود من ارادته تعالىٰ تطهير الخلق عن الشرك والكفر هو قصده هدايتهم ببعث الرسول ـ صلىٰ الله عليه واله ـ واِنزال القران وظهور المعاجز. وقد حصل في هذه الامة

١. الزيادة من المصدر.
٢. الزيادة من المصدر.
٣. منهاج السنة ٤/ ٢٠.
٤. سورة الانعام / ٥٤.
٥. سورة البقرة / ١٨٥.
٦. سورة الحج / ٧٨.

وفي الامم السابقة من غير اختصاص بأهل البيت.

وأمّا اراداته سبحانه إذهاب الرجس عن اصحاب الكساء، فهي ارادة حتمية إقتضتها المصلحة المتعلقة بعصمة بعض العباد عن الموبقات والأعمال الموحشة زيادة علىٰ ما طهرهم من الشرك، فلو كان المراد من تطهيرهم نفس إطاعتهم لله تعالىٰ باتيان الواجب وترك الحرام، لشاركهم غيرهم في هذه الجهة، كما في قوله تعالىٰ: «يريد الله ليُبيّن لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم»[١]. وهذه الهداية ـ إذا حصلت ـ غير الطهارة التي اختص بها أهل البيت (عليهم السلام) من غيرهم، سيما بالنظر الىٰ لفظة «إنَّما»[٢]، وإدخال لام التأكيد في قوله «ليُذهب»، والتخصيص بخطاب «عنكم»، ثم التأكيد أخيراً بقوله: «ويطهركم تطهيرا»، ثم اشتراكه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ مع بقية الخمسة في الدخول تحت الكساء، والدعاء للكل بذهاب الرجس، فان جميع ذلك يكشف عن ارادةٍ حتمية بالعصمة إجابة لدعاء النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ بقوله: «اللهم! هؤلاء اهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا».

وهذه منزلة عظيمة مختصة بأهل البيت الذين صاروا تحت الكساء، حسبما صرّح بهذا الاختصاص الحافظ ابن حجر المكي في «الصواعق»[٣]، والعلامة الزمخشري في كشّافة[٤]، والفخر الرازي في تفسيره[٥]، وزين الدين العاصي في «زين الفتىٰ [في] شرح سورة هل اتىٰ» (عند قوله: وقعت المشابهة بين المرتضىٰ ـ رضى الله عنه ـ وبين نبينا محمد المصطفىٰ. الى ان) قال: وثامنها: الحفظ والعصمة، فان الله تعالىٰ عصم نبيه ـ ص ـ عن كل

---

١. سورة النساء / ٢٦.

٢. التي هي للحصر.

٣. الصواعق المحرقة / ٨٥.

٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/٣٦٩.

٥. التفسير الكبير ٨/٨٥.

ذنب وعيب يرجع الىٰ نفسه أو أهاليه أو أولاده وذريته، والىٰ هذا المعنىٰ يشير قوله تعالىٰ: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت...»[١] الآية.

فإذاً كيف يدعي ابن تيمية ـ افتراءاً على الله ـ ان ارادته ليست حتمية؟ والحال انها منافية لقوله تعالىٰ: «انما أمره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن، فيكون»[٢]، وقوله عزَّ وجل: «ولكن الله يفعل ما يريد»[٣].

وامّا دعوىٰ ابن تيمية «ان الدعاء بالعصمة ممتنع علىٰ اصل القَدرية» فهي غش وتدليس من جهة اخرىٰ. اما كونها غشاً، فلأن القائل بالقَدَر يرىٰ صدور الخير والشر من الله تعالىٰ، كما هو كذلك عند من يقول بالجبر. وابن تيمية هو الذي اعترف بصحة ما حكاه العلامة (قدس سره) في المتن عن القَدرية القائلين بالقضاء والقَدَر، وان العبد لا تأثير له في الأفعال حُسْنها وقُبحها، فقال في «المنهاج»: ان القول بذلك لبعض المثبتة للقدر كالاشعري وموافقيه من اصحاب مالك والشافعي واحمد، حيث لا يثبتون لمخلوقٍ قوىٰ الطبائع، ويقولون ان الله فعل عندها، لا بها، ويقولون ان قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل. وابلغ من ذلك قول الاشعري: ان الله فاعل فعل العبد، وان عمل العبد ليس فعلاً للعبد، بل كسبه، وانما هو فعل الله فقط[٤]. انتهىٰ

قلت: وعليه لا تمتنع العصمة ولا لغوية طلبها من الله تعالىٰ، بل هي علىٰ أي تقدير كطلب الهداية منه تعالىٰ في قوله: «اهدنا الصراط المستقيم»[٥].

قال ابن تيمية في منهاجه: «ان الدعاء انما يكون لشيء مستقبل غير حاصل، بل

---

١. المصدر مخلوط.

٢. سورة يس / ٨٢.

٣. سورة البقرة / ٢٥٣.

٤. منهاج السنة ١/ ٢٧٤.

٥. سورة الحمد / ٥.

يكون من فعل الله تعالىٰ...»[١] الىٰ اخر كلامه.

قلت: ومنها العصمة، كالنبوة والامامة في قوله «واجعلنا للمتقين اِمـاما»[٢]. وفي صحيح الأثر من كلام سيد البشر ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: انا دعوة ابي ابراهيم في قوله تعالىٰ حكاية عن دعائه «ومن ذريتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين»[٣]. ولقد دعا زكريا ربه قائلاً: «واني خفتُ الموالي من وارئي، وكانت امرأتي عاقراً، فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب، واجعله ربي رضيا»[٤].

فقول ابن تيمية في منهاجه ان قوله «انما يريد الله ليذهب...» [فهذه][٥] الارادة فيه ليست هي التي يجب مرادها[٦]، مرمي بالعناد والتعصب بعد تمامية دلالة الآية، سيما بالقرائن المتضمنة تحتم ارادته بحفظ بعض عباده عن الخطأ والخطيئة.

وفي «الدر المنثور» ـ في تفسير قوله تعالى: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس...» ـ: عن الترمذي والطبراني وابن مردويه وابي نعيم والبيهقي عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص): «انا واهل بيتي مطهرون من الذنب»[٧].

وأما اِفتراءه فهو من جهة نسبة القول بالقَدَر الىٰ رئيس الشيعة الامامية ومقتدىٰ مذهبهم اصولاً وفروعاً، والحال ان الجميع بريئون عن القول بالقدر وعن القول بأن الخير والشر من الله تعالىٰ، وانما يثبتون للعبد فعلاً اختيارياً منوطاً بالعلم والارادة من غير كسب.

---

١. منهاج السنة ١/٢٧٤.

٢. سورة الفرقان / ٧٤.

٣. مناقب علىٰ بن أبي طالب ـ لابن المغازلي ـ /٢٧٦ ـ ٢٧٧. والمنقول بالمضمون.

٤. سورة مريم / ٦.

٥. الزيادة من المصدر.

٦. منهاج السنة ١/٢٦٧.

٧. الدر المنثور ٥/١٩٩.

[٢ ـ آية المباهلة]

آية «أنفسنا» وكون علي ـ عليه السلام ـ معصوماً: قال سبحانه وتعالىٰ: «قُل تعالوا ندعُ ابناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وانفسنا وانفسكم، ثم نبتهل، فنجعل لعنة الله علىٰ الكاذبين»[1].

اجمع المفسرون علىٰ ان المراد بالأنفس هو علي بن ابي طالب، كما ان المراد بـ «ابناءنا» السبطان، والمراد بـ «نساءنا» فاطمة ـ عليها السلام ـ[2].

فإذات كان المراد بـ «انفسنا» علي بن أبي طالب، صحَّ القول بعصمته، لانه نفس رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ ومنزّله منزلته، لإطلاق دليل التنزيل المثبت لجميع المنازل العالية التي منها العصمة والطهارة.

[٣ ـ آية صالح المؤمنين]

علي ـ عليه السلام ـ صالح المؤمنين: قال الله تعالىٰ في سورة التحريم: «وإنْ تظاهَرا عليه، فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين»[3]. وهو علي بن ابي طالب، كما عن ابن مردويه وابن عساكر وابن ابي حاتم والسدي وابي نعيم ـ في الحلية ـ، فـي «الدر المنثور»

---

١. سورة آل عمران / ٦١.

٢. التفسير الكبير ٨/٨٥، الكشاف ١/٣٦٨ ـ ٣٦٩، التسهيل لعلوم التنزيل ١/١٠٩، الدر المنثور ٢/٣٨ ـ ٣٩، حكام القران ٢/٢٩٥. اسباب النزول / ٥٨ ـ ٥٩. صحيح مسلم ٤/١٨٧١، فضائل الصحابة، باب ٤. شواهد التنزيل ١/١٢٠ ـ ١٢٧. مسند أحمد ١/١٨٥، ذخائر العقبىٰ / ٢٥، مناقب علي بن أبي طاب ـ للخوارزمي ـ / ٩٦. وذكر تواتر ذلك النيسابوري في «معرفة علوم الحديث» /٦٢ (النوع ١٧). وذكر الجصاص في احكام القران ٢/٢٩٥ ـ ٢٩٦ عدم الخلاف في ذلك.

٣. سورة التحريم / ٤.

للسيوطي قال: أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس في قوله تعالىٰ «وصالح المؤمنين»: هو علي بن أبي طالب. واخرج ابن مردويه عن اسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله ـ ص ـ يقول: «وصالح المؤمنين» هو علي بن أبي طالب[1].

وعن الكواشي في تفسيره قال: صالح المؤمنين هو علي بن أبي طالب[2]. وهو ايضاً من حديث ابي نعيم في الحلية.

نعم في تفسير الزمخشري صرف الآية الىٰ من تقدم علىٰ علي ـ عليه السلام ـ من الخلفاء[3]. والحال ان لفظ «وصالح المؤمنين» واحد، فكيف يُحمل علىٰ الجمع؟ وهذا هو الذي منعهم ـ ظاهراً ـ عن اطلاق الجمع علىٰ المفرد حقيقة في قوله تعالىٰ: «.. والذين امنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»[4]، اذ قالوا بعدم صحة حمل «والذين آمنوا» علىٰ علي ـ عليه السلام ـ، فأنت ترىٰ بالعيان عدم إِبائِهم عن حمل «والذين آمنوا» في آية الولاية علىٰ علي ـ عليه السلام ـ، والحال ان المحذور واحد، والغرض من التفريق واحد أيضاً، وهو إِنكارهم فضائل علي (عليه السلام) بأي طريق كان!!

قال الفضل بن روزبهان (في متن «إِحقاق الحق» رداً علىٰ العلّامة الحلي ـ قُدّس سره ـ في «نهج الحق»): «ان صحَّ نزول الآية في أمير المؤمنين، فلا شك انه صالح المؤمنين،

---

١. الدر المنثور ٦/٢٤٤.

٢. المصدر مخطوط.
وروي الحديث ايضاً في كل من: شواهد التنزيل ٢/٢٥٤ ـ ٢٦٣، فرائد السمطين ١/٣٦٣، تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الامام علي ٢/٤٢٥ ـ ٤٢٦، كفاية الطالب / ١٣٨، مناقب علي بن أبي طالب ـ لابن المغازلي ـ / ٢٦٩.

٣. الكشاف ٤/٥٦٦. ولا يخفىٰ ان الذي فيه حكاية قولٍ بأن المراد به الخلفاء من الصحابة.

٤. سورة المائدة / ٥٥.

ولكنه لا يدل علىٰ النص المدَّعىٰ»[١].

قلت: ان علياً ـ عليه السلام ـ اذاً صالح المؤمنين بقول مطلق[٢]، ومَنْ كان كذلك فهو معصوم من الذنب، وكل من كان معصوماً، كان هو الواجب ان يكون إِماماً دون مَنْ لا يكون معصوما.

وكذا اِذا اُريد بـ«صالح المؤمنين» أصلح المؤمنين، كما اِذا قيل: فلان شاعر القوم أو شجاع القوم مريداً به أشعرهم وأشجعهم، ومن البديهة ان مَنْ هو الأصلح للمؤمنين هو الأحق بالاِمامة لهم[٣].

[٤ . آية المودة]

آية المودة وعصمة العترة النبوية: ان مما دل علىٰ عصمة علي ـ عليه السلام ـ، وبقية اهل البيت (عليهم السلام) قوله تعالىٰ: «قل لا أسألُكم عليه أجْراً اِلّا المودّة في القُربىٰ»[٤].

وذلك لان الله اوجب علىٰ المؤمنين مودة أهل البيت ـ عليهم السلام، وجعل مودتهم أجراً لرسالة نبيه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، فاذا وجبت مودتهم بقول مطلق من دون تقييد بحال أو زمان، وجب ان يكونوا معصومين في تمام الأحوال، واِلّا لزم تقييد وجوب المودة

١ . اِبطال نهج الباطل ٣/٣١٤.

واجاب العلامة نور الدين المرعشي عن عدم دلاية الآية علىٰ اِمامة الاِمام بأن المراد بـ«صالح المؤمنين»، اصلح المؤمنين، لأن الشخص اذا قال فلان عالم قومه أو بلده، فانه يريد اعلمهم، فيكون المعنىٰ ان الامام علي أصلح المؤمنين، فيكون متعَيّناً للامامة.

٢ . أي الصالح من كل جهة وحيث.

٣ . وسيأتي في الجزء الثالث / ١٧٠ ـ ١٧١ مزيد من الادلة علىٰ ان المقصود بـ«صالح المؤمنين» هو الامام علي.

٤ . سورة الشورى / ٢٣.

بحال العصمة وعدم الخطأ، كما قُيِّدت طاعة الوالدين في قوله تعالىٰ: «وإنْ جاهداك علىٰ ان تُشرك بي ما ليس لك به علم، فلا تطعهما»[١]. اذ لا تجوز اِطاعة المخطيء في خطئه، كما لا تجوز مودة العاصي حال عصيانه.

وحيث اُطلق وجوب المودة، دل ذلك علىٰ براءة ساحة اهل البيت عن الخطأ، وهذا ظاهر.

[ايرادات علىٰ تفسير «القربىٰ» بأهل البيت والجواب عنها]

[الايراد الاول]: ابن تيمية وتقوّله في الآية، فمن ذلك قوله في منهاجه: المطالبة بصحة الحديث الدال علىٰ اختصاص القربىٰ بعلي وفاطمة والحسن والحسين[٢] ـ عليهم السلام ـ.

ويندفع بما قاله ابن حجر في صواعقه انه: أخرج[٣] احمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس قال: لما نزلت الاية، قالوا: يا رسول! مَنْ قرابتك هؤلاء الذين أوجبتَ علينا مودتهم؟ قال ـ ص ـ: «علي وفاطمة وابناهما».

قال: وروىٰ ابو الشيخ وغيره عن علي ـ كرَّم الله وجهه ـ: «فينا آل حٰم عسق، آية لا يحفظ مودتنا اِلّا كل مؤمن» ثم قرأ «قل لا اسألكم عليه أجراً اِلّا المودة في القُربىٰ».

قال: واخرج البزّار والطبراني عن الحسن المجتبىٰ ـ عليه السلام ـ انه خطب خطبة فيها: «..وفينا أُنزل علىٰ محمد ـ ص ـ[٤] قل لا أسألكم عليه أجراً اِلّا المودة في القربىٰ»[٥].

وفي «ينابيع المودة» ـ للشيخ سليمان البلخي الحنفي في باب ٣٢، في تفسير قوله تعالىٰ:

---

١. سورة لقمان / ١٥.

٢. السنة ٤/٢٧.

٣. أخرج: روىٰ بسند صحيح.

٤. في المصدر: «وانا من اهل البيت الذين افترض الله عزَّ وجل مودتهم وموالاتهم، فقال ـ فيما أنزل علىٰ محمد (ص) ـ: قل لا اسألكم...».

٥. الصواعق المحرقة / ١٠١.

«قل لا اسألكم عليه أجراً اِلّا المودة في القربىٰ» ـ: أخرج احمد في مسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت: «قل لا اسألكم عليه أجراً اِلّا المودة في القربىٰ» قالوا: يا رسول الله ! مَنْ هؤلاء الذين أوجبت لنا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة والحسن والحسين.

قال: واخرج الحديث: الطبراني في معجمه، واحمد في مسنده، وابن أبي حاتم في تفسيره، والحاكم في المناقب، والواحدي في الوسيط، وابو نعيم في الحلية، والثعلبي في التفسير، والحمويني في الفرائد[١]. انتهى.

وقال الشبلنجي في «نور الابصار»: روىٰ الامام ابو الحسن البغوي في تفسيره يرفعه الىٰ ابن عباس... ـ ثم ذكر الحديث ـ[٢].

أقول: ان الحديث ايضاً أخرجه ابن الصباغ المالكي في «الفصول المهمة»[٣]، والمحب الطبري في «ذخائر العُقبىٰ»[٤]، وابن طلحة الشافعي في «مطالب السؤل»[٥]، ومحمد بن يوسف الكنجي في «كفاية الطالب»[٦].

وقال الفخر الرازي في «التفسير الكبير»: روىٰ الكلبي عن ابن عباس: ان النبي ـ ص ـ لمّا قَدِمَ المدينة، كانت تعروه نوائب، ولم تكن سعة في يده. فجمعت له الأنصار من أموالهم. فرده عليهم. فنزل قوله تعالىٰ: «قل لا اسألكم عليه أجراً». أي: علىٰ الايمان اِلّا أن تودّوا أقاربي. فحمَلَهم علىٰ مودة أقاربه[٧].

١. ينابيع المودة / ١٠٦.
٢. نور الأبصار / ١١٢.
٣. الفصول المهمة / ١١.
٤. ذخائر العُقبىٰ / ٢٥.
٥. مطالب السؤول ١/ ٢١.
٦. كفاية الطالب / ٩٠.
٧. التفسير الكبير ٢٧/ ١٦٤. والمنقول بالمضمون.

وقال فيه: روىٰ صاحب «الكشاف» انه لما نزلت هذه الآية، قيل: يا رسول الله! مَنْ قرابتك هؤلاء الذين وجبتْ علينا مودتهم؟ فقال: «علي وفاطمة وابناهما». فثبت ان هؤلاء الأربعة أقارب النبي ـ ص ـ، واذا ثبت هذا، وجب ان يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم[١]. انتهى.

وعن نور الدين السمهودي في «جواهر العقدين» ـ عند ذكره الآية وإثبات نزولها في وجوب مودة أهل البيت عليهم السلام ـ انه قال: ويشهد له ما أخرجه الثعلبي في تفسيره من طريق السدي عن ابي مالك عن ابن عباس، واخرجه الفقيه ابو الحسن بن المغازلي عن السدي، بل هو مقتضىٰ ما جزم به الثعلبي والبغوي بنقله عن ابن عباس (في تفسير قوله تعالىٰ: «ام يقولون افترىٰ علىٰ الله كِذبا» الىٰ قوله «هو الذي يقبل التوبة عن عباده»[٢]) فقال: قال ابن عباس: لما نزل قوله تعالىٰ: «قل لا اسألكم عليه أجراً اِلّا المودة في القربىٰ»، قال قوم في نفوسهم: ما يريد اِلّا أن يحثنا علىٰ أقاربه من بعده. فأخبر جبرئيل النبي ـ ص ـ انهم اِتهموه. فأنزل: «ام يقولون افترىٰ علىٰ الله كذبا». فقال القوم: نشهد ـ يا رسول الله! ـ انك الصادق. فنزل: «وهو الذي يقبل التوبة عن عباده»[٣]. انتهىٰ.

[**الايراد الثاني**]: ومن مقالة ابن تيمية وغيره ان الآية في سورة الشورىٰ، وهي مكية، ولم يكن علي متزوجاً بفاطمة، ولم يكن له ولد [فكيف يفسِّر النبي الآية بوجوب مودة قرابة لا تُعرف ولم تُخلق][٤].

ويتوجه عليه نقضاً بما قالته الجماعة من ان الآية الدالة علىٰ شرع متعة النساء من قوله تعالىٰ: «فما استمتعتم به منهن، فآتوهن اجورهن»[٥]، منسوخة بقوله تعالىٰ: «اِلّا علىٰ

---

١. التفسير الكبير ٢٧/١٦٦.

٢. سورة الشورىٰ / ٢٤ ـ ٢٥.

٣. المصدر مخطوط.

٤. منهاج السنة ٤/٢٨، والزيادة من المصدر.

٥. سورة النساء / ٢٤.

ازواجهم أو ما ملكت أيمانهم»[١]. والحال ان آية المتعة في سورة النساء، وهي مدنية، وإباحة المتعة شُرّعت فيها. وآية «اِلّا علىٰ ازواجهم» في سورة المؤمنون، وهي مكية، فكيف تكون ناسخة للحكم الذي لم يشرع بعد، فالجواب من الجانبين سواء.

فإن قيل ان سورة المؤمنون ليست مكية، أو ان الآية «اِلّا علىٰ ازواجهم» فيها مدنية. أو ان هذه الآية نزلت مرتين، قلنا جميع ذلك جارٍ في آية المودة التي في سورة الشورىٰ، ولا مانع من نزولها بعد أُخرىٰ، كما قاله ابن حجر في «الصواعق»[٢]. وعن الثعلبي ـ في تفسيره، عند قوله تعالىٰ: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقران العظيم» ـ قال: ان سورة الفاتحة نزلت مرتين، مرة بمكة من اوائل ما نزل القران، ومرة بالمدينة...[٣] الى اخره.

[الايراد الثالث]: ومن مقالة ابن تيمية وغيره مناقضة تفسير القُربىٰ بأهل البيت لما في الصحيحين عن سعيد بن جبير قال: سُئل ابن عباس عن قوله تعالىٰ: «قل لا سألكم عليه أجراً اِلّا المودة في القربىٰ». فقال سعيد بن جبير: قربىٰ آل محمد ـ ص ـ[٤]. فقال ابن عباس: عجلت، انه لم يكن بطن من قريش اِلّا لرسول الله فيهم قرابة، فقال [لا اسألكم عليه اجرا][٥]

---

١. سورة المؤمنون / ٦.

٢. الصواعق المحرقة / ١٠٢.

٣. المصدر مخطوط.

لم أجد احداً يشترط في كون السورة مكيةً ان يكون نزول جميع آياتها في مكة أو قبل الهجرة، ولا احداً يشترط في كون السورة مدنيةً ان يكون نزول جميع آياتها في المدينة أو بعد الهجرة. راجع الاِتقان في علوم القرآن ١ / النوع الاول. اما بالنسبة الىٰ سورة الشورىٰ، فقد روىٰ السيوطي عن ابن عباس انها مدنية لا مكية (الاتقان ١ / ٣٠). وبعض مَنْ قال بانها سورة مكية قال بوجود آيات مدنية فيها (الاتقان ١ / ٤٦).

علىٰ ضوء ما ذُكر يتضح انه علىٰ فرض ثبوت مكية سورة الشورىٰ، فلا دليل علىٰ لزوم نزول جميع اياتها في مكة، فتكون هذه الاية نزلت في المدينة.

٤. هذا موافق للبخاري، لكن في المصدر: «فقلت: ان لا تؤذوا محمداً في قرابته».

٥. الزيادة من المصدر.

اِلّا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة[١]. فهذا ابن عباس ترجمان القران يقول: ليس معناها مودة ذي القربىٰ، ولكن معناها: لا اسألكم معشرَ قريش عليه اجراً، ولكن اسألكم انْ تصلوا القرابة التي بيني وبينكم، فهو ـ ص ـ سأل الناس ان يصلوا رحمه، فلا يعتدوا عليه[٢]. انتهىٰ

قلت: ان الحديث (علىٰ ما في البخاري في باب «اِلّا المودة في القربىٰ» من كتاب التفسير[٣]، عن محمد بن بشّار الملقب بـ«بُنْدار»، عن محمد بن جعفر الهمداني المعروف بـ«غندر»، عن عبدالملك بن ميسرة، عن طاووس اليماني، عن ابن عباس) مطعون سنداً، لان في طريقه محمد بن بشّار ومحمد بن جعفر، وهما مطعونان، تكلم فيهما غير واحد من الحفّاظ وائمة التعديل، ففي «ميزان الاعتدال» في ترجمة بُنْدار انه كان يمزح ويتمسخر في حديثه، وكان يقول: قال عائشة وقالت رسول الله. فقال له رجل: اُعيذك بالله، فما افضحك!

وقال العسقلاني في «تهذيب التهذيب»: ان عمرو بن علي يحلف ان بُندار يكذب فيما يروي عن يحيىٰ. وفيه: عن [عبدالله بن][٤] علي بن المديني في الحديث الذي رواه بُندار في السحور: هذا كذب. وانكره أشد الاِنكار. وعن عبدالله الدورقي قال: كنا عند ابن معين، فجرىٰ ذِكْرُ بُندار، فرأيت يحيىٰ بن معين لا يعبأ به ويستضعفه. ورأيت القواريري لا يرضاه[٥]. انتهىٰ.

وأمّا غندر، فاسمه محمد بن جعفر، ففي «الميزان» للذهبي: انه كان مَغَفَّلاً[٦]. وفي «تذكرة الحفّاظ» انه مع اِتقانه كان فيه تغفُّل. قال الذهبي في «التذكرة»: ان يحيىٰ بن معين يقول:

---

١. هذا موافق للبخاري، لكن في المصدر: «أجرا، لكن اسألكم ان تصلوا القرابة التي بيني وبينكم».

٢. منهاج السنة ٤/٢٨.

٣. صحيح البخاري ٦/١٦٢، كتاب التفسير، تفسير الآية.

٤. الزيادة من المصدر.

٥. تهذيب التهذيب ٩/٧١ ـ ٧٢.

٦. ميزان الاعتدال ٣/٥٠٢.

دخلنا على غندر، فقال: لا احدثكم بشيء حتىٰ تمشوا خلفي الىٰ السوق، فيراكم الناس، فيكرموني. فمشينا خلفه، فجعل الناس يقولون: من هؤلاء يا ابا عبدالله؟ فيقول: هؤلاء أصحاب الحديث جاؤني من بغداد يكتبون عني[1].

وقال العسقلاني في «تهذيب التهذيب» في الترجمة: قال ابن المديني: كنتُ اذا ذكرتُ غنداراً عند يحيىٰ بن سعيد، عوّج فمه، كأنه يستضعفه[2].

وأمّا قول ابن تيمية ـ لدىٰ ترجيحه لحديث ابن عباس الذي في البخاري، ففيه ان ابن عباس وان كان له رجحان النظر، غير ان الكلام في صدق البخاري وصدق رواته للخبر.

هذا مضافاً الىٰ معارضة حديث ابن عباس أخيراً بحديثه اولاً من تفسيره للقُربىٰ بقُربىٰ آل محمد ـ صلىٰ الله عليه واله ـ. مع وجود المعارض أيضاً في نفس حديثه أخيراً بوقوع التفسير من سعيد بن جبير بآل محمد، كما رواه عنه وعن السدي، ابو حيان القرطبي في تفسيره[3].

مضافاً الىٰ ما لتفسير ابن جبير من التأييد بما رواه ابن حجر في «الصواعق» وغيره عن علي بن الحسين زين العابدين ـ عليهما السلام ـ من نزول الآية فيهم[4]. ففي «الدر المنثور» للسيوطي: اخرج ابن جرير عن ابي ديلم قال: لما جيء بعلي بن الحسين اسيرا، فاقيم علىٰ دَرَج دمشق، قام رجل من أهل الشام، فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم. فقال له علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ: أقرأت القران؟ قال: نعم. قال: أقرأتَ حم عسق[5]؟ قال: لا. قال: أما قرأت: «قل لا اسألكم عليه أجراً اِلّا المودة في القربىٰ»؟ قال: فانكم لأنتم هم؟ قال: نعم[6]. انتهىٰ

---

١. تذكرة الحفاظ ١/٣٠١.

٢. تهذيب التهذيب ٩/٩٨.

٣. الجامع لأحكام القران ١٦/٢١ ـ ٢٢.

٤. الصواعق المحرقة / ١٠١.

٥. في المصدر: «أقرأتَ الحم».

٦. الدر المنثور ٦/٧.

ومن حديث «الدر المنثور» كلام النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ لعمه العباس: «والله لا يدخل قلب امريء مسلم ايمان حتىٰ يحبكم لله ولقرابتي». وفيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ـ ص ـ: «أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمة، وأحبوني لحب الله، واحبوا أهل البيت لحبي». واخرج البخاري عن أبي بكر قال: «اِرقبوا محمداً في اهل بيته...»[1] الى اخره.

ومن حديث محمد بن يوسف الكنجي في «كفاية الطالب» ما اخرجه عن طريق الحافظ ابي نعيم، عن محمد بن احمد بن مخلد، عن الحافظ ابن أبي شيبة، باسناده عن جابر بن عبدالله الانصاري قال: جاء أعرابي الىٰ النبي ـ ص ـ وقال: يا محمد! أعرض عليَّ الاسلام.

فقال ـ ص ـ: تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، وان محمداً عبده ورسوله.

قال: وتسألني عليه اجرا؟

قال ـ ص ـ: لا، اِلّا المودة في القربىٰ.

قال: قرابتي او قرابتك؟

قال ـ ص ـ: قرابتي.

قال: هات ابايعك، فعلىٰ من لا يحبك، ولا يحب قرباتك لعنة الله.

فقال النبي: آمين[2].

ومن حديث الكنجي في «الكفاية» عن الطبراني وابن عساكر بطرقهما المتعددة عن أبي امامة عن النبي ـ ص ـ قال: «ان الله خلق الأنبياء من اشجار شتىٰ، وخلقني من شجرة واحدة، انا اصلها، وعلي فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمرها. فمن تعلق بغصن من أغصانها، نجىٰ، ومن زاغ عنها، هوىٰ. و[لو ان عبداً عبدالله بين الصفا والمروة ألف عام، ثم ألف عام، ثم][3] لم يدرك صحبتنا، أكبّه الله علىٰ مَنْخَريه في نار جهنم». ثم تلا:

---

١. الدر المنثور ٦/٧.

٢. كفاية الطالب / ٩٠.

٣. الزيادة من المصدر.

«قل: لا اسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربىٰ»[١].

[الايراد الرابع]: ومن مقالة ابن تيمية في الآية انه جعل الاستثناء منقطعاً، نظراً الىٰ ان المودة ليست من جنس الأجْر، وانه لا يجوز أخذ الأجرة علىٰ تبليغ الرسالة. والمعنىٰ حينئذ: قل لا اسألكم الأجر علىٰ التبليغ والأذىٰ، ولكن أُذكركم القرابة التي بيني وبينكم[٢].

اقول: ان جعل الإستثناء منقطعاً خلاف القاعدة وخارج عن اصول المحاورة، لا ضرورة عليه. قال ابن حجر في «الصواعق»: ويصح انه متصل بخبر الملّا في سيرته: «ان الله جعل أجري عليكم المودة في القربىٰ، واني سائلكم عنهم غدا» فتسمية ذلك اجراً مجازٌ[٣].

قلت: لا وجه لكونه مجازاً بعد ان الله تعالىٰ جعله أجراً، وجعل رسوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ أجيرا، فلم يوجب مودة ذي القربىٰ مجاناً، وفيه عظيم ترغيب الىٰ مودتهم.

وقول ابن تيمية «ان النبي ـ ص ـ لم يسأل علىٰ تبليغ الرسالة أجرا، بل أجره علىٰ الله»[٤]، مندفع بأن المنفي بالآيات التي احتج بها علىٰ نفي الأجر من قوله تعالىٰ «قل ما سألتكم من أجر فهو لكم، ان أجري إلّا علىٰ الله»[٥]، انما هو الأجر الدنيوي[٦]، واين هذا الأجر من مودة أهل بيت النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ الذي هو من فروض طاعته، فلا تنافي الآية لاية أجر الرسالة.

[الايراد الخامس]: ثم ان ابن تيمية ـ من ضيق الخِناق ـ اشكل على الآية قائلاً: «لو اريد المودة لهم، لقال: المودة لذوي القربىٰ. ولم يقل في: القربىٰ. فلما قال: المودة في

---

١. كفاية الطالب / ٣١٧. وقال الكنجي: هذا حديث حسن عال.

٢. منهاج السنة ٤/٢٨ ـ ٢٩.

٣. الصواعق المحرقة / ١٠٢.

٤. منهاج السنة ٤/٢٨.

٥. سورة سبأ / ٤٧.

٦. أي: الأجر المادي كالمال.

القربىٰ، عُلِم انه ليس المراد: لذوي القربىٰ»[١].

قلت: ان الجواب بالنقض هنا احرىٰ، وانه لو كان المراد مودة النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وصلة الرحمية الثابتة بنبيه (صلىٰ الله عليه واله) وبين قريش، لقال: اِلّا ان تؤدّوني للقرابة التي بيني وبينكم وتحفظوني لها، فالاِشكال ـ بزعمه ـ مشترك الورود.

هذا مضافاً الىٰ ان «في القربىٰ» حال من «المودة»، اي: اِلّا المودة ثابتةً في القُربىٰ، متمكنة في اهلها، كما في تفسير ابي سعود[٢].

وفي «كشّاف» الزمخشري: «[إن قلت][٣]: هلّا قيل: اِلّا المودة «للقربىٰ» او: اِلا مودة القربىٰ». وما معنىٰ قوله: «اِلّا المودة في القربىٰ»؟ قال: [قلت][٤]: جُعِلوا مكاناً للمودة ومقرّاً لها، كقولك: لي في ال فلان مودة، ولي فيهم هوىٰ وحب شديد. تريد أُحبُّهم، وهم مكان حُبّي ومحلّه»[٥].

انتهىٰ. ونحوه في تفسير الفخر الرازي[٦].

فانقطع السؤال ببمه ولمه من الخصم في الآية، وظهرت دلالة الآية علىٰ عصمة ذي القربىٰ.

[٥ . حديث: «علي مع الحق والحق مع علي ...»]

السُّنّة النبوية والحكم لعلي ـ عليه السلام ـ بالعصمة: فمن تلك الجملة أحاديث «علي مع الحق، والحق مع علي، يدور معه حيث دار». فيما اخرجه علي المـتقي في الكـنز[٧]،

---

١ . منهاج السنة ٤/٢٨.

٢ . ارشاد العقل السليم ٥/٣٤.

٣ . الزيادة من المصدر.

٤ . الزيادة من المصدر.

٥ . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/٢١٩.

٦ . التفسير الكبير ٢٧/١٦٧.

٧ . منتخب كنز العمال ٥/٦٢.

والضياء المقدسي في مختاره[١]، والترمذي في جامعه[٢]، وابن كثير الشامي في «البداية والنهاية».

ومن حديث ابن مردويه عن عائشة عن النبي ـص ـ: قال: «الحق مع علي، وعلي مع الحق، لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض»[٣]. فان المراد بالعصمة ملازمة الحق دائماً وعدم التخلّف عنه اصلاً.

قال الفخر الرازي في «التفسير الكبير» ـ في سورة الفاتحة، في الحجة الخامسة علىٰ وجوب الجهر بالبسملة: إن من اقتدىٰ في دينه بعلي بن ابي طالب، فقد اهتدىٰ. والدليل عليه قوله ـ عليه السلام ـ: «اللهم أدر الحق مع علي حيث دار»[٤]. انتهىٰ.

وذكر الشاه ولي الله الدهلوي في كتاب «التفهيمات»: انه اذا تمت العصمة، كانت افاعيله كلها حقة. لا اقول انها تطابق الحق، بل هي الحق بعينها، بل الحق أمر ينعكس من تلك الأفاعيل كالضوء من الشمس، واليه اشار رسول الله ـ ص ـ حيث دعا الله تعالىٰ لعلي: «اللهم ادر الحق معه حيث دار» ولم يقل «ادره حيث دار الحق». انتهىٰ.

[٦ . حديث: «علي مع القران والقران مع علي..»]

ومن ذلك أيضاً قول النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «علي مع القران، والقران مع علي، لا يفترقان حتىٰ يردا عليَّ الحوض». رواه ابن حجر في «الصواعق»[٥]، والحاكم في «المستدرك»[٦]، وصَّححه الذهبي في «التخليص»[٧].

---

١ . المصدر المسمّىٰ بـ «الاحاديث المختارة» مخطوط.

٢ . سنن الترمذي ٥/٦٣٣. والذي فيه: «رحم الله عليا، اللهم أدر الحق معه حيث دار».

٣ . المصدر مخطوط. وهو مروي بسَنَد آخر عن أُم سلمة في تاريخ بغداد ١٤/٣٢١.

٤ . التفسير الكبير ٣/٢٠٥.

٥ . الصواعق المحرقة / ٧٥. واللفظ له.

٦ . المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٢٤.

٧ . تلخيص المستدرك ٣/١٢٤.

والمراد من كون علي ـ عليه السلام ـ مع القران، عدم التخطي عنه، وعدم الخطأ فيه، وهذا معنىٰ عصمته وظهور عظيم منزلته.

ومن عظيم شأنه ـ عليه السلام ـ ورفيع منزلته قول النبي (صلىٰ الله عـليه واله) فيه: ان علياً آية الحق[١] وراية الهدىٰ، وانه كباب حِطَّة[٢]، او كسفينة نوح[٣]. وقوله «اسلكوا وادي علي»، وانه لا يردّ الناس عن الهدىٰ ولا يدخلهم الردىٰ[٤]. وقال ـ صـلىٰ الله عـليه واله ـ: «بك يا علي يهتدي المهتدون بعدي»[٥]. ونزل فيه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وفي علي (عليه السلام) قوله تعالىٰ: «انما انت منذر ولكل قوم هاد»[٦،٧]. وقـال ـ صـلىٰ الله عـليه واله ـ: «ان علياً ولي كل مؤمن بعدي»[٨].

كل ذلك صريح في عصمته.

---

١. كما تقدم قبل صفحة.

٢. كنز العمال ١١/٦٠٣، الصواعق المحرقة / ٧٥، الجامع الصغير ٢/٥٦. وسيأتي ذكر احاديث ذلك في الجزء الثالث من هذا الكتاب في الصفحة ١٥ ـ ١٦.

٣. المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/٣٤٣، فرائد السمطين ٢/٢٤٦، مناقب علي بن ابي طالب / ٣٢.

٤. ذخائر العقبىٰ / ٦١.

٥. الدر المنثور ٤/٤٥، التفسير الكبير ١٩/١٤، شواهد التنزيل ١/٢٩٥، كـفاية الطـالب / ٢٣٣، المستدرك علىٰ الصحيحن ٣/١٥٣ ـ ١٥٤، منتخب كنز العمال ٥/٣٤، تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الامام علي ٢/٤١٧، فرائد السمطين ١/١٤٨.

٦. سورة الرعد.

٧. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٢٩ ـ ١٣٠، شواهد التنزيل ١/٢٩٣ ـ ٣٠٣، كفاية الطالب / ٢٣٣، لسان الميزان ٢/١٩٩، تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الامام علي ٢/٤١٥ ـ ٤١٧ و ٤١٩، فـرائـد السمطين ١/١٤٨، الدر المنثور ٤/٤٥، التفسير الكبير ١٩/١٤.

٨. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١١٠ ـ ١١١، سنن الترمذي ٥/٦٣٢، خصائص علي بن ابي طالب / ١٧، تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الامام علي ١/٣٨١، كنز العمال ١١/٥٩٩ و ٦٠٨.

[٧ . حديث: «كفّي وكفّ علي في العدل سواء»]

ومما هو صريح في عصمة علي -عليه السلام-: ما اخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه[١]، وعلي المتقي في «كنز العمال»[٢]، وعن ابي بكر قال: قال رسول الله -ص- ليلة الهجرة ونحن خارجان من الغار نريد المدينة: «كفّي وكفُّ عليٍ في العَدْل سواء»[٣].

فان التسوية مع النبي -صلىٰ الله عليه واله- في العدل صريحة في العصمة، والّا فمع الخطأ كيف يكون عدلاً ونهجاً مستقيماً؟

[٨ . احاديث التمسك بالعترة]

ثم ان في احاديث التمسك بالعترة[٤] واعتصام من اعتصم بهم، دلالة صريحة علىٰ عصمته عن الخطأ، والّا فلو جاز عليه الخطأ، لم يكن علمه علم رسول الله اِلا عند من يجوّز علىٰ النبي -صلىٰ الله عليه واله- الخطأ.

[٩ . حديث: «انت مني بمنزلة هارون من موسىٰ ...»]

ثم ان النبي -صلىٰ الله عليه واله- قال لعلي (عليه السلام) في الحديث المتواتر:

---

١ . تاريخ بغداد ٥/٣٧.

٢ . كنز العمال ١١/٦٠٤.

٣ . وروي ايضاً في كل من: مناقب علي بن ابي طالب - للخوارزمي - /٢١١، تاريخ مدينة دمشق - ترجمة الامام علي ٢/٤٣٩، فرائد السمطين ١/٥٠.

٤ . راجع التعليقات ٣ - ٨ من صفحة ٥٦ من هذا الجزء.

«انت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ، اِلّا أنه لا نبي بعدي»[١].

ومن المعلوم بالضرورة ان من منازل هارون عصمته، فأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ مثله، لعموم الحديث وعدم مجيء التخصيص.

---

١. صحيح مسلم ٤/١٨٧٠ ـ ١٨٧١، كتاب فضائل الصحابة، باب ٤. سنن ابن ماجة ١/٤٢. سنن الترمذي ٥/٦٤١، طبقات ابن سعد ٣/٢٤، مسند احمد بن حنبل ٣/٥٠، فرائد السمطين ١/١٢٢ ـ ١٢٧، حلية الاولياء ٧/١٩٤ ـ ١٩٧، فضائل الصحابة ٢/٥٦٦.

وقال الحاكم النيسابوري: ان حديث المنزلة قد روي بخمسة آلاف سند.



[الشرط الثالث]

[الأعلمية من الأمة]

الامامة والاعلمية: الشرط الثالث من شروط الإمامة: كون الامام بعد النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ اعلم الامة.

قال سعد الدين التفتازاني في «شرح المقاصد» في باب الإمامة: ذهب معظم اهل السنة وكثير من الفرق الىٰ انه يتعين للامامة أفضل اهل العصر [1].

قال: وقد تطابق الكتاب والسنة والإجماع علىٰ ان الفضل بالعلم والتقوىٰ، قال الله تعالىٰ: «إنّ اكرمكم عند الله أتقاكم» [2]. وقال: «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» [3]. وقال: «يرفع الله الذين آمنوا والذين اوتوا العلم درجات» [4]. [5] انتهىٰ.

أقول ان المتصدي للخلافة والقيمومية العامة الالهية يجب ان يكون عالماً بجميع ما تحتاج اليه الامة من أحكامها وحدودها وسياساتها، ولا يجوز له الجهل بشيء منها، وإلّا لم

---

١ . شرح مقاصد الطالبين ٢ /٢٩٨.

٢ . سورة الحجرات / ١٣.

٣ . سورة الزمر / ٩.

٤ . سورة المجادلة / ١١.

٥ . شرح مقاصد الطالبين ٢ /٣٠٢.

يكن خليفة الله ورسوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، وذلك للزوم تعطيل الأحكام وتفويت الحقوق من استخلاف الجاهل دون العالم.

وهذا ما توافق عليه العقول والأفهام المستقيمة الخالية من شوائب الاوهام، ويدل عليه من النقل أيضاً ما في القران من قوله تعالىٰ ـ في تقديم آدم علىٰ سائر الأنبياء ـ «وعَلَّم آدم الاسماء كلها، ثم عَرَضهم علىٰ الملائكة» الىٰ قوله: «يا آدم أنبئهم بأسمائهم»[1]. فجعل الله آدم ـ عليه السلام ـ خليفته في الارض، بعد أن كلَّمه وصيَّرَه أعلم بريّته. ومن قوله تعالىٰ ـ في وجه اختيار طالوت علىٰ بقية بني اسرائيل ـ: «ان الله اصطفاه عليكم، وزاده بسطة في العلم والجسم»[2].

ثم ان قوله تعالىٰ: «أفَمَن يَهْدي الىٰ الحق أحقُّ أنْ يُتَّبَع أمَّنْ لا يَهدّي اِلّا أنْ يُهْدىٰ ؟ فما لكم كيف تحكمون»[3] يستفاد منه عدة من الامور:

احدها: لزوم علم الهادي جميع ما يحتاج المُهتدىٰ به من احكامه، واِلّا فمع الجهل لا يستغني عن الهادي الىٰ الحق، ولما كان الامام والحجة هو هادي الامة بقول مطلق، لزم ان يكون عالماً بجميع احكامهم.

وثانيها: ان يكون ذلك الهادي بحيث تقوم لله به الحُجَّة علىٰ الخلق، واِلّا فلا يكون هادياً الىٰ الحق، ولا يستقيم الدين به عند عدم استكماله ووجود من هو أكمل منه.

وثالثها: ان يكون معصوماً عن الآفات الشرعية، لئلا يزول عن الحق والحقيقة، فلا تتم به الحجة ولا تذعن به الرعية.

ثم اِن من الضرورة خفاء العلم بمثل هذا الشخص الكامل من كل جهة في كل زمان، لولا الدلالة عليه من الله تعالىٰ أو من رسوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ.

---

١. سورة البقرة / ٣١ ـ ٣٣.

٢. سورة البقرة / ٢٤٧.

٣. سورة يونس / ٣٥.

السنة النبوية وتعيين الأعلم للإمامة: ان من السنة الدالة علىٰ تعيين الأعلم للإمامة حديث «الكنز» باسناده عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قال: «من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم ان فيهم اولىٰ بذلك منه واعلم بكتاب الله وسنة نبيه ـ ص ـ، فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين». اخرجه مسلم وابو داود [١].

وقال البيضاوي [٢] والنيشابوري [٣] والفخر الرازي [٤] في تفاسيرهم عند قوله تعالىٰ: «واذا قلنا للملائكة اسجدوا لادم» [٥]: ان السجود كان لله تعالىٰ، واللام فيه كاللام في شعر حسّان لما بويع ابو بكر للخلافة:

ما كنتُ أعرف أن الأمر منصرفٌ — عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

أليس أولَ مَنْ صلىٰ لِقبْلتكم — وأعرفَ الناس بالقرانِ والسُّنن [٦]

---

١. كنز العمال ٦/٧٩.

٢. انوار التنزيل ١/٢٥.

٣. غرائب القران ١/٧٨.

٤. التفسير الكبير ٢/٢١٢.

٥. سورة البقرة / ٣٤.

٦. جاء في تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٤ أن القائل هو عتبة بن ابي لهب، لا حسّان بن ثابت. كما ان المذكور هنا عن تفاسير الثلاثة جزءٌ من الأبيات التي أُنشدت ذلك اليوم، وقد ذكرها اليعقوبي في تاريخه كما يلي:

ما كنتُ احسبُ ان الامر منصرفٌ — عن هاشمٍ ثم منها عن ابي الحسنِ

عن اولِ الناس ايماناً وسابقة — واعلمِ الناس بالقران والسُّننِ

وآخرِ الناس عهداً بالنبي ومَنْ — جبريل عَوْنٌ له في الغسل والكفنِ

من فيه ما فيهمُ لا يمترون به — وليس في القوم ما فيه من الحسنِ

وجاء في «مناقب علي بن ابي طالب» ـ للخوارزمي / ٨: ان القائل هو العباس بن عبدالمطلب، مدح بها الامام علي عند فرض ابي بكر حاكماً علىٰ المسلمين. وذُكر فيه بيت خامس هو:

ماذا الذي ردكم عنه فنعرفه — ها ان بيعتكم من اول الفتنِ

وحسّان بن ثابت ممن جعل المدار في الخلافة علىٰ الأعرفية بالكتاب والسنة، وجعلها منحصرة في علي ـ عليه السلام ـ، حيث انكر اِخراجها عنه الىٰ ابي بكر، واذعن بأنه ليس اعرف من علي ـ عليه السلام ـ بالقران والسنة.

وحسَّان هذا هو المؤيد بروح القدس بدعاء رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ كما في «صحيح مسلم»[1]. وفيه: عن عائشة: سمعت رسول الله ـ ص ـ يقول لحسَّان: «ان روح القدس لا يزال يؤيدك [ما نفحت[2] عن الله ورسوله]»[3].

ثم ان علياً ـ عليه السلام ـ ادعىٰ الأعلمية والأفقهية والابصرية بأمر الرعية بمحضر أبي بكر ووجوه الاصحاب، ولم يكن لهم في ذلك من جواب. وكذلك ادعىٰ الأحقية والأولوية ـ في خطبته الشقشقية ـ بقوله (عليه السلام): «لقد تَقَمَّصها[4] ابن ابي قُحافة[5]، وانه ليعلم ان محلّي منها محل القُطْبِ من الرَّحىٰ[6]، ينحدر عني السيل ولا يرقىٰ

→

وجاء في «التدوين» ١/٧٨ ـ ٧٩: ان القائل هو سلمان الفارسي. والمذكور عنه مختلف في بعض الكلمات مع المذكور في المتن.

والشاهد هو «لقبلتكم» حيث ان اللام استعملت في معنىٰ «الىٰ»، فالمعنىٰ: صلىٰ الى قبلتكم.

١. صحيح مسلم ٤/١٩٢٦، كتاب فضائل الصحابة، باب ٣٤.

٢. نفحتَ: دافعتَ.

٣. صحيح مسلم ٤/١٩٣٣، كتاب فضائل الصحابة، باب ٣٤. والزيادة من المصدر.

٤. تَقَمَّص: تكلَّف لبس قميص لم يُفصَّل له. والضمير في «تقمصها» راجع الى الخلافة.

والمعنىٰ: ان أبا بكر مسك بزمام المسلمين مع انه لم يكن له أهلية ذلك، وادعىٰ خلافة رسول الله مع ان الخلافة لم تكن له.

٥. ابن ابي قُحافة: ابو بكر.

٦. القُطْب: المحور القائم المثبت في الطبق الاسفل من الرحىٰ الذي يدور عليه الطبق الأعلىٰ.

الرَّحىٰ: الأداة التي يُطحن بها. وهي حجران مستديران يوضع احدهما علىٰ الآخر، ويُدار الأعلىٰ.

اليَّ الطير...»[١] الى آخر الخطبة. وحاشا لله ان يكون علي ـ عليه السلام ـ مجازفاً في دعواه.

مقالة اهل السنة حول شرط الأعلمية: قالت الجماعة: إنّا نقتدي بالامام الخليفة فيما هو يعلمه دون ما يجهله، واما فيما لا يعلمه كان المرجع غيره من الصحابة وأهل العلم، لقوله عزَّ من قائل «فسألوا أهل الذكر اِنْ كنتم لا تعلمون»[٢].

قلنا: انما قالوها عن عقولهم الصحيحة وفطرتهم المستقيمة الناهضة بالرجوع الىٰ الامام والحجة فيما يعرفه، ولمّا كان الامام هو المقتدىٰ في الأحكام بقول مطلق، وجب ان يكون عارفاً بجميعها واِلّا فحاله عند الجهل كحال غيره في وجوب الاِقتداء بغيره، فلا يكون اِماما وحجة علىٰ غيره.

فلو قيل: ان الاِحاطة بجميع جزئيات الاحكام وخصوصياته خارجة عن القدرة، سيما بعد أن كانت المسائل الجزئية تحدث شيئاً فشيئاً علىٰ طول المدة من غير حدٍّ ولا نهاية.

قلنا: ذلك منقوض بعلم النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ لجميع ما جاء به كلياً وجزئياً، فكما ان ذلك حاصل للنبي (صلىٰ الله عليه واله) وميسور له، فبذلك الوجه يكون ميسوراً لوصيه والنائب عنه الحال محلّه، واِلّا فيكون جهله به نقصاً فيه.

فتجويز الجماعة للامام والخليفة ان يُشكَل عليه حكم الواقعة، ولا يؤدي اليه اجتهاده، او لم يبلغ له الحديث من النبي (صلىٰ الله عليه واله) فيدور بيوت الاصحاب ويسأل عنهم ـ كما في ابي بكر، وقول عمر: لولا علي لهلك عمر ـ، تنقيصٌ لشأنه،

→

والمعنىٰ: ان ابا بكر كان يعلم ان الخلافة ليست له وانه لا يصلح للمسك بزمام امور المسلمين، وان الخليفة هو الامام علي وهو الصالح لحكومة المسلمين، كما ان الاداة لا توجد ولا تصلح اِلّا بالمحور، لكنه بالرغم من ذلك منع الامام من تبوأ مقعده من الحكومة، واغتصب منصبه.

١. نهج البلاغة ١ / ٣٠ ـ ٣١، الخطبة ٣.

٢. سورة الانبياء / ٧.

لان الإمامة رئاسة عامة في الدين والدنيا فمن القبيح علىٰ الله تعالىٰ وعلىٰ أهل الحل والعقد من العلماء والعقلاء واهل الفضل، ترك الأعلم وتوليه مَنْ لا يكون له من العلم ما يفي بامور الدنيا والدين.

[ابو بكر وعمر لم يكونا اعلم الآمة]

ما أوجب التوقف في خلافه مَنْ تقدم علىٰ علي ـ عليه السلام ـ أمّا بناءاً علىٰ أصل الشيعة، فلفقد المعرفة بكثير من المسائل الشرعية. وأمّا علىٰ اصل الاختيار في نصب الخليفة، فلاِشتراطهم القدرة علىٰ استنباطه الأحكام عن الكتاب والسنة. وابو بكر وعمر لم يحصل لهما تلك القوة، ولأجله كثر عنهما الخطأ في المعرفة:

١ ـ ولقد صح عن ابي بكر قوله: «اقول في الكلالة برأيي، فان كان صواباً فمن الله، وان كان خطأً فمني ومن الشيطان»[1]. وهذا صريح في انه خفي عليه معنىٰ الكَلاَلَة.

٢ ـ كما خفيت علىٰ عمر، فلم يدرها. حسبما رواه احمد في «المسند»[2]، ومسلم في صحيحه[3]، ومالك في «الموطأ»، والحاكم في «المستدرك»[4]، والسيوطي في «الدر المنثور»[5]، والفخر الرازي في «التفسير الكبير»[6]، والسيد محمود الآلوسي في تفسيره «روح المعاني»[7].

٣ ـ وذكر المقريزي في «الاِمتاع» ان النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ «استعمل أبا بكر

---

١. الدر المنثور ٢/ ٢٥٠، تاريخ الخلفاء / ٩٤.

٢. مسند احمد بن حنبل ١/ ٢٦. ورواه في كنز العمال ١١/ ٧٩ ـ ٨٠ عن سعيد بن منصور في سننه،وعبد الرزاق في جامعه، وابن ابي شيبة، والدارمي في سننه، والطبري في تفسيره، وابن المنذر، والبيهقي في سننه.

٣. صحيح مسلم ٣/ ١٢٣٦، كتاب الفرائض، باب ٢.

٤. المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٣٠٣.

٥. الدر المنثور ٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥١.

٦. لم اجده في مظان المصدر.

٧. روح المعاني ٦/ ٣٩.

علىٰ الحج، وكتب له بنفس الحج، لانه اشتكىٰ انه لا علم له بالقضاء»[١]. انتهىٰ

٤ ـ وقال السيوطي في «الاِتقان»: «لا احفظُ عن ابي بكر في التفسير اِلّا آثار قليلة جداً، لا تكاد تجاوز العشرة». قال: واما روايات ابي بكر وعمر وعثمان في التفسير، فنزرة جداً[٢]. انتهىٰ.

٥ ـ وفي تاريخ الطبري: ان ابا بكر كان يسأل الاصحاب عن قضاء رسول الله (ص) اِنْ كان هناك قضاء، واِلّا قضت به خيارهم ورؤسائهم. انتهىٰ.

٦ ـ ثم انه خفي علىٰ أبي بكر ميراث العمة والخالة، كما في «كنز العمال».

٧ ـ وخفي عليه اِرث الجدَّة، كما في «الصواعق المحرقة»[٣]، و«تاريخ الخلفاء»[٤] للسيوطي، و«المسند»[٥] لأحمد، و«الاستيعاب»[٦] لابن عبد البر القرطبي.

٨ ـ وخفي عليه ما يجب علىٰ المحرِم من كفارة قتل الصيد، كما في الكنز في مبحث الحج[٧]

٩ ـ وكذلك خفي علىٰ عمر مثل ذلك حتىٰ سأل غيره، فقال السائل: والله ما عَلِمَ الخليفة حتىٰ سأل غيره. فاعتلاه عمر بالدُرّة.

١٠ ـ وخفي علىٰ ابي بكر حدّ اللواط حتىٰ اعلمه علي (عليه السلام) كما في «المحلّىٰ»[٨] لابن حزم.

١١ ـ وخفي عليه وعلىٰ عمر معنىٰ قوله تعالىٰ: «وفاكهة وأبّا»[٩]، كما في «الدر المنثور»[١٠]،

---

١. الاِمتاع ١/٤٩٩.

٢. الاِتقان في علوم القران ٢/٥٢٩. (النوع ٨٠).

٣. الصواعق المحرقة / ٢٠ ـ ٢١.

٤. تاريخ الخلفاء / ١٠٠.

٥. مسند احمد ٤/٢٢٥.

٦. الاستيعاب ٢/٤١٣.

٧. كنز العمال ٥/٢٤٤.

٨. المحلّىٰ ١١/٢٠١.

٩. سورة عبس / ٣١.

١٠. الدر المنثور ٦/٣١٧.

وكتاب «الاِتقان»[١] للسيوطي، وتفسير ابي سعود المطبوع في هامش تفسير الفخر الرازي[٢].

أقول: ان مع فرض العجز لأبي بكر عما ذكر، كيف يتقدم علىٰ علي (عليه السلام) الذي نصّ النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ [عليه] بقوله «أقضاكم علي»[٣]؟

وكم فرق بين امامٍ غير عالم يسأل الناس عن الحكم، وبين امام عنده علم الكتاب واختص بأنه نفس رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وباب علمه وحكمته ووزيره وانه [منه] بمنزلة هارون من موسىٰ. فلينصف المنصف انه أي الاِمامين بالاِمامة أحرىٰ.

[نماذج من أخطاء أبي بكر]

حديث ان الله لم يرض ان يُخَطَّأ ابو بكر!!: ذكر السيوطي في «اللالیء المصنوعة» انه اخرج الحارث في مسنده: حدثنا احمد بن يونس، حدثنا احمد بن الحارث الورّاق عن بكر بن خنيس، عن محمد بن سعيد، عن عبادة بن نسي، عن عبدالرحمن بن غنم، عن معاذ بن الجبل قال: قال رسول الله ـ ص ـ: «ان الله عزَّ وجل يكره في السماء أن يُخَطَّأ ابو بكر في الارض» موضوعٌ، تفرّد به ابو الحارث نصر بن حماد، كذَّبه يحيىٰ، وقال النسائي: ليس بثقة. وقال مسلم: ذاهب الحديث. وبكر بن خنيس، قال الدارقطني: متروك. ومحمد بن سعيد هو المصلوب، كذّاب يضع[٤]. انتهىٰ.

وذكر الحديث السيوطي من طريق آخر، فيه ابو العَطوف جراح بن المنهال[٥].

---

١. الاِتقان في علوم القران ١/١١٥ (النوع السادس والثلاثون).

٢. ارشاد العقل السليم ٨/٣٨٩ من الطبعة المذكورة في المتن، و ٥/٨٣٥ من الطباعة الحديثة.

٣. شرح نهج البلاغة ٢/٢٣٥، مطالب السؤول / ٢٣، الاستيعاب ٢/٤٧٤. وقريب منه في: ذخائر العقبىٰ / ٨٣، مناقب علي بن ابي طالب ـ للخوارزمي ـ / ٤١.

٤. اللالئ المصنوعة ١/٣٠٠.

٥. اللالیء المصنوعة ١/٣٠٠.

قلت: قال الذهبي في «ميزان الاِعتدال»: انه مُنكَر الحديث، متروك، كان يكذب في الحديث ويشرب الخمر[١]. انتهىٰ

كيف لم يرض الله تعالىٰ لأبي بكر الخطأ، والحال انه اخطأ باقراره عند موته، فقال: ليتني لم أُفتِّش بيت فاطمة، وليتني لم أحرق فُجاءة السُّلمي، وليتني لم أترك الاشعث بن قيس حين اوتي به اسيرا، بل ضربتُ عنقه، وليتني سألت النبي ـ ص ـ عن هذا الامر فلا ننازع احدا، وليتني سألته عن ميراث ابن الأخ والعمة، ووددتُ اني حين سيّرت خالد بن الوليد الىٰ اهل الرِّدة كنت أقمت بذي القصة... الى آخر ما في الطبري[٢] و«تاريخ العقوبي»[٣]، و«العقد الفريد»[٤] للقرطبي.

ثم ان ابا بكر أخطأ في اصل تأميره خالداً بعد ان سمع عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قوله ثلاثاً: «اللهم اني أبرأ اليك من صنع خالد»[٥]، وفي بعثه الىٰ بني حنيفة بلا حجة عليهم وهم مسلمون، وفي تركه القصاص من خالد لقتله مالك بن نويرة، وهو مسلم بِاقراره عند خالد واقامته الصلاة، وبشهادة عمر وأبي قتادة الانصاري وعبدالله بن عمر علىٰ اسلام مالك واسلام بني حنيفة[٦]، ففعل ما اخطأ فيه. وفي تركه الحد علىٰ خالد اذ زنى بزوجة مالك ليلة قتله من غير عِدَّة ولا استبراء[٧].

فلو قيل: ان ابا بكر أخطأ، ولكنه معذور في حكمه.

---

١ . ميزان الاِعتدال ١/٣٩٠.

٢ . تاريخ الرسل والملوك ٣/٤٣٠.

٣ . تاريخ اليعقوبي ٢/١٣٧.

٤ . العقد الفريد ٤/٢٦٨ ـ ٢٦٩.

٥ . صحيح البخاري ٥/٢٠٣، كتاب المغازي، باب ٥٨. مسند احمد ٢/١٥٠ ـ ١٥١، الاستيعاب ٢/٤٢٨، سير أعلام النبلاء ١/٣٧٠، المواهب اللدنية / ٣٠٨.

٦ . تاريخ الرسل والملوك ٣/٢٨٠، ٢٧٨. المختصر في اخبار البشر ١/١٤٥.

٧ . تاريخ الرسل والملوك ٣/٢٨٠، ٢٧٨. المختصر في اخبار البشر ١/١٤٥.

قلنا: اننا لا نتحاشىٰ عن خطئه ومعذوريته في قضائه، غير ان هذه الجهة مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة والتابعين، ومعه لا تبقىٰ لابي بكر زيادة منقبة كاشفة عن العلم والعصمة.

[أخطاء عمر في المسائل الفقهية أو جهله بها]

ما خفي علىٰ عمر وما اخطأ فيه:

١ ـ قال ابن حزم الاندلسي في كتاب «الإِحكام في اصول الأحكام»، وابن القيم الجوزي في كتابه «أعلام الموقعين»: هذا ابو بكر لم يعرف فرض ميراث الجدّة.

٢ ـ وسأل أبو بكر عائشة: في كم كُفِّن رسول الله (ص)؟

٣ ـ وخفي عليه أن الشهيد لا دية له حتىٰ أعلمه عمر.

٤ ـ وخفي علىٰ عمر حديث الاستئذان، حتىٰ أخبره به ابو موسىٰ الأشعري وابو سعيد الخدري.

٥ ـ وخفي عليه تيمم الجنب وأفتىٰ بترك الصلاة الىٰ أن يجد الماء، فردّه عن ذلك عمار بن ياسر.

أقول: رواه الشيخان في الصحيحين في باب التيمم[١]، واحمد بن حنبل في «المسند»[٢]، والنسائي في «السنن»[٣].

٦ ـ وخفي عليه شأن متعة الحج، وقد نهىٰ عنها[٤]، حتىٰ قيل لاِبن عمر (في اختياره المتعة علىٰ الاِفراد): انك تخالف أباك. فقال أكتاب الله أحق أن يتبع أم عمر؟

---

١. صحيح البخاري ١/٩٢ ـ ٩٣، كتاب التيمم، باب ٣. صحيح مسلم ١/٢٨٠ ـ ٢٨١، كتاب الطهارة، باب ٢٨.

٢. مسند احمد بن حنبل ٤/٢٦٥.

٣. سنن النسائي ١/١٦٥ ـ ١٦٦.

٤. راجع التعليقة ٤ في صفحة ٤٨ من هذا الجزء.

اقول: وكذلك تحريمه متعة النساء علىٰ خلاف المشروع [١]، وخلاف ابنه عبدالله عليه، كما في «المسند» لإمام الحنابلة احمد، ففيه: سأل رجل ابن عمر عن متعة النساء، فقال: والله ما كنا زانين ولا مسافحين» [٢].

ومن حديث ابن عمر ـ في جامع الترمذي ـ: ان شامياً سأل ابن عمر عن متعة النساء. قال: هي حلال. فقال: ان اباك قد نهىٰ عنها. فقال ابن عمر: أرأيت انْ كان ابي قد نهىٰ عنها وسنَّها رسول الله، أنترك السنة ونتبع قول أبي؟ انتهىٰ.

٧ ـ قال ابن حزم وابن القيم وخفي عليه حكم إملاص المرأة [٣]، وعرفه مُغيرة بن شُعبة [٤].

٨ ـ وخفي عليه جواز التسمّي بأسماء الأنبياء، فنهىٰ عنه [٥]، وهو يرىٰ محمد بن مسلمة، ومحمد بن طلحة ومحمد بن ابي بكر. حتىٰ ردّه طلحة عن نهيه.

٩ ـ وخفي عليه توريث المرأة من دية زوجها، حتىٰ أخبره الضحاك بن سفيان بأن النبي (ص) ورَّثها دية الزوج [٦].

١٠ ونهىٰ عن المغالات في المهر، حتىٰ ذكّرتْهُ اِمرأة بقول الله تعالىٰ: «وآتيتم احداهُنّ قِنْطارا» [٧]. فرجع عن رأيه وقال: كل أحد أفقه منك يا عمر. وقال: امراة اصابت وأخطأ عمر [٨].

١١ ـ وأمر برجم امرأة ولدت لستة اشهر. فذكّره علي (عليه السلام) بأقل مدة

---

١. راجع التعليقة ٤ في صفحة ٤٨ من هذا الجزء.

٢. مسند احمد بن حنبل ٢/٩٥.

٣. اِملاص المرأة: اِسقاط المرأة جنينها.

٤. الاِحكام في اصول الأحكام ٢/٢٤٢. صحيح مسلم ٣/١٣١١، كتاب القسامة، باب ١١.

٥. عمدة القاري ١٥/٣٩ (و٧/١٤٣ من طباعة اخرىٰ).

٦. سنن ابن ماجة ٢/٨٨٣.

٧. سورة النساء / ٢١.

٨. الاِحكام في اصول الأحكام ٢/٢٣٧، أعلام الموقعين ١/٣٥، كنز العمال ١٦/٥٣٧.

الحمل، فرجع عن أمره[١].

١٢ ـ وكان حكم اِذن الحائض في ان تنفِر قبل ان تطوف طواف الوادع عند ابن عباس وام سليم، جهله عمر[٢].

١٣ ـ قال ابن حزم: وكان حكم ميراث الجدّة عند معقل بن سنان، وجهله عمر.

اقول: ان معضلة فرض الجد علىٰ عمر قد بلغت مبلغ التواتر حتىٰ ان في «كنز العمال» روىٰ عن عمر قال: سألتُ النبي ـ ص ـ عن قسم الجدّ. فقال ـ ص ـ: «ما سؤالك عن ذلك يا عمر؟ اني أظنك تموت قبل ان تعلم ذلك». فمات عمر قبل ان يعلم ذلك[٣].

وفي «منتخب الكنز» ـ المطبوع في هامش المسند ـ عن الحسن: ان عمر نشد الناس ، فقال: مَنْ كان منكم عنده علم من رسول الله (ص) في الجدّ، فليقم. فقام معقل بن يسار، فقال: قضىٰ النبي ـ ص ـ الجد بالسدس. قال: مع مَنْ؟[٤] قال: لا ادري. قال: لا دريت[٥]. انتهىٰ

١٤ ـ وقال ابن القيم: خفي علىٰ عمر التسوية بين دية الاصابع، وكان يفاضل بينها حتىٰ بلغه السُّنة في التسوية، فرجع اليها.

أقول: قال ابن حزم في «المحلىٰ»: عن الشعبي قال: اشهدُ علىٰ مسروق وشريح انهما قالا: الأصابع سواء، عشر عشر من الابل. وقد رويناه عن ابن عباس وزيد بن ثابت[٦]. الى آخره.

وحكىٰ قبل ذلك عن سعيد بن مسيب: ان عمر بن الخطاب قضىٰ في الاِبهام والتي

---

١. الاِحكام في اصول الأحكام ٢/ ٢٣٧. وأيضاً: الدر المنثور ١/ ٢٨٨، ذخائر العقبىٰ / ٨٢.

٢. الاِحكام في اصول الأحكام ٢/ ٢٣٩.

٣. كنز العمال ١١/ ٥٨.

٤. اي: من كان معك حينما قضىٰ رسول الله بذلك؟

٥. منتخب كنز العمال ٤/ ٢٢٣. وكنز العمال ١١/ ٦٤. وقد روىٰ في الكنز ١١/ ٥٨ عن ابن ابي شيبة والبيهقي وابن سعد وعبدالرزاق ان عمر قضىٰ مائة قضية مختلفة في سهم الجد من الارث !!!

٦. المحلىٰ. ١٠/ ٤٣٧.

تليها نصف دية اليد، وفي الوسطىٰ عشرة أبعرة، وفي البنصر تسعة...[١]. انتهىٰ.

١٥ ـ قال: وخفي عليه أمر المجوس في الجِزْية، حتىٰ أخبره عبدالرحمن بن عوف ان النبي (ص) أخذها من مجوس هجر[٢].

١٦ ـ وخفي عليه أمر النبي (ص) بإجلاء اليهود والنصارىٰ عن جزيرة العرب الىٰ آخر خلافته. فلما بلغه ذلك امر بإجلائهم.

وخفي علىٰ ابي بكر ايضاً قبله في مدة خلافته[٣].

١٧ ـ وان عمر سأل أبا واقد الليثي عما كان يقرأ النبي (ص) في صلاتي الفطر والاضحىٰ؟ وقد صلاهما رسول الله أعواما.

١٨ ـ واراد عمر رجم امرأة مجنونة، حتى أُعلم بقول النبي (ص): «رُفع القلم عن ثلاث... [وعن المجنون حتىٰ يفيق]».

١٩ ـ وأمر برجم مولاة حاطِب، حتىٰ ذكَّره عثمان بأن الجاهل لا حدّ عليه.

٢٠ ـ وانكر علىٰ حسّان بن ثابت إنشاد الشعر في المسجد، فأخبره هو وأبو هريرة أنه قد أنشد فيه بحضرة النبي (ص).

٢١ ـ واراد قسمة مال الكعبة، حتىٰ قال له أُبي بن كعب ان النبي (ص) لم يفعل ذلك، فأمسك[٤].

---

١. المحلّىٰ ١٠/٤٣٧.

٢. الإحكام في اصول الأحكام ٢/١٣٩ ـ ٢٤٠.

٣. الإحكام في اصول الأحكام ٢/٢٣٩.

٤. سنن ابن ماجة ٢/١٠٤٠. والمذكور في بعض المصادر المعتمدة أن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ هو الذي منع عمر عن ذلك، فقد روي في «نهج البلاغة» انه ذُكر عند عمر بن الخطاب حِليُ الكعبة وكثرته. فقال قوم: لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين، كان اعظم للاجر.. فهمَّ عمر بذلك، وسأل عنه امير المؤمنين، فقال ـ عليه السلام ـ: «ان هذا القران أُنزل علىٰ النبي ـ صلىٰ الله عليه واله وسلم ـ والاموال

←

٢٢ ـ وخفي علىٰ عمر أمر الجد والكلالة وبعض أبواب الربا، فتمنىٰ أن النبي (ص) عهد اليه عهداً فيها.

واقول: ان مشكلة الكلالة علىٰ عمر متواترة، كفرض الجد وأبواب الربا، كما في «صحيح مسلم»[١]، و«مستدرك الحاكم»[٢]، و«كنز العمال» في الفرائض[٣]، وتفسير الفخر الرازي[٤]، وتفسير روح المعاني[٥] للآلوسي، و«المسند»[٦] لأحمد، وتفسير القرطبي[٧]، و«الدر المنثور» للسيوطي، عند قوله تعالىٰ: «يستفتونك، قل الله يفتيكم في الكلالة»[٨].

٢٣ ـ ثم اقول: ان مما اشكل علىٰ عمر صورة نقصان التركة عن الفريضة حتىٰ قال بادخال النقص علىٰ جميع الورثة قياساً علىٰ الدين (آخذاً ذلك من زيد بن ثابت)، معترفاً بأنه لا يدري مَنْ قدّمه الله منهم علىٰ من أخّره، كما في «الدر المنثور»[٩]، و«منتخب الكنز»[١٠]

←

اربعة: اموال المسلمين، فقسَّمها بين الورثة في الفرائض، والفَيء، فَقَسَّمه علىٰ مستحقيه، والخُمس، فوضعه الله حيث وضعه، والصدقات، فجعلها الله حيث جعلها. وكان حَلْيُ الكعبة فيها يومئذ، فتركه الله علىٰ حاله، ولم يتركه نسيانا، ولم يخفَ عليه مكاناً، فأقرّه حيث أقَرَّهُ الله ورسوله». فقال له عمر: لولاك لا فتضحنا. وترك الحلي بحاله. (نهج البلاغة ٤/٦٥. الكلمة ٢٧٢ من الكلمات القصار).

١. صحيح مسلم ٣/١٢٣٦، كتاب الفرائض، باب ٢.

٢. المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/٣٠٣.

٣. كنز العمال ١١/٧٨.

٤. لم اجده فيه في تفسير الآية.

٥. روح المعاني ٦/٣٩.

٦. مسند احمد بن حنبل ١/١٥، ٢٦، ٤٨.

٧. الجامع لأحكام القران ٥/٢٩.

٨. الدر المنثور ٢/٢٥٠ ـ ٢٥١.

٩. الدر المنثور ٢/١٢٧. وفيه قول عمر: «والله ما أدري كيف اصنع بكم! والله ما ادري أيكم قدم الله وأيكم أخّر».

١٠. منتخب كنز العمال ٤/٢٠٨. وكنز العمال ١١/٢٧ ـ ٢٨.

المطبوع في هامش «المسند».

٢٤ ـ ان من ذلك جعل عمر قول الزوج لزوجته: «انتِ طالق ثلاثاً» بمنزلة التطليقات الثلاث، والحال ان الطلاق كان في عهد النبي (صلىٰ الله عليه واله) وزمن ابي بكر وبعض زمان عمر الثلاثة واحدة[١]، كما في «صحيح مسلم»[٢]، و«سنن ابن داود»[٣]، ومسند أحمد بن حنبل»[٤].

٢٥ ـ ومن ذلك تجويزه نكاح النسوة اللاتي فارقهن النبي (صلىٰ الله عليه واله) من غير دخول، ـ كما في «الاستيعاب»[٥] لابن عبدالبر ـ علىٰ خلاف القران وعلىٰ خلاف سنة ابي بكر كما في جامع عبد الرزاق.

٢٦ ـ ومن ذلك جهل عمر حكم امرأة أصابت فاحشة عند الضرورة، فأمر برجمها. وردّه علي ـ عليه السلام ـ بقوله تعالىٰ: «فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ، فلا اثم عليه»[٦]. فرجع[٧].

٢٧ ـ وخفي عليه حتىٰ حَكَمَ برجم امرأة حامل. فنبهه علي ـ عليه السلام ـ بقوله: «اِن يكن لك عليها سبيل، فلا سبيل لك علىٰ ما في بطنها». كما في الكنز[٨]، و«الرياض النضرة»[٩]. وفي الأخير من قول عمر: «كل أحد أفقه مني» ثلاث مرات[١٠].

---

١. أي: ان الطلاق ثلاثاً بانشاء واحد (أنت طالق ثلاثاً) كان بمنزلة الطلاق مرة واحدة، لا ثلاث مرات.

٢. صحيح مسلم ٢/١٠٩٩، كتاب الطلاق، باب ٢.

٣. سنن ابي داود ٢/٢٦١، الحديث ٢١٩٩ ـ ٢٢٠٠.

٤. مسند أحمد بن حنبل ١/٣١٤. وايضاً في المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/١٩٦.

٥. الاستيعاب ٢/٧٧٧.

٦. سورة البقرة / ١٧٣.

٧. كنز العمال ٥/٤٥٦.

٨. كنز العمال ٥/٤٥٦.

٩. الرياض النضرة ٢/٢٥٩.

١٠. الرياض النضرة ٢/٢٥٩.

٢٨ ـ وجهل عمر قضاء النبي (صلىٰ الله عليه واله) في دية الجنين حتىٰ أعلمه المغيرة بن شعبة، كما في البخاري في باب دية الجنين[١]، وفي مسلم[٢].

٢٩ ـ وجهل أيضاً عدم جواز رجم المجنون والمجنونة، حتىٰ أعلمه علي ـ عليه السلام ـ بقوله لعمر: «أما علمتَ ان القلم مرفوع عن المجنون»؟ كما في البخاري باب «لا يرجم المجنون والمجنونة»[٣]، و«المسند» لاحمد[٤].

٣٠ ـ ومن ذلك تجويز عمر نكاح المستَأجَرة علىٰ الزنا[٥]. حكاه عنه ابن حزم في «المحلّىٰ»[٦].

أقول: ان هذا تفريطه في القضاء.

٣١ ـ وأمّا افراطه: حكمه برجم امرأة بعد التهديد والتخويف (كما في «ذخائر العقبى»[٧] و«الرياض النضرة»). فردّه علي ـ عليه السلام ـ قائلاً: أوما سمعت النبي ـ ص ـ يقول: لا حَدَّ علىٰ معترفٍ بعد بلاءٍ من قيد أو حبس أو تهديد.[٨]

٣٢ ـ ثم ان قدامة بن مضعون شرب الخمر في خلافة عمر، فقال له: ما حملك علىٰ

---

١. صحيح البخاري ٩/٤، كتاب الديات، باب جنين المرأة.

٢. صحيح مسلم ٣/١٣١١، كتاب القسامة و...، باب ١١.

٣. صحيح البخاري ٨/٢٠٤ ـ ٢٠٥، كتاب المحاربين، باب لا يُرجم المجنون والمجنونة.

وقد تعمد البخاري حذف الصدر، ظناً أن حذف والإسقاط والإخفاء يغيِّر الواقع.

٤. مسند احمد بن حنبل ١/١٥٨.

٥. اي: اعطاء الأُجرة للمرأة الاجنبية والزنا بها.

٦. المحلّىٰ ١١/٢٥٠.

٧. ذخائر العقبىٰ / ٨٠ ـ ٨١.

٨. الرياض النضرة ٢/٢٥٨ ـ ٢٥٩.

والذي فيها رواية الحديث هكذا: «لا حدَّ علىٰ مُعتَرفٍ بعد بلاء. انه مَنْ قُيِّدَ أو حُبس او تُهدد، فلا إقرار له».

هذا؟ فقرأ عليه «ليس علىٰ الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا»[١]. فلم يتمكن عمر من الجواب. فقال للاصحاب: اجيبوه. فسكتوا عنه فقال علي ـ عليه السلام ـ: ليس قدامة من اهل هذه الآية، وانها نزلت عذراً لمن شرب الخمر قبل ان تحرم. ثم سأل عمر عن حدّه. فقال له علي ـ عليه السلام ـ حدّه ثمانون. ذكره ابن تيمية في منهاجه[٢]، وعلي المتقي في «كنز العمال»[٣].

٣٣ ـ ومن حديث الكنز: ان عمر عسَّ[٤] بالليل، فرأىٰ رجلاً وامرأة علىٰ فاحشة، فسأل الاصحاب عن إِجراء الحد عليهما. فقالوا له: انت امام. وقال علي ـ عليه السلام ـ: «ليس لك ذلك [إذاً يقام عليك الحد][٥]. ان الله لم يأمن علىٰ هذا الأمر أقل من اربعة شهداء»[٦].

[من اعترافات عمر بالخطأ والجهل والعجز]

نقض حديث ان الله ضَرب بالحق علىٰ لسان عمر: في «الصواعق المحرقة» وغيرها ـ في فضل عمر ـ عن النبي (ص) قال: ان السكينة تنطق علىٰ لسان عمر، وان الله ضرب بالحق علىٰ لسان عمر[٧]، وان بين عيني عمر ملكاً يسدده ويوفقه.

قال العلامة المناوي في «فيض القدير شرح الجامع الصغير» ـ في حرف الألف بعده النون ـ: ان في سند الحديث خارجة بن عبدالله، ضعّفه احمد. وقال الهيثمي: فيه ابوبكر

---

١. سورة المائدة / ٩٣.
٢. منهاج السنة ٢/١٤٨.
٣. كنز العمال ٥/٤٨٢. والذي في مختلف مع المنقول عنه هنا، كما ان الذي فيه رواية الجواب عن ابن عباس، لا عن امير المؤمنين.
٤. عسَّ: طاف بالليل يكشف عن اهل الريبة.
٥. الزيادة من المصدر.
٦. كنز العمال ٥/٤٥٧. والمنقول بالمضمون.
٧. الصواعق المحرقة / ٥٨.

ابي مريم وقد اختلط. وقال الهيثمي: فيه ضعفاء: سليمان الشاذكوني وغيره. انتهىٰ.

ثم انه يَنقض الحديثَ اعترافُ عمر بالخطأ كثيراً:

١ / في قوله: «ألهاني ـ أو شغلني ـ عن هذا الصفق في الاسواق». كما في البخاري في باب الحجة علىٰ من قال ان احكام النبي (ص) كانت ظاهرة[١]، وفي مسلم[٢].

٢ / وقوله: «لولا معاذ لهلك عمر».

٣ / وقوله: «لولا علي لهلك عمر»: في قضايا عديدة[٣].

٤ / قال الخطيب الخوارزمي في «المناقب»: ان عمر قال: عجزت النساء ان تلدن مثل علي بن أبي طالب، لولا علي لهلك عمر»[٤].

٥ / وقوله: «كل اناس افقه من عمر»[٥].

٦ / وقوله لحذيفة: «بالله انا من المنافقين».

٧ / وقوله: «أقضانا علي، وأقرؤنا أُبي بن كعب[٦]، وأفرضنا زيد بن ثابت» واخرج نفسه عن جميع ما وصف به غيره.

٨ / وقوله ـ في قوله تعالىٰ: «فاكهة وأبّا»[٧] ما عليك يا عمر أن لا تدري ما الاب[٨].

---

١. صحيح البخاري ٩/١٣٣، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب مَنْ قال ان احكام النبي...

٢. صحيح مسلم، ٣/١٦٩٦، كتاب الأدب، باب ٧.

٣. الاستيعاب ٢/٤٧٤، ذخائر العقبىٰ / ٨٢، كفاية الطالب /١٩٢، مناقب علي بن أبي طالب ـللخوارزمي ـ /٣٩، الفصول المهمة /١٨، الرياض النضرة ٢/٢٥٦. فيض القدير ٤/٣٥٧.

٤. مناقب علي بن ابي طالب / ٣٩.

٥. سنن البيهقي ٧/٢٣٣، الدر المنثور ٢/١٣٣، الكشاف ٣/٥٧٣، كنز العمال ١٦/٥٣٧ ـ ٥٣٨.

٦. صحيح البخاري ٦/٢٣، كتاب التفسير، باب ٥.

٧. سورة عبس / ٣١.

٨. الدر المنثور ٦/٣١٧، الكشاف ٤/٧٠٥، المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/٥١٤.

٩ / وقوله ـ في الكلالة ـ: «ما اراني اعلمها ابدا»[١].

١٠ / وقوله: «اللهم مَنْ بينت له الكلالة، فلم تتبين لي»[٢].

١١ / وقول النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في فرض الجد: «يا عمر أظنك تموت قبل ان تعلم ذلك». قال الراوي ـ وهو ابن المسيب ـ: فمات عمر قبل ان يعلم ذلك[٣].

١٢ / وقولهم: ان عمر حكم في الجد بمائة قضية مختلفة متناقضة. كنز العمال[٤].

١٣ / وقوله «عجزت النساء ان يلدن مثل علي بن ابي طالب»[٥].

١٤ / وقوله: «اعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو الحسن». تاريخ الخلفاء[٦].

١٥ / وقوله لعلي ـ عليه السلام ـ «لولاك لافتضحنا»[٧].

١٦ / وقوله: «لا بقيتُ لمعضلة لا علي لها». الفصول المهمة لابن صبّاغ المالكي[٨].

١٧ / وقوله: «اللهم لا تُنزلنَّ بي شدة[٩] إلّا وابو الحسن الىٰ جنبي» الرياض النضرة[١٠].

١٨ / وقوله: «لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن ابي طالب»[١١].

١٩ / وقوله: «لا يفتينَّ أحد في المسجد وعليٌّ حاضر».

---

١. الدر المنثور ٢/٢٥١، كنز العمال ١١/٧٨ ـ ٧٩.

٢. الدر المنثور ٢/٢٥٢.

٣. كنز العمال ١١/٥٨.

٤. كنز العمال ١١/٥٨.

٥. مناقب علي بن ابي طالب ـ للخوارزمي / ٣٩.

٦. تاريخ الخلفاء / ١٧١. وروىٰ أيضاً في تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الامام علي ٣/٥١.

٧. نهج البلاغة ٤/٦٥ (الكلمة ٢٧٢ من الكلمات القصار).

٨. الفصول المهمة / ١٨.

٩. في المصدر «شديدة».

١٠. الرياض النضرة ٢/٢٥٧. ورواه ايضاً ذخائر العقبىٰ / ٨٢.

١١. الفصول المهمة / ١٨، مناقب علي بن أبي طالب ـ للخوارزمي ـ / ٥١.

٢٠ / وقوله: «أعوذ بالله ان أعيش في قوم[١] لست فيهم يا ابا الحسن!». الاِستيعاب في ترجمة علي ـ عليه السلام ـ[٢]، والرياض النضرة[٣].

٢١ / وقوله لعلي ـ عليه السلام ـ: «ما زلتَ كاشف كل شبهةٍ وموضِّح كل حكم».

٢٢ / وقوله: «كم من كُربة كشفها أبو الحسن».

٢٣ / وقوله: «لا أبقاني لشدة لستَ لها، ولا في بلد لستَ فيه». السيرة الحلبية، والرياض النضرة[٤]. وقد رواها ايضاً ابن الأثير في «أُسْد الغابة» في الترجمة[٥]، وعلي المتقي في كنز العمال[٦]، والعلامة السيوطي في جمع الجوامع. في ترجمة علي ـ عليه السلام ـ[٧].

٢٤ / وقوله: «لقد كان ابو بكر اطيب من ريح المسك، وأنا أضلُّ من بعير أهلي». منتخب الكنز المطبوع بهامش المسند[٨].

٢٥ / وقوله ـ في مسألة النهي عن المغالات في المهر وجواب المرأة له ـ: «اِمرأةٌ خاصمت عمر فخصمته»[٩].

٢٦ / وقوله «اِمرأةٌ أصابت، ورجلٌ أخطأ»[١٠].

٢٧ / وقوله: «ألا تعجبون من اِمامٍ أخطأ، ومن اِمرأة أصابت، فأضلَّت اِمامكم، فضلته»؟[١١]

---

١. في «ذخائر العقبىٰ» / ٨٢: أعوذ بالله ان اعيش في يومٍ...».

٢. الاِستيعاب ٢/٤٧٤.

٣. الرياض النضرة ٢/٢٦١. وقريب منه في تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الامام علي ٣/٥٣.

٤. الرياض النضرة ٢/٢٦١. والذي فيه: «لا أبقاني الله بعدك يا علي».

٥. أُسْد الغابة ٤/٢٢.

٦. كنز العمال ٥/٨٣٢.

٧. المصدر مخطوط.

٨. منتخب كنز العمال ٤/٣٥٠.

٩. الدر المنثور ٢/١٣٣، كنز العمال ١٦/٥٣٨.

١٠. الدر المنثور ٢/١٣٣، كنز العمال ١٦/٥٣٨.

١١. شرح نهج البلاغة ١/٦١، الدر المنثور ٦/١٣٣.

٢٨ / وقوله: «تستمعون هذا ولا تنكرونه حتىٰ ترد علي امرأة»؟[١]

٢٩ / وقوله «كل أحد أفقه مني» و«أعلم مني» أو «أعلم من عمر» أو «اعلم منك يا عمر! حتىٰ النساء». الاستيعاب[٢]، الكنز[٣]، و«العقد» في باب من احل النبيذ.

٣٠ / وقوله: «كل الناس أعلم من عمر حتىٰ العجائز» أو «حتى المخدرات»[٤] على اختلاف الروايات.

٣١ / وقوله لعلي: «والله أرادك الحق، ولكن أبىٰ قومك».

٣٢ / وقوله لابن عباس: «اما والله يا بني عبدالمطلب! لقد كان علي فيكم اولىٰ بهذا الأمر مني ومن أبي بكر». محاضرات الراغب.

٣٣ / وقوله: «ما اكتسب مكتسب مثل فضل علي، يهدي صاحبه الىٰ الهدىٰ ويرده عن الردىٰ» ذخائر العقبىٰ [اخرجه] الطبراني عن عمر[٥].

٣٤ / وقوله للسائل منه: «ما اجد لك الا ما قاله علي»[٦].

الىٰ غير ذلك مما هو صريح في اعترافه بالجهل والخطأ. وما تركنا ذكره اكثر مما بيناه، وسيأتي تتميم ذلك في محله إن شاء الله تعالىٰ.

ومع هذا الذي قلنا، اين الحق الذي كان يجري علىٰ لسان عمر وقلبه؟ واين المَلَك الموكّل بتسديده فتركه في موارد خلافه؟ ومن اين يروي ابن حجر في صواعقه عن ابن مسعود

---

١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/٤٩١.

٢. الاستيعاب ٢/٤٧٤.

٣. كنز العمال ١٦/٥٣٧.

٤. شرح نهج البلاغة ١/٦١.

٥. ذخائر العقبىٰ / ٦١. ولا يخفىٰ أن الحديث رواه عمر عن رسول الله، وليس هو قول عمر نفسه.

٦. الرياض النضرة ٢/١٩٥.

قوله: لو أن علم عمر يوضع في كفة ميزان، ووضع علم أحياء الارض في كفّه، لرجح علم عمر بعلمهم[١]؟ ومن اين يقول ابن مسعود لو لم ينته الىٰ النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ؟ وانه اختلاق في قبال ما ورد في علي ـعليه السلام ـ.

[الامام علي هو الأعلم بعد رسول الله]

علي ـعليه السلام ـ اعلم من الجميع بعد رسول الله (صلىٰ الله عليه واله)، وذلك لقوله تعالىٰ: «قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب»[٢].

فعن الثعلبي ـ في التفسير ـ ان الذي عنده علم الكتاب هو علي بن ابي طالب[٣]. ونحوه الحديث عن ابي نعيم الحافظ في «حلية الاولياء»، وابن المغازلي في المناقب[٤]، والنسائي في الخصائص[٥]، والشيخ سليمان الحنفي في الباب الثلاثين من «ينابيع المودة»[٦].

واخرج العاصمي في «زين الفتىٰ [بـ] شرح سورة هل اتىٰ» عن علي ـعليه السلام ـ: إن اصف بن برخيا كان عنده علم واحد من الكتاب، فقدر علىٰ عرش بلقيس من مسيرة شهر في طرفة عين. وانا علي بن ابي طالب كل علم الكتاب عندي.

قال العاصمي: ان يحىٰ بن زكريا ـ عليهما السلام ـ او تي علم التوارة وهو صبي صغير، لقوله تعالى: «يا يحيىٰ خذ الكتاب بقوة»[٧]. وكذلك المرتضىٰ ـعليه السلام ـ

---

١. الصواعق المحرقة / ٥٩.

٢. سورة الرعد / ٤٣.

٣. المصدر مخطوط، روىٰ عنه في ينابيع المودة / ١٠٢.

٤. مناقب علي بن ابي طالب / ٣١٣ ـ ٣١٤.

٥. خصائص علي بن ابي طالب /.

٦. ينابيع المودة / ١٠٢ ـ ١٠٤.

وقد روي أيضاً في كلٍ من: شواهد التنزيل ١/٣٠٧ ـ ٣١٠، والجامع لا حكام القران ٩/٣٣٦.

٧. سورة مريم / ١٢.

اوتي علم القران وهو صبي صغير [١].

قالت الجماعة: ان الاية نزلت في عبدالله بن سلام.

قلنا: ذلك من نصب الناصبين، اذ رضوا أن يكون ابن سلام قريناً لله في الآية ولم يرضوا لعلي ـ عليه السلام ـ هذا الفضل، ومع ان قولهم مردود بما رواه السيوطي في كتابه «الاتقان» وكذلك في «الدر المنثور» عن سعيد بن جبير انه سئل عن قوله تعالىٰ: «ومَنْ عنده علم الكتاب» أهو عبدالله بن سلام؟ قال: كيف وهذه السورة ـ اعني سورة الرعد ـ مكية [٢]؟ انتهىٰ.

ودعوىٰ الفخر الرازي ـ في التفسير ـ بأن كون السورة مكية لا ينافي كون الآية مدنية [٣]، مدفوعة بانها مستلزمة لخلاف نظم القران بجعل آية مدنية في سورة مكية.

ثم اِن فيما اخرجه ابن مردويه عن رجاله عن ابن عباس قوله: ان قوله تعالىٰ: «أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق» [٤] هو علي بن ابي طالب [٥].

وعن ابن مردويه أيضاً: انه نزل في علي خاصة قوله تعالىٰ ـ في سورة الفاطر ـ: «ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» [٦].[٧]

قال الفضل بن روزبهان ـ وهو من اعاظم علماء الجماعة ـ في كتاب ابطال الحق (عند احتجاج العلامة الحلي ـ قدس سره ـ بالاية علىٰ أفضلية علي عليه السلام): ان علياً من جملة ورثة الكتاب، لانه عالم بحقائق الكتاب، وهذا يدل علىٰ علمه ووفور توغله في معرفة الكتاب [٨].

---

١. المصدر مخطوط.

٢. الاِتقان ١/٣٦، الدر المنثور ٤/٦٩ واللفظ له. ومقصود سعيد بن جبير ان عبدالله بن سلام اسلم في المدينة بعد الهجرة، والآية نزلت في مكة قبل الهجرة، فلا يمكن ان يكون هو المراد بمَن عنده علم الكتاب.

٣. التفسير الكبير ١٩/٦٩. والدعوىٰ المذكورة ليست من الرازي، بل نقلها بعنوان «قيل».

٤. سورة الرعد / ١٩.

٥. المصدر مخطوط.

٦. سورة فاطر / ٣٢.

٧. المصدر مخطوط، رواه عنه في ينابيع المودة / ١٠٤. وليس فيه انه نزل في الامام علي خاصة.

٨. اِبطال نهج الباطل ٣/٣٦٧.

قوله: «ان علياً عالم بحقائق الكتاب» نقض علىٰ من لم يقف علىٰ تلك الحقائق، بل ولم يطلع معاني ظواهر ألفاظه ممن تقدم علىٰ علي ـ عليه السلام ـ علىٰ ما سيأتيك البيان في ذلك.

وفي «كنز العمال» عن النبي ـ ص ـ قال: «اعلم أُمتي بعدي علي بن أبي طالب»[1].

قوله تعالىٰ: «وتعيها أُذُنٌ واعية»[2]: فمن حديث ابي نعيم في الحلية عن بريدة قال: سمعتُ النبي ـ ص ـ يقول لعلي (عليه السلام): «أمرني ربي ان اُدنيك ولا اُقصيك، واعلمك لتعي، وحق علىٰ الله ان تعي». فنزلت: «وتعيها أُذُن واعية»[3].

ومن حديث علي المتقي الهندي في منتخب الكنز ـ المطبوع في هامش المسند لاحمد ـ عن علي (عليه السلام) في قوله تعالىٰ: «وتعيها أُذُن واعية» قال: قال لي رسول الله ـ ص ـ: «سألتُ الله ان يجعلها أُذُنك يا علي!». فما سمعتُ من النبي شيئاً اِلّا حفظته»[4]. [اخرجه] سعيد بن منصور في سننه وابن مردويه وابو نعيم في المعرفة[5].

وفي «الدر المنثور» للسيوطي: اخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والواحدي وابن عساكر عن بريدة قال: قال رسول الله ـ ص ـ لعلي (عليه السلام): «ان الله أمرني ان اُدنيك ولا اُقصيك، وان اعلّمك، وأن تعي، وحق عليك ان تعي». فنزلت الآية «وتعيها أُذُن واعية»[6].

والحديث اخرجه الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب»[7] واخطب خوارزم

---

١. كنز العمال ١١/٦١٤.

٢. سورة الحاقة /١٢.

٣. حلية الاولياء ١/٦٧. والذي فيه رواية ذلك عن عمر بن علي بهذه الصورة: «يا علي! ان الله أمرني ان ادنيك واعلمك لتعي، وانزلت هذه الآية «وتعيها أُذُن واعية»، فانت أُذُن واعية لعلمي».

٤. في المصدر «شيئاً فنسيته».

٥. منتخب كنز العمال ٥/٤٨.

٦. الدر المنثور ٦/٢٦٠.

٧. كفاية الطالب / ١١٠.

في المناقب[1] عن ميمون بن مهران عن ابن عباس عن رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، وعن زر بن حبيش عن علي بن ابي طالب: «ضمني رسول الله ـ ص ـ وقال لي: ان الله امرني ان اُدنيك ولا اُقصيك، وأن تسمع وتعي، وحقاً علىٰ الله ان تسمع وتعي، فنزلت الآية».

قوله تعالىٰ: «أم يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله»[2]. هذه الآية في سورة النساء.

قال ابن حجر في «الصواعق» ـ بعد ان جعلها سادس الآيات في فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ـ: اخرج ابو الحسن المغازلي عن الباقر (عليه السلام) انه قال في هذه الآية: نحن «الناس» والله[3]. انتهىٰ.

وذكر ابن ابي الحديد المعتزلي في «شرح نهج البلاغة» انه جاء في تفسير قوله تعالىٰ: «ام يحسدون الناس علىٰ ما اتاهم الله من فضله» انها نزلت في علي ـ عليه السلام ـ. قال: وروىٰ المحدثون انه قال رسول الله (صلىٰ الله عليه واله) لفاطمة ـ عليها السلام ـ: «زوجتكِ أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأعلمهم علماً»[4].

ومن كلام علي ـ عليه السلام ـ (علىٰ ما في نهج البلاغة): «نحن شجرة النبوة، ومَحَطُّ الرسالة، ومُختَلَفُ الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم»[5].

ومن كلامه ـ عليه السلام ـ: «ايها الناس! ان الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وذريته، فلا تذهبنَّ بكم الاباطيل». في «الصواعق المحرقة» لابن حجر: اخرج ابو الشيخ في جملة حديث طويل «ايها الناس! ان الفضل

١. مناقب علي بن ابي طالب / ١٩٩، واللفظ له.

٢. سورة النساء / ٥٤.

٣. الصواعق المحرقة / ٩١. وقد رواه ابو الحسن المغازلي في مناقب علي بن ابي طالب / ٢٦٧.

٤. شرح نهج البلاغة ٢/٤٥١.

٥. نهج البلاغة ١/٢١٥، والخطبة ١٠٣.

والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله وذريته، فلا تذهبنّ بكم الاباطيل»[١].

وفي «تذكرة الخواص» لابن الجوزي من خطبة بليغة ـ ذكرها في الباس السادس الذي عقده للمختار من كلام امير المؤمنين (عليه السلام) ـ قال: «نحن انوار السماوات والارض، وسفن النجاة، وفينا مكنون العلم[٢] والينا مصير الامور...» الى اخرها.

ومن حديث «كنز العمال» من كلام علي ـ عليه السلام ـ: «اني واطائب أرُومتي[٣] وابرار عترتي أحلم الناس صغاراً، واعلم الناس كبارا، بنا ينفي الكذب..»[٤] الىٰ اخره.

ومن خطبته ـ عليه السلام ـ: «هم ـ يعني ال محمد ـ موضع سّره، ولجَأ أمره، وعيبة علمه، ومَوْئل حكمه، وكهوف كُتُبه، وجبال دينه، وبهم أقام اِنحناء ظهره». وقال ـ عليه السلام ـ: «هم اساس الدين، وعماد اليقين، اليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية...»[٥] الى آخرها.

ومن خطبته ـ عليه السلام ـ: «اين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا»؟ قال ـ عليه السلام ـ: «بنا يُستعطىٰ الهدىٰ، وبنا يُستجلىٰ العمىٰ...»[٦] الى اخره.

ومن خطبته في آل محمد ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «هم عيش العلم، وموت الجهل، يخبركم حلُمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حِكم منطقهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، هم دعائم الاِسلام، وولائج الاِعتصام، بهم عاد الحق في نصابه،

---

١. الصواعق المحرقة / ١٠٥.

٢. تذكرة خواص الامة / ١٣٠.

٣. أطائب أرومتي: كرماء الاصل.

٤. كنزل العمال ١٣/ ١٣٠.

٥. نهج البلاغة ١/ ٢٩ ـ ٣٠، الخطبة ٢.

٦. نهج البلاغة ٢/ ٢٧، الخطبة ١٣٧.

وانزاح الباطل عن مقامه...، عقلوا الدين وعاية ورعاية[١]، لا عقل سماع ورواية، وان رواة العلم كثير، ورعاته قليل»[٢].

ومن خطبته ـ عليه السلام ـ: «نحن الشِّعار[٣] والاصحاب والخَزَنة والأبواب، ولا تؤتىٰ البيوت إلّا من ابوابها، فمن أتاها من غير أبوابها، سُمّي سارقا. وفيهم ـ يعني ال محمد (صلىٰ الله عليه واله وسلم) ـ كرائم الايمان[٤]، وهم كنوز الرحمان، ان نطقوا صدقوا...»[٥] الى اخرها.

الى غير ذلك من عبائره الصريحة في غزارة علمه بعد النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، لم يسبقه اليه سابق، ولا يلحقه لاحق.

وقوله ـ عليه السلام ـ: «والخَزَنة والأبواب» اشارة الىٰ ما صدر من النبي (صلىٰ الله عليه واله) فيه ـ عليه السلام ـ من النص علىٰ أعلميته وانحصار علم النبي (صلىٰ الله عليه واله) فيه وفي ذريته ـ عليهم السلام ـ علىٰ ما سيأتي مزيد البيان فيه.

صراحة السُّنة في ان علياً ـ عليه السلام ـ أعلم الأُمة:

١ / فمن الحديث المتواتر «انا مدينة العلم وعلي بابها، فمن اراد المدينة فليأت الباب»[٦].

٢ / ومن حديث الحلية: «انا دار الحكمة وعلي بابها»[٧].

---

١. وعاية ورعاية: الفهم والعمل طبقه.

٢. نهج البلاغة ٢/٢٣٢، الخطبة ٢٣١.

٣. الشِّعار: الثوب الذي يلي البدن ويلتصق به. ولعل المراد: انهم الاقرب من كل واحد غيرهم.

٤. في المصدر: «كرائم القران».

٥. نهج البلاغة ٢/٤٣ ـ ٤٤ الخطبة ١٤٧.

٦. قد تقدم ذكر بعض مصادر الحديث في الصفحة ٥٠ من هذا الجزء، وسيأتي ذكر مصادر اخرىٰ له بعد صفحة

٧. حلية الاولياء ١/٦٤.

٣ / وفي «ذخائر العقبىٰ»: «انا دار العلم وعلي بابها». اخرجه البغوي من «المصابيح» في الحسان، وخرّجه ابو عمر[١]. انتهىٰ

٤ / ومن حديث ابن المغازلي والخطيب الخوارزمي ـ في المناقب ـ عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلىٰ الله عليه واله): «ما عُلِّمتُ شيئاً ليلة المعراج اِلّا علَّمته عليا، فهو باب مدينة علمي»[٢].

٥ / ومن حديث الكنز عن ابي ذر الغفاري ـ رضوان الله عليه ـ عن النبي (ص) قال: «علي باب علمي، ومُبيّنٌ لأُمتي ما ارسلتُ به من بعدي»[٣].

ونحوه الحديث عن ابن عباس عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في مسند الفردوس للديلمي[٤]. وعن ابي الدرداء عن النبي (صلىٰ الله عليه واله) في كتاب «مودة القربىٰ»[٥].

٦ / قال ابن حجر المكي في «المنح المكية»: تنبيه ! مما يدل علىٰ ان الله سبحانه اختص علياً من العلوم بما تقصر عنه العبارات قول النبي ـ ص ـ: «أقضاكم علي». وهو حديث صحيح لا نزاع فيه. وقوله ـ ص ـ: «انا دار الحكمة ـ وفي رواية: انا مدينة العلم ـ وعلي بابها». انتهىٰ.

قلت: ان حديث: «انا مدينة العلم وعلي بابها» كثير الطرق. رواه: الترمذي في صحيحة[٦]، والحاكم في «المستدرك»[٧]، والسيوطي في «الجامع الصغير»[٨]، وابن عبدالبر

١. ذخائر العقبىٰ / ٧٧.

٢. لم اجده في المصدرين.

٣. كنز العمال ١١/٦١٤.

٤. المصدر مخطوط.

٥. المصدر مخطوط.

٦. سنن الترمذي ٥/٦٣٧. والذي فيه: «أنا دار الحكمة وعلي بابها».

٧. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٢٦ ـ ١٢٧.

٨. الجامع الصغير ١/١٠٨.

في «الاِستيعاب»[١]، والمحب الطبري في «الرياض النضرة»[٢]، والمناوي في «فيض القدير»[٣]، والذهبي في التلخيص [٤]، والديلمي في مسند الفردوس ـ في حرف الألف بعد النون ـ [٥]، وابن حجر في «الصواعق»[٦]، ومحمد الكنجي في «كفاية الطالب»[٧]، وعلي المتقي في «منتخب كنز العمال»[٨] ـ المطبوع في هامش «المسند» لأحمد ـ.

٧ ـ ومن حديث ابي نعيم في «حلية الاولياء»: قال رسول الله (ص): «قُسّمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء، والناس جزءاً واحدا»[٩].

٨ ـ وفي الحلية أيضاً عن ابي صالح الحنفي عن علي قال: قال لي رسول الله (ص): «ليهنك العلم ـ يا ابا الحسن! ـ فقد شربتَ العلم شربا، ونهلته نهلا»[١٠].

٩ ـ ومن حديث «الرياض النضرة» و«ذخائر العقبىٰ» عن ابي الحمراء قال: قال رسول الله (ص): «مَنْ اراد ان ينظر الىٰ ادم في علمه، والىٰ نوح في فهمه، والىٰ ابراهيم

---

١. الاِستيعاب ١/٤٧٤.

٢. الرياض النضرة ٢/٢٥٥.

٣. فيض القدير ٣/٤٦.

٤. تلخيص المستدرك ٣/١٢٦.

٥. المصدر مخطوط.

٦. الصواعق المحرقة / ٧٣.

٧. كفاية الطالب / ٢٢٠ ـ ٢٢٢.

٨. منتخب كنز العمال ٥/٣٠. وأيضاً روي في كنز العمال ١١/٦٠٠، ٦١٤، ١٣/١٤٨.
وايضاً: فرائد السمطين ١/٥٨، تذكرة الخواص /٤٧ ـ ٤٨، أُسْد الغابة ٤/٢٢. وقد روي الحديث بأسناد كثيرة جداً، راجع: كتاب «فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي»، و«عَبَقات الانوار» الجزء الخامس، والغدير في الكتاب والسنة ٦/٦١ ـ ٧٩.

٩. حلية الاولياء ١/٦٥.

١٠. حلية الاولياء ١/٦٥.

في حلمه، والىٰ يحيىٰ [بن زكريا][١] في زهده، والىٰ موسىٰ في بطشه، فلينظر الىٰ علي بن أبي طالب». اخرجه ابو الخير الحاكمي[٢].

أقول: واخرجه الفخر الرازي في تفسيره ـ في ذيل تفسير آية المباهلة ـ[٣]، وياقوت الحموي في«معجم الأدباء»[٤]، والكنجي الشافعي في «كفاية الطالب»[٥]، والخطيب الخوارزمي في المناقب[٦]، وابن الصباغ المالكي في «الفصول المهمة»[٧]، وابن ابي الحديد المعتزلي في شرح النهج[٨].

١٠ ـ وفي «الرياض النضرة»: قال عبدالله بن احمد بن حنبل: وجدتُ بخط ابي انه قال النبي (ص) لفاطمة ـ عليها السلام) ـ: «أما ترضين ان ازوّجكِ[٩] أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، واعظمهم حلماً»؟ اخرجه أحمد[١٠].

علي ـ عليه السلام ـ واختصاصه بعلم القران:

أ / الحاكم في «المستدرك» عن ام سلمة قالت: سمعت رسول الله ـ ص ـ يقول:

---

١. الزيادة من «ذخائر العقبىٰ».

٢. الرياض النضرة ٢/٢٩٠، ذخائر العقبىٰ / ٩٣ ـ ٩٤.

٣. التفسير الكبير ٨/٨٦، مع اختلاف في بعض الجمل.

٤. معجم الادباء ١٧/٢٠٠، مع اختلاف في بعض الجمل.

٥. كفاية الطالب ١٢١ ـ ١٢٢. والذي فيه !: «من أراد منكم أن ينظر الىٰ ادم في علمه، والىٰ نوح في حكمته، والىٰ ادم في حلمه، فلينظر الىٰ...»

٦. مناقب علي بن ابي طالب / ٤٠ ـ ٤١. وليس فيه «والىٰ ابراهيم في حلمه».

٧. الفصول المهمة /١٢٣. والذي فيه «... والىٰ نوح في تقواه، والىٰ ابراهيم في حلمه، والىٰ موسىٰ في هيبته، والى عيسىٰ في عبادته...».

٨. شرح نهج البلاغة ٢/٤٤٩. والذي فيه: «من اراد ان ينظر الىٰ نوح في عزمه، والىٰ آدم في علمه، والىٰ ابراهيم في حلمه، والىٰ موسىٰ في فطنته، والىٰ عيسىٰ في زهده، فلينظر...».

٩. في المصدر. «اني زوجتك».

١٠. الرياض النضرة ٢/٢٥٥.

«علي مع القران، والقران مع علي، لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض». هذا الحديث صحيح ولم يخرّجاه[١].

ب / وفي كتاب «الاكتفاء» لابراهيم بن عبدالله اليمني الشافعي: من كلام علي ـ عليه السلام ـ قال: «الحمد لله الذي أنعم عليَّ بالإسلام، وعلمني القران، وحببني الىٰ خير البرية خاتم النبيين وسيد المرسلين، إحساناً وتفضلا». اخرجه ابن اسبوع الاندلسي في كتاب «الشفاء»[٢].

جـ / وفي منتخب كنز العمال» ـ المطبوع في هامش «المسند» لاحمد: قيل لعلي بن ابي طالب: مالَكَ اكثر اصحاب رسول الله حديثاً؟ فقال ـ عليه السلام ـ: «اني كنت اذا سألته أنبأني، وإذا سكتُّ ابتدأني». [اخرجه] ابن سعد[٣].

د / وفي المنتخب هذا أيضاً ـ المطبوع بهامش المسند ـ انه قام علي بن ابي طالب (عليه السلام) فقال: «ألا أحد يسألني عن القران؟ فوالله لو أعلم احداً اعلم به مني، لأتيته، وان كان من وراء البحر».

هـ / وفيه ـ في هامش المسند ـ عن علي (عليه السلام) قال: «والله ما انزلت آية إلّا وقد علمت فيما نزلت، واين نزلت، وعلىٰ مَنْ نزلت. ان ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً سؤولا»[٤].

وذكر ابن أبي‌الحديد المعتزلي ـ في شرح النهج ـ انه روىٰ المدائني قال: خطب علي ـ عليه السلام ـ فقال: «لو كُسرت لي الوسادة[٥]، لحكمتُ بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين

---

١. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ١٢٤.

٢. المصدر مخطوط.

٣. منتخب كنز العمال ٥/ ٤٦، كنز العمال ١٣/ ٢٨.

٤. منختب كنز العمال ٥/ ٤٨، كنز العمال ١٣/ ٢٨. والذي فيه «ولساناً طلقاً سؤولا».

٥. كُسرت لي الوسادة: تهيأت لي الامور.

اهل الانجيل بانجيلهم، وبين اهل الفرقان بفرقانهم. وما من آية في كتاب الله انزلت في سهل أو جبل اِلّا وانا اعلم متىٰ انزلت». انتهى.

ز / واخرج العجلي في «ذخيرة المآل» من كلام علي ـ عليه السلام ـ: «كم من علوم ههنا لو وجدتُ لها حاملا»[١].

حـ / وفي «تذكرة خواص الامة» لسبط ابن الجوزي انه ذكر الثعلبي باسناده الىٰ علي ـ عليه السلام ـ من حديث قال: «سمعت علياً يقول: والذي فَلَق الحبّة وبرأ النسمة لو ثُنيت لي الوسادة لحكمتُ بين اهل التوراة بتوراتهم، وبين اهل الانجيل بانجيلهم، وبين اهل الفرقان بفرقانهم. والذي نفسي بيده ما من رجل جرتْ عليه المواسي[٢] اِلّا وانا اعرف [له][٣] آية تسوقه الىٰ الجنة او تقوده الىٰ النار».

فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! فما [آيتك][٤] التي أُنزلت فيك؟

قال: «أفمن كان علىٰ بينة من ربه ويتلوه شاهد منه»[٥]، فرسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ علىٰ بينة، وانا الشاهد منه[٦].

ط / وفي «حلية الاولياء» لأبي نعيم عن ابن مسعود قال: «ان القران أُنزل علىٰ سبعة أحرف، ما منها حرف اِلّا له ظهر وبطن، وان علي بن ابي طالب عنده علم الظاهر والباطن»[٧].

---

١. المصدر مخطوط.

٢. جرت عليه المواسي: صار بالغاً.

٣. الزيادة من المصدر.

٤. الزيادة من المصدر.

٥. سورة هود / ١٧.

٦. تذكرة خواص الامة / ٢٠.

٧. حلية الاولياء ١/٦٥.

ي / المناقب لأخطب خوارزم عن ابن مسعود قال: «قرأتُ علىٰ رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ سبعين سورة، وختمت القران علىٰ خير الناس علي بن أبي طالب»[١].

قلت: فأين هذا الشخص الكامل علماً بعمر بن الخطاب الذي يجهل معاني الفاظ القران؟ فلا يعرف معنىٰ «الأبّ» في قوله تعالىٰ «وفاكهة وأبّا»[٢] بعد وضوح معناه لغة، وانه ما ترعاه الغنم والمواشي. ولم يعرف معنىٰ «التخوّف» في سورة النمل عند قوله تعالىٰ: «أو يأخذهم علىٰ تخوّف» راجع تفسير الفخر[٣].

ولم يعرف معنىٰ قوله تعالىٰ: «فسبحان الله حين تمسون»[٤] حتىٰ فسّره له علي ـ عليه السلام ـ كما في «الدر المنثور»[٥]. ولم يعرف معنىٰ قوله تعالىٰ «حم عسق» حتىٰ أجابه ابن عباس، كما في «الدر المنثور»[٦] ومنتخب الكنز[٧] ـ المطبوع بهامش المسند ـ.

هذا مضافاً الىٰ ان التفسير لفواتح السور من الحروف وارد عن مثل علي ـ عليه السلام ـ وابن عباس وابن مسعود وأُبي بن كعب، دون ابي بكر وعمر، فضلاً عن عثمان فانه صفر صرف.

علىٰ ان الوارد في حق عمر انه تعلَّمَ سورة البقرة اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزورا». الدر المنثور ـ للسيوطي ـ عند تفسير سورة البقرة[٨]. وفي كتابه «تنوير الحوالك»

---

١. مناقب علي بن ابي طالب / ٤٨.
٢. المستدرك علىٰ الصحيحين ٢ / ٥١٤، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/٧٠٤ ـ ٧٠٥.
٣. التفسير الكبير ٢٠/٣٩.
٤. سورة الروم / ١٧.
٥. الدر المنثور ٥/١٥٤.
٦. الدر المنثور ٦/٢.
٧. منتخب كنز العمال ٢/١٢ ـ ١٣.
٨. الدر المنثور ١/٢١.

عن مالك عن ابن عمر[١]، وابن ابي الحديد المعتزلي في شرح النهج[٢].

اختصاص امير المؤمنين بقوله: «سلوني قبل ان تفقدوني»

الاول: في «الاصابة» ـ لابن حجر العسقلاني ـ من كلام علي (عليه السلام): «سلوني، سلوني عن كتاب الله...»[٣].

الثاني: وفي «الاستيعاب» لابن عبدالبر ـ في ترجمة علي (عليه السلام)[٤]، وفي «اسد الغابة»[٥] لابن الاثير الجزري، و«الرياض النضرة»[٦] و«ذخائر العقبىٰ»[٧] و«تاريخ الخلفاء»[٨] عن سعيد بن المسيب قال: «لم يكن احد من اصحاب رسول الله ـ ص ـ يقول: «سلوني» اِلّا علي». قال في «الرياض»: اخرجه احمد في المناقب والبغوي في المعجم[٩].

الثالث: في الحلية للحافظ ابي نعيم عن ابي صالح الحنفي قال: سمعت علياً يقول علىٰ المنبر: «سلوني عما شئتم»[١٠].

الرابع: وقال ابن ابي الحديد المعتزلي في شرح النهج عن شيخه الإسكافي ـ في كتابه نقض العثمانية ـ عن ابن شبرمة قال: ليس لأحد من الناس ان يقول علىٰ المنبر «سلوني»

---

١. تنوير الحوالك ٢٠٩/١.
٢. شرح نهج البلاغة ٥/٢.
٣. الاصابة ٥٠٩/٢.
٤. الاستيعاب ٤٧٥/٢.
٥. اسد الغابة ٢٢/٤.
٦. الرياض النضرة ٢٦٢/٢.
٧. ذخائر العقبىٰ / ٨٣.
٨. شرح نهج البلاغة ١٧٥/٢ .
٩. الرياض النضرة ٢٦٢/٢.
١٠. ذخائر العقبىٰ / ٨٣.

اِلّا علي بن ابي طالب[١].

الخامس: وفي منتخب الكنز ـ المطبوع بهامش المسند ـ: ان علياً خطب الناس، فحمد الله واثنىٰ عليه، وصلىٰ علىٰ نبيه، ثم قال: «معاشر الناس! سلوني قبل ان تفقدوني» يقولها ثلاث مرات[٢].

السادس: وفي «الاستيعاب»[٣]، و«الاصابة» ـ في ترجمة علي (عليه السلام)[٤]، و«الرياض النضرة»[٥]، و«كنز العمال» ـ باب جامع التفسير[٦] ـ عن ابي الطفيل قال: شهدت علياً ـ عليه السلام ـ يخطب ويقول: «سلوني، فوالله لا تسألون عن شيء يكون الىٰ يوم القيامة اِلّا حدثتكم به. سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية اِلّا انا أعلم بليلٍ نزلت أم بنهار، في سَهْل أم في جَبَل». انتهىٰ.

والحديث رواه ايضاً السيوطي في كتابه «الاتقان» بعد قوله: لا احفظ عن ابي بكر في التفسير الا القليل لا تجاوز العشرة[٧]. ورواه ايضاً ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري بشرح البخاري» في تفسير سورة الذاريات من كتاب التفسير. وفيه: فقام ابن الكَوَّاء فقال: ما الذاريات[٨].

السابع: وفي حديث منتخب الكنز ـ المطبوع بهامش المسند لأحمد ـ عن علي (عليه السلام) قال: «اني احدثكم بنعمة ربي، كنت اِذا سَألتُ، اُعطيت، فبين الجوانح مني ملاء علماً جما...[٩].

---

١. شرح نهج البلاغة ٢/١٧٥.

٢. منتخب كنز العمال ٦/٥٢.

٣. الاستيعاب ٢/٤٧٦.

٤. الاِصابة ٢/٥٠٩.

٥. الرياض النضرة ٢/٢٦٢، مع اختلاف غير مخل.

٦. كنز العمال ١٣/١٦٥.

٧. الاِتقان في علوم القران ٢/٥٢٩ (النوع الثمانون).

٨. فتح الباري ١٠/٢٢١.

٩. منتخب كنز العمال ٥/٤٩.

الثامن: وفي الكنز ـ في باب فضائل علي (عليه السلام): عن ابي المغنم وجارية ابن قدامة انهما حضرا علي بن ابي طالب وهو يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني، فاني لا أُسأل عن دون العرش اِلّا أخبرتُ عنه»[١].

التاسع: وفي مناقب أخطب خوارزم عن ابي البختري قال: رأيت علياً ـ عليه السلام ـ علىٰ منبر الكوفة، وعليه مدرعة رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وهو متقلد بسيفه، ومتعمم بعمامته. فكشف عن بطنه وقال: سلوني قبل ان تفقدوني، فانما بين الجوانح مني علم جم. هذا سفط العلم، هذا لُعاب رسول الله، هذا ما زقّني رسول الله زقّا... والله لو ثُنّيتْ لي الوسادة[٢]، فجلستُ عليها، لأفتين اهل التوراة بتوراتهم، واهل الانجيل بانجيلهم حتىٰ ينطق الله التوراة والانجيل، فيقولان: صدق علي، قد أفتاكم بما انزل، وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون؟[٣]. انتهىٰ

كلام شارح المواقف: قال شارح المواقف ـ بعد ذكر الحديث: غرضه (عليه السلام) اِحاطة علمه بما في هذه الكتب، لا جواز الحكم بما نُسخ منها، فلا يتجه عليه اعتراض ابي هاشم بأن التوراة منسوخة، فكيف يجوز الحكم بها. ويدل علىٰ ما ذكرنا قوله «والله ما نزلت آية في بر أو بحر أو سهل أو جبل او سماء أو ارض، ليلاً او نهاراً، اِلّا انا أعلم فيمن نزلت». ويؤيده ان اول كلامه مشتمل على الفرض والتقدير، وليس يلزم منه جواز الحكم، كما تشهد به الفطرة السليمة[٤].

أقول: غرضه ـ سلام الله عليه ـ اثبات اِمامته ووصايته عن النبي (صلى الله عليه واله) بلا فصل بأمارات ظاهرة احتج بها عليها من اختصاصه بملابس النبي (صلىٰ الله عليه واله)

---

١. كنز العمال ١٣/١٠٥.

٢. ثُنّيتْ لي الوسادة: تهيأت لي الامور واستقرت الاوضاع.

٣. مناقب علي بن أبي طالب / ٤٧.

٤. شرح المواقف / ٦١٦.

من مدرعته وسيفه وعمامته التي لم تظهر هذه الأمارة من غيره ـ عليه السلام ـ، ومن اظهاره وفور علمه واختصاصه بمعرفة الكتب السماوية التي لم تكن لغيره.

قوله: «لو ثُنيت لي الوسادة» كناية عن فرض تمكنه من الامر من اول يوم، وان الامة لو مكنته من الاِمارة والخلافة، لعلمت ان العلم كيف يتفجر منه وكيف تستفيد الامة من معارفه. بل لو كانت الامم الخالية، لاستفادت من الحكم المودعة في توراتهم وانجيلهم.

ثم اقول: ان قوله ـ عليه السلام ـ: «سلوني قبل ان تفقدوني» كلام من أيقن من نفسه العلم والمعرفة بالاشياء والاِحاطة بالشرائع والاديان، واِلّا فلا يجوز من عاقل ان يقول «سلوني» علىٰ روؤس الأشهاد وفوق المنبر وهو يحتمل من نفسه الجهل، سيما وتحت المنبر كثير من اعدائه الذين كانوا يتربصون به الوقيعة ـ ولو بزعمهم ـ من الزلة.

[اِخبار الامام عن الفتن الحادثة في المستقبل]

أ / كلماته ـ عليه السلام ـ في الفتن المغيبة، ففي بعض خطبه (عليه السلام): «أيها الناس! اني فَقَأتُ عين الفتنة، ولم يكن ليجتريء عليها أحد غيري، بعد أن ماج به غيهبها، واشتد كَلَبها، فاسألوني قبل ان تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي أو تضل اِلّا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها، ومُناخ رِكابها، ومحطّ رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلا، ومن يموتُ منهم موتا...». والخطبة بطولها مذكورة في «شرح نهج البلاغة» لابن ابي الحديد. وفيها من المغيَّبات[1].

ب / قوله ـ عليه السلام ـ لاصحابه: «ألا واِن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني اُمية، فانها فتنة عمياء مظلمة»[2].

١. شرح نهج البلاغة ٢/١٧٣ ـ ١٧٤. وأيضاً في نهج البلاغة ١/١٨٢ ـ ١٨٤، الخطبة ٨٩ مع اختلافات بسيطة.

٢. نهج البلاغة ١/١٨٣، الخطبة ٨٩.

جـ / وقوله ـ عليه السلام ـ: «وأيْمُ الله لتجِدُنَّ بني أُمية لكم ارباب سوء بعدي»[١]. وكان كما قال (عليه السلام).

د / وقوله ـ عليه السلام ـ: «ثم يُفرِّج الله عنكم كتفريج الأديم[٢] بمن يسومهم نسفا[٣]، ويسوقهم عُنفا»[٤] الى اخره.

وهذا الفرج قد تحقق بعد غلبة السفاح علىٰ بني أُمية، ففرج الله برهة من الزمن عن المؤمنين وعن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ برجوع «فدك» اليهم، ونفي القتل والسبي عنهم وعن نسائهم وذرياتهم.

هـ / وفي «شرح نهج البلاغة» للمعتزلي انه روىٰ المدائني قال: خطب علي ـ عليه السلام ـ فذكر الملاحم فقال: «سلوني قبل ان تفقدوني» اما والله لتسعرنَّ[٥] الفتنة الصماء برجلها وتطأ في خِطامها[٦]. يالها من فتنة شبّت نارها بالحطب الجَزْل[٧]! مقبلة من شرق الأرض، رافعة ذيلها، داعية ويلها، بدِجلَة وحولها...»[٨] الى اخر كلامه.

و / وفي الشرح ايضاً من رواية المدائني خطبه امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ بعد اِنقضاء امر النهروان. فذكر طرفاً من الملاحم، قال: «اِذا كثرت فيكم الأخلاط[٩]،

---

١. نهج البلاغة ١/١٨٣، الخطبة ٨٩.

٢. تفريج الأديم: كشط الجلد.

٣. يسومهم نسفا: يلزمهم الذل.

٤. نهج البلاغة ١/١٨٣ الخطبة ٨٩.

٥. لتسعرنَّ: لتتوقدَنَّ، لتشتعلنَّ. وقد شبه الفتنة بالنار.

٦. خطام: زمام. ولعل «تطأ في خِطامها» كناية عن طيش تلك الفتة وانفلات زمامها عن الايدي وعدم امكان ضبطها وادارتها.

٧. الجَزْل: الكثير اليابس.

٨. شرح نهج البلاغة ٢/٥٠.

٩. الأخلاط: مختلطوا النسب.

واستولت الأنباط[١]، ودنىٰ خراب العراق» الىٰ قوله ـ عليه السلام ـ: «فيالها من مصيبة حينئذ من البلاء العظيم، والبكاء الطويل، والويل والعويل، وشدة الصريخ، ذلك أمر الله، وهو كائن، وفناء مريج[٢] فيا ابن خيرة الإماء! متى تنتظر البشر بنصر قريب...»[٣] الى اخر كلامه.

اراد ـ عليه السلام ـ بكلامه المهدي الموعود (عليه السلام) الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً، كما مئلت ظلماً وجورا، وينتقم من الظالمين، وينكل بهم أشد النكال. قاله المعتزلي في الشرح. وصرح بأنه المرضي عند اصحابنا، وانه سيُخلق فيما بعد، من ولد علي وفاطمة (عليهما السلام)[٤]. انتهىٰ.

ز / ثم قال ـ عليه السلام ـ في بقية الخطبة المزبورة: «ولو شئت لأخبرتكم بما يأتي ويكون من حوادث دهركم ونوائب زمانكم وبلايا أيامكم وغمرات ساعاتكم، ولكنه أُفضيه الىٰ من أُفضيه، مخافة عليكم، ونظراً لكم، علماً بما هو كائن...»[٥] الى آخرها.

ح / وقال (عليه السلام) في خطبته الاخرىٰ ـ كما في شرح النهج للمعتزلي ـ: «أيها الناس! سلوني قبل ان تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الارض، قبل ان تَشْغَر برِجلها[٦] فتنةٌ تطأ في خِطامها[٧]، وتذهب بأحلام[٨] قومها»[٩].

---

١. الأنباط: قوم كانوا يسكنون السهول الواقعة بين نهري دجلة والفرات في العراق.

٢. مريج: مفاجيء.

٣. شرح نهج البلاغة ٢/٤٩.

وفيه «... وفناء مريج، فيا ابن خيرة الآباء، متىٰ تنتظر البشير...».

٤. شرح نهج البلاغة ٢/١٧٩.

٥. شرح نهج البلاغة ٢/٤٩.

٦. تَشْغَر: ترفع. ولعل رفع الرجل هنا كناية عن المقدمة، كما يقال: قبل ان تتغيم السماء وتمطر.

٧. خِطام: الزمام. ولعل «تطأ في خِطامِها» كناية عن طيش تلك الفتنة وانفلات زمامها من الايدي، وعدم امكان ضبطها وادارتها.

٨. أحلام: عقول.

٩. نهج البلاغة ٢/١٣٠، الخطبة ١٨٩. شرح نهج البلاغة ٣/٢١٥.

قال ابن ابي الحديد في «شرح نهج البلاغة»: والمراد بقوله: «فلأنا أعلم بطرق السماء مني بطرق الأرض» ما اختص به من العلم بمستقبل الامور، ولا سيما في الملاحم[1]. وقد صدَّق هذا القول ما تواتر عنه من الاِخبار بالغيوب، المتكرر، لا مرة ولا مائة مرة، حتىٰ زال الشك والريب في انه اِخبار عن علم، وانه ليس علىٰ طريق الاِتفاق.

قال: وقد تأوّله قوم علىٰ وجه آخر، قالوا: اراد: أنا بالأحكام الشرعية والفتاوىٰ الفقهية أعلم مني بالامور الدنيوية، فعبَّر عن تلك بطرق السماء، لانها أحكام الهية، وعبَّر عن هذه بطرق الارض لانها من الامور الارضية، والاول اظهر، لان فحوىٰ الكلام واوله يدل علىٰ انه المراد[2].

قلت: وعلىٰ أي المعنيين يدل كلامه علىٰ وفور علمه، بحيث لا يبلغ اليه أحد ممن سبقه (عليه السلام) أو لحقه، كما يفصح عنه قوله عليه السلام ـ قبل قوله «أيها الناس! سلوني» ـ: «ان امرنا صَعْبٌ مُستصعب، لا يحملُه اِلّا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان، ولا يعي حديثنا الا صدور أمينة وأحلام[3] رزينة»[4].

ط / وقال في خطبته: «والله لو شئت أن أخبرَ كل رجل منكم بمُخرِجه ومَوْلِجِه[5] وجميع شأنه، لفعلت، ولكن اخاف ان تكفروا فيَّ برسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ... والذي بعثه بالحق واصطفاه علىٰ الخلق ما أنطق اِلّا صادقا، ولقد عهد اِليَّ ذلك كله بهلاك

---

١. الملاحم جمع «ملحمة»، وهي الواقعة عظيمة القتل او العظيمة في الفتنة. وقد صار هذا اللفظ يستعمل للحوادث العظيمة من حيث القتل والدمار والفتنة في المستقبل.

٢. شرح نهج البلاغة ٣/٢١٧.

٣. أحلام: عقول.

٤. نهج البلاغة ٢/١٢٩، الخطبة ١٨٩.

٥. مَوْلِجِه: مدخله.

مَنْ هلك، وبمنجاء من نجىٰ[1]، ومآل هذا الأمر، وما ابقىٰ شيئاً يمرُّ علىٰ رأسي اِلّا أفرغه في اُذني، وأفضىٰ به الي...»[2]. الىٰ آخر كلامه.

ي / ومن كلامه ـ عليه السلام ـ في جواب قول القائل: لقد اُعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب: «ليس هو علم الغيب، وانما هو تعلّم من ذي علم». قال: «فعلمٌ [علّمه الله نبيه و][3] علّمنيه، ودعا لي أن يعيه صدري...»[4].

ك / وفي «منتخب كنز العمال» ـ في هامش مسند أحمد ـ عن ابن عباس قال: ان علياً (عليه السلام) خطب الناس وقال: «والله ليُقتلنَّ[5] طلحة والزبير، ولتفتحنَّ البصرة، ولتأتينكم مادة من الكوفة ستة آلاف وخمسمائة وستين».

قال ابن عباس: فخرجتُ اسأل الناس: كم انتم؟ فقالوا كما قال. فقلت هذا مما أسرَّه اليه رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، انه علّمه ألفَ ألف كلمة، كل كلمة تفتح الف الف كلمة. اخرجه الاسماعيلي في معجمعه.[6] انتهىٰ

ل / ومن ذلك ما في الشرح للمعتزلي: قوله ـ عليه السلام ـ في الزبير وطلحة، وكلامه (عليه السلام): «ولم يكن ليجتريء عليها غيري، ولو لم أكُ فيكم ما قوتل اصحاب الجمل والنهروان. وأيْمُ الله! لولا أن تتكلموا[7] فَتَدَعوا العمل، لحدثتكم بما قضىٰ الله عزَّ وجلَّ علىٰ لسان نبيكم ـ صلىٰ الله عليه واله ـ لمَن قاتلهم مبصراً لضلالتهم، عارفاً للهدىٰ الذي نحن عليه.

---

١. في المصدر: «لقد عهد اليَّ بذلك كله، وبمهلك مَنْ يهلك، ومنجىٰ من ينجو».

٢. شرح نهج البلاغة ٢/٨٩ ـ ٩٠، الخطبة ١٧٥.

٣. الزيادة من المصدر.

٤. نهج البلاغة ٢/١٠ ـ ١١، الخطبة ١٢٩.

٥. في المصدر: «لتَقتُلنَّ».

٦. منتخب كنز العمال ٥/٤٣، كنز العمال ١٣/١٦٤ ـ ١٦٥.

٧. في المصدر: «أن تتّكلوا».

سلوني قبل ان تفقدوني، فاني ميت عن قريب أو مقتول، بل قتلاً. ما ينتظر أشقاها ان يخضِّب هذه بدم». وضرب بيده الى لحيته الشريفة[1]. انتهىٰ.

م / هذا بعض الغيب في طلحة والزبير: ومن كلامه ـ عليه السلام ـ فيهما لمّا استأذناه للعمرة، قال: «ما العمرة تريدان، وانما تريدان الغدرة ونكثَ البيعة». فأعاد عليهما البيعة بأشد ما يكون من الأيْمان والمواثيق. فأذن لهما. فلما خرجا من عنده، قال ـ عليه السلام ـ لمن حضر: «والله لا ترونهما اِلّا في فتنةٍ يقتتلان فيها». ثم قال: «ليقضي الله امراً كان مفعولا». شرح نهج البلاغة للمعتزلي[2].

ن / ومن كلامه ـ عليه السلام ـ في اهل الجمل: «والله ليقتلنَّ ثلثهم، وليهربنَّ ثلثهم، وليتوبنَّ ثلثهم». الشرح[3].

نقض مقالة ابن تيمية وجحوده: قال في منهاجه: والجواب ان يقال: اما الاِخبار ببعض الامور الغائبة، فَمَنْ هو دون علي يخبر بمثل ذلك، فعلي أجلّ قدراً من ذلك. قال: وحذيفة وابو هريرة وغيرهما من الصحابة كانوا يحدثون الناس بأضعاف ذلك، وعمر قد أخبر بانواع من ذلك، وفي أتباع أبي بكر وعمر وعثمان مَنْ يخبر بأضعاف ذلك...[4] الىٰ اخر كلامه بطوله الخارج عن محل البحث الداخل في خلط البحث.

غفلة عن توجيه الاشكال عليه بأنه لم يصح عن ابي بكر وعمر ـ فضلاً عن عثمان ـ نحو ما صحّ عن حذيفة وابي هريرة، حتىٰ ان عمر احتاج الىٰ السؤال عن حذيفة بأنه هل هو من المنافقين؟ فاختص العلم بالمنافقين بحذيفة دون عمر، كاختصاص علم كثير من الحوادث الكونية بأبي هريرة، ولم يعلم بها ابو بكر ولا عمر، كما في الصحيحين عن ابي

---

١. شرح نهج البلاغة ١٧٩/٢.

٢. شرح نهج البلاغة ٧٧/١.

٣. شرح نهج البلاغة ٧٨/١.

٤. منهاج السنة ١٧٧/٤.

هريرة قال: حفظت من رسول الله ـ ص ـ وعاءين، أما احدهما فبثثته فيكم، واما الآخر فلو أبثَّه، لقطعتم هذا البلعوم[١]. انتهى

وكلامه هذا ـ لو صح ـ لدل علىٰ عدم أهلية غيره لحمل الوعاءين، سيا الوعاء الذي لم يبثه تقيةً[٢].

فجمل الكلام وفذلكة المرام انه لم يصدر من أبي بكر ولا عمر ولا عثمان من العلم بالمغيَّب مثل ما صدر عن علي ـ عليه السلام ـ، وهذا كاشف عن افضليته منهم، لفضل العلم ودناءة الجهل، سيا لمن اعترف به، فكيف يقابل هذا بمن بلغ منتهىٰ الفضل حتىٰ عرفه بذلك الصديق والعدو، ولم يتجاسروا عليه، بل احتاجوا اليه حتىٰ أبي بكر وعمر، حسبما تقدم وما سيأتي.

[اعتراف الأصحاب بأعلمية الامام علي]

اعتراف الاصحاب ومَنْ عداهم لعلي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ بالتقدم:

١ ـ ففي «الاستيعاب» لابن عبد البر: عن ابن مسعود قال: أعلم اهل المدينة بالفرائض علي بن ابي طالب[٣].

---

١. صحيح البخاري ١/٤١، كتاب العلم، باب حفظ العلم.

٢. اضافة الىٰ ذلك فانه بعد وفاة رسول الله بدأت السلطة الحاكمة بفعاليات واسعة لمنع تداول كلمات الامام وفضائله، وعملت علىٰ تحجيم شامل لكل ما يتعلق بالامام، وقد مارست في هذا المجال جرائم كبيرة جداً. ومع ذلك فالمقدار الذي وصل من الامام علي مقدار هائل بالنسبة الىٰ المقدار الذي وصل من الصحابة الذين كانت السلطات تشجع علىٰ نقل كلمات العديد منهم، وتنفق علىٰ اختلاق الاكاذيب لرفع شأنهم. اما بالنسبة الىٰ الإخبار عن حوادث المستقبل، فالمقدار الذي وصل من الامام والموجود في الكتب المتداولة هو كثيرٌ جداً، بحيث لم يرو عن أي من الصحابة عُشْر هذا المقدار. فالادعاء المذكور يراد به إرباك القاري وإلغاء عقله وسلب قدرة النقاش منه في صحة هذا الادعاء الباطل اساساً.

٣. الاستيعاب ٢/٤٧٥.

٢ ـ والدولابي في «الكنىٰ» (فيمن كنيته ابو سهل): عن داود بن المسيب قال: ما كان احد بعد رسول الله ـ ص ـ اعلم من علي بن أبي طالب[1].

٣ ـ ايضاً ابن عبدالبر في «الاستيعاب»[2]، والمحب الطبري في «الرياض النضرة»[3]، و«ذخائر العقبىٰ»[4]، والحافظ أبو نعيم في «حلية الأولياء»، وابن حجر في «الصواعق»[5]: ان ضِراراً وصف أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ بمحضر معاوية قائلاً: «يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه...» الى اخر كلامه.

٤ ـ وفي «الاستيعاب» للاندلسي، و«الاصابة» للعسقلاني: عن ابن عباس قال: كنا اذا أتانا الثبت من علي (عليه السلام) لم نعدل به[6].

٥ ـ وفي «الاستيعاب» عن مغيرة بن شعبة قال: ليس احد من الصحابة اقوىٰ قولاً في الفرائض من علي[7].

٦ ـ وفيه من شهادة عمر بأن علياً (عليه السلام) أقضىٰ الصحابة[8].

٧ ـ وفيه: من قول ابن مسعود: ان أقضىٰ اهل المدينة علي (عليه السلام)[9].

٨ ـ وعن سعيد بن وهب قال: قال عبدالله: اعلم اهل المدينة بالفرائض علي بن ابي طالب[10].

---

١. الكنىٰ والأسماء ١/١٩٧.

٢. الاستيعاب ٢/٤٧٥.

٣. الرياض النضرة ٢/٢٨١.

٤. ذخائر العقبىٰ / ١٠٠.

٥. الصواعق المحرقة /٧٨. والذي فيه «وتنطق الحكمة من لسانه».

٦. الاستيعاب ٢/٤٧٥، الإصابة ٢/٥٠٩.

٧. الاستيعاب ٢/٤٧٥.

٨. الاستيعاب ٢/٤٧٤.

٩. الاستيعاب ٢/٤٧٤.

١٠. الاستيعاب ٢/٤٧٥.

٩ ـ وفيه: عن عائشة قال: ان علياً لاعلم الناس بالسنة[1] ونحوه الحديث عنها في «تاريخ الخلفاء» للسيوطي[2].

١٠ ـ وفي الاستيعاب: كان معاوية يكتب فيما نزل به ليسأل له علي بن أبي طالب. فلما بلغه قتله، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن ابي طالب[3].

١١ ـ وفي «الفيض القدير بشرح الجامع الصغير» للعلامة المناوي قال: أخرج الكلاباذي ان رجلاً سأل معاوية عن مسألة. فقال: سل عليا، هو اعلم مني. فقال: أُريد جوابك. فقال معاوية: ويحك! كرهت رجلاً كان رسول الله (ص) يَغُرّه العلم غَرّا[4].[5]

١٢ ـ وقد كان أكابر الصحب يعترفون له بذلك، وكان عمر يسأله عما اشكل عليه. جاءه رجل فسأله، فقال عمر: ههنا عليٌ فاسأله. فقال الرجل: أُريد ان أسمع منك يا أمير المؤمنين! فقال عمر: ممَ. لا اقام الله رجليك. ومحىٰ اسمه من الديوان[6]. انتهىٰ

١٣ ـ وفي «الاستيعاب» عن ابن عباس قال: قال لي عمر بن الخطاب: اني اراك ان تقول ان صاحبك اولىٰ الناس بها ـ يعني علياً بالخلافة ـ قلت: اجل والله! اني لأقول ذلك في سابقته وعلمه وقرابته. قال عمر: انه كما ذكرت[7] انتهىٰ.

وهذا اِعتراف من عمر بالتقدم لعلي (عليه السلام) وانه أسبقهم اِسلاما، وأكثرهم علما، واشدهم برسول الله قربا، فهل للمنصف ان ينكر ذلك؟

---

١. الاستيعاب ٢/٤٧٦.

٢. تاريخ الخلفاء / ١٧١. ورواه عنها ايضاً في المؤتلف والمختلف ١/٥٢٦.

٣. الاستيعاب ٢/٤٧٦.

٤. يغرّه: يلقمه.

٥. فيض القدير ٣/٤٦.

٦. فيض القدير ٣/٤٦.

٧. الاستيعاب ٢/٤٨٠.

١٤ ـ وفي «الاستيعاب»: عن ابن عباس قال: والله لقد أُعطي علي تسعة أعشار العلم، وأيْم الله لقد شارككم في العشر الاخر[١].

١٥ ـ وفي «الاستيعاب»[٢] ومستدرك الحاكم[٣] و«الرياض النضرة»[٤] و«ذخائر العقبىٰ»[٥]: قال ابن مسعود: كنا نتحدث ان أقضىٰ المدينة علي، وان رسول الله دعا لعلي بقوله: «اللهم اهدِ قلبه، وثبت لسانه». رواه أبو داود وابو نعيم.

١٦ ـ وفي «ذخائر العقبىٰ» و«الرياض النضرة» أيضاً: عن انس بن مالك ان رسول الله ـ ص ـ قال: «أقضىٰ أُمتي علي»[٦].

١٧ ـ وفي منتخب الكنز (المطبوع بهامش المسند): عن علي قال: بعثني النبي ـ ص ـ الىٰ اليمن، فوضع يده علىٰ صدري وقال: اللهم ثبت لسانه واهدِ قلبه». قال علي: فما أشكل عليَّ قضاء بعده. [اخرجه] ابن سعد، واحمد في «المسند»، والعدني، والترمذي وقال: حسن، وابن جرير وصححه، وابن حبان في صحيحه، واليبهقي في السنن[٧]

١٨ ـ ومن حديث منتخب الكنز (المطبوع بهامش «المسند») ان النبي دخل علىٰ فاطمة وهي تبكي. فقال: «مالكِ تبيكن يا فاطمة! والله لقد انكحتك أكثرهم علماً وأفضلهم

---

١. الاستيعاب ٢/٤٧٥.

٢. الاستيعاب ٢/٤٧٣. والذي فيه: «وسدد لسانه».

٣. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٣٥.

٤. الرياض النضرة ٢/٢٦٣. والذيَ فيه «ان الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك».

٥. ذخائر العقبىٰ / ٨٣ ـ ٨٤. والذي فيه رواية انس عن النبي انه قال: «أقضىٰ أُمتي علي»، والرواية عن عمر بأن «أقضانا علي». ولم أجد فيه روايه ابن مسعود. وحول ما يتعلق بالدعاء، فالذي فيه «ان الله سيهدي لسانك ويثبت قلبك».

٦. ذخائر العقبىٰ /٨٣، الرياض النضرة ٢/٢٦٢.

٧. منتخب كنز العمال ٥/٣٧.

حلماً وأقدمهم سلماً». [اخرجه] ابن جرير وصّححه، والدولابي في «الذرية الطاهرة»[١]. انتهىٰ

١٩ ـ ومن حديث «الرياض النضرة»: عن عطا، قيل له: أكان أحد من أصحاب رسول الله اعلم من علي (وفي رواية افقه من علي) قال: ما أعلم[٢].

٢٠ ـ وفيه: عن ابن عباس وقد سأله الناس فقالوا: أي رجل كان علي؟ قال: كان ممتلئاً جوفه حكماً وعلماً وبأساً[٣] ونجدة[٤]، مع قرابته من رسول الله (ص). اخرجه احمد في المناقب[٥].

٢١ ـ وعن القادري في «الصراط السوي»: انه كان عطا يقول: والله ما علمتُ احداً من اصحاب النبي أفقه من علي. اخرجه الحافظ الذهبي[٦].

٢٢ ـ وفي الذخائر: عن عبدالله بن عباس بن أبي ربيعة (وقد سُئل عن علي) فقال: كان له ما شاء من ضرس قاطع...[٧]، والسابقة في الاِسلام، والعلم بالقران والفقه والسنة، والنجدة في الحرب، والجود في الماعون». أخرجه الذهبي[٨].

ان علياً (عليه السلام) احتج يوم السقيفة علىٰ ابي بكر وعمر علىٰ تقدمه بالحسب والنسب، وجعل من حسبه الأعلمية والأفقهية والمعرفة بالكتاب والسنة، كما في «الامامة والسياسة» لابن قتيبة، وشرح النهج لابن ابي الحديد من انه لما جيء بعلي (عليه السلام) الىٰ ابي بكر للبيعة قهراً، ودار الكلام بينه (عليه السلام) وبين عمر، قال ـ عليه السلام ـ:

---

١. منتخب كنز العمال ٣٨/٥.

٢. الرياض النضرة ٢٥٥/٢.

٣. بأساً: شدة في الحرب.

٤. نجدة: شجاعة.

٥. الرياض النضرة ٢٦٥/٢.

٦. المصدر مخطوط.

٧. في المصدر «ضرس قاطع السِطة في النسب».

٨. ذخائر العقبىٰ / ٧٩.

«الله الله يا معشر المهاجرين! لا تخرجوا سلطان محمد (صلى الله عليه واله) في العرب من داره وتدفعون اهله عن مقامه، فوالله لنحن أحقُّ منكم ما كان فينا القاريء لكـتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المطَّلع لأمر الرعية. والله انه لفينا، فلا تـتبعوا الهوىٰ فتضلّوا». انتهىٰ

فلم يكن لمن حضر حتىٰ لأبي بكر وعمر جواب. اِلّا ان قال عمر: بايع ابا بكر واِلّا ضربنا عنقك[1]. وهذا عين التغلب علىٰ الامر من غير حجة.

٢٣ ـ ومن حديث «المسند» (لاحمد بن حنبل) عن الحسن بن علي ـ عليهما السلام ـ قال: «لقد فارقكم رجل بالامس لم يسبقه الأولون بعلم، ولا يدركه الاخرون، كان رسول الله ـ ص ـ ليبعثه بالراية، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، لا ينصرف حتىٰ يُفتح له»[2].

ومن حديثه الآخر عن عمرو بن حبشي قال: خطبنا الحسن بن علي (عليهما السلام) بعد قتل علي (عليه السلام) فقال: «لقد فارقكم رجل بالأمس ما سبقه الأولون بعلم، ولا أدركه الآخرون، اِن كان رسول الله ليبعثه ويعطيه الراية، فلا ينصرف حتىٰ يُفتح له»[3]. انتهىٰ.

ونحوه الحديث في «ذخائر العقبىٰ»[4]، و«الرياض النضرة» لمحب الديـن الطـبري، قال: اخرجه احمد في المناقب[5].

٢٤ ـ روىٰ أخطب خطباء خوارزم في المناقب عن الحرث الاعور صاحب راية أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: بلغنا ان النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ كان في جمع من أصحابه، فقال: «اُريكم آدم في علمه، ونوحاً في فهمه، وابراهيم في حكمته». فلم يكن بأسرع من ان طلع علي (عليه السلام).

---

١. الامامة والسياسة / ١٢.

٢. مسند احمد بن حنبل ١ /١٩٩.

٣. مسند احمد بن حنبل ١ /١٩٩.

٤. ذخائر العقبىٰ ١ /١٩٩.

٥. الرياض النضرة ٢ /٢٥١.

فقال ابو بكر للنبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ أقِسْتَ رجلاً بثلاثة من الرسل؟ بخٍ بخٍ لهذا الرجل. من هو يا رسول الله؟!

قال النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ أوَلا تعرفه يا أبا بكر !؟

قال : الله ورسوله اعلم.

قال ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: ابو الحسن علي بن ابي طالب.

قال أبو بكر : بخٍ بخٍ لك يا ابا الحسن، واين مثلك يا ابا الحسن!؟[1].

[رجوع الاصحاب الىٰ الامام علي وارجاعهم الناس اليه]

رجوع الصحابة كلهم الىٰ علي ـ عليه السلام ـ فيما أُشكل:

١ / قال الفخر الرازي في كتابه في فضائل الامام الشافعي : انه قال الشافعي : واكثر ما أُخذ من علي في زمان عمر وعثمان، لانهما كانا يسألانه ويرجعان الىٰ قوله، وكان علي (كرم الله وجهه) خُصَّ بعلم القران، لأن النبي ـ ص ـ دعا له، وأمره أن يقضي بين الناس، وكانت قضاياه ترفع الىٰ النبي ـ ص ـ فيمضيها. انتهىٰ.

٢ / وفي «أُسد الغابة» لابن اثير الجزري ـ بعد ذكره الاخبار والاثار الدالة علىٰ وفور علم أمير المؤمنين عليه السلام ـ قال : وله في هذا أخبار كثيرة، نقتصر علىٰ هذا منها، ولو ذكرنا ما سأل الصحابة مثل عمر وغيره، لأطلنا[2]. انتهىٰ.

٣ / وقال النووي في «تهذيب الأسماء» ـ في ترجمة علي عليه السلام ـ: وسؤال كبار الصحابة عنه ورجوعهم إلىٰ فتواه واقواله في المواطن الكثيرة والمسائل المعضلات، مشهورٌ...[3] الى اخره.

---

١. مناقب علي بن ابي طالب / ٤٥.

٢. أُسد الغابة ٤/٢٣.

٣. تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٤٦.

٤ / ونحوه عبارة «رجال المشكاة» ـ في ترجمة علي عليه السلام ـ غير انه زاد قائلاً: وكان عمر يرجع إليه ويسأله، ولا يحكم حتىٰ يسأله، وكان يقول أقضانا علي. انتهىٰ.

٥ / وفي «توضيح الدلائل» للشيخ شهاب الدين احمد ـ في معنىٰ حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» ـ قال: وهو كان بإجماع الصحابة مرجوعاً اليه في علمه، موثوقاً بفتواه وحكمه، والصحابة كلهم يراجعونه مهما أُشكل عليهم ولا يسبقونه، ومن هذا المعنىٰ قال عمر: «لولا علي، لهلك عمر».

٦ / وفي «جواهر العقدين» للعلامة السمهودي من أحاديث رجوع ابي بكر وعمر الىٰ علي ـ عليه السلام ـ وقول عمر: لولا علي لهلك عمر [١].

ونحوه كلام القادري في «الصراط السوي» [٢]، وابن الصباغ المالكي في «الفصول المهمة» [٣]، والخطيب الخوارزمي في المناقب [٤]، والمناوي في «فيض القدير» [٥]، وسبط ابن الجوزي في «تذكرة خواص الامة» [٦].

٧ / وقال المعتزلي في «شرح نهج البلاغة»: «قد علم كل أحد رجوع عمر الىٰ علي (عليه السلام) في كثير من المسائل التي اشكلت عليه وعلىٰ غيره من الصحابة، وقوله غير مرة: لولا علي لهلك عمر. وقوله: لا بقيتُ لمعضلة ليس لها ابو الحسن...» [٧] الى اخره.

٨ / وفي كتاب «ذخيرة المآل» للعجيلي (في ذكره علياً عليه السلام وبقية الاصحاب

---

١. المصدر مخطوط.

٢. المصدر مخطوط.

٣. الفصول المهمة / ٣٥.

٤. مناقب علي بن ابي طالب / ٥٠ ـ ٥٤.

٥. فيض القدير ٤/٣٥٧.

٦. تذكرة خواص الامة / ١٤٤ ـ ١٤٨.

٧. شرح نهج البلاغة ١/٦.

قائلاً): لم يكن ـ أي: علي ـ يسأل منهم واحدا، وكلهم يسأله مسترشدا، وما ذلك اِلّا لخمود نار السؤال تحت نور الاِطلاع[١].

٩ / وفي كتاب «الصواقع» لنصر الله الكابلي ـ عند ذكره حديث: مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، ومن ركبها نجىٰ، ومن تخلف عنها غرق ـ قال: لا شك ان الفلاح منوط بولائهم وهَدْيهم والهلاك بالتخلف عنهم، ومن ثمة كان الخلفاء والصحابة يرجعون الىٰ افضلهم فيما أُشكل عليهم من المسائل[٢]. انتهىٰ.

١٠ / وقال الملا علي القاري في شرح الفقه الاكبر: علي بن ابي طالب وهو المرتضىٰ، زوج فاطمة الزهراء، وابن عم المصطفىٰ، والعالم في الدرجة العليا والمعضلات التي سأله كبار الصحابة ورجعوا الىٰ فتواه فيها فضائل كثيرة شهيرة»[٣] انتهىٰ

١١ / وفي «الصواعق المحرقة» لابن حجر: انه اخرج الدارقطني ان عمر سأل علياً عن شيء، فأجابه، فقال عمر: أعوذ بالله أن اعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن[٤] انتهىٰ

١٢ / وقال المناوي في «فيض القدير [بـ] شرح الجامع الصغير» ـ عند شرحه حديث «انا مدينة العلم وعلي بابها» من حرف الألف ـ: ان المصطفىٰ المدينة الجامعة لمعاني الديانات كلها، ولا بد للمدينة من باب، فأخبر أن بابها علي (كرم الله وجهه). فمن أخذ طريقه، دخل المدينة، ومن اخطأه، أخطأ طريق الهدىٰ.

وقد شهد له بالأعلمية الموافق والمخالف، وصح عن عمر ـ من طرقٍ ـ انه كان يتعوذ من قومٍ ليس علي فيهم حتىٰ امسكه عنده، ولم يَرَ له شيئاً من البعوث لمشاورته في المشكل. واخرج الحافظ عبدالملك بن سليمان قال: ذكر العطا: أكان احد من الصحب افقه من علي؟ قال: لا والله.

---

١. المصدر مخطوط.

٢. المصدر مخطوط.

٣ لم اجد المصدر.

٤. الصواعق المحرقة / ١٠٧.

قال الحرالي: قد علم الأولون والاخرون ان فهم كتاب الله منحصر الىٰ علم علي، ومن جهل ذلك فقد ضل عن الباب الذي من ورائه يرفع الله عن القلوب الحجاب، حتىٰ يتحقق اليقين الذي لا يتغير بكشف الغطاء[1]. انتهىٰ.

١٣ / وقال الكنجي في «كفاية الطالب»: وقال العلماء من الصحابة والتابعين واهل بيته بتفضيل علي وزيادة علمه وغزارته، وحدّة فهمه، ووفور حكمته، وحُسن قضاياه، وصحة فتواه. وقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من علماء الصحابة يشاورونه في الأحكام، ويأخذون بقوله في النقض والإبرام، اعترافاً منهم بعلمه ووفور فضله ورجاحة عقله وصحة حكمه[2]. انتهىٰ.

١٤ / وقال الملا يعقوب اللاهوي في شرح تهذيب الكلام: وكفاك شاهداً علىٰ ان علياً أعلم سلاسل العلماء من المفسرين وأهل العربية وغيرهم، والعرفاء تنتهي اليه، وان الحكماء كانوا يعظمونه غاية التعظيم، وان الكبراء من الصحابة يرجعون اليه فيما كان يشكل عليهم، وهو المجيب عن شبهات اليهود وظلمات النصارىٰ، كما هو المعروف والمشهور[3]. انتهىٰ

١٥ / وفي «الاستيعاب» لابن عبدالبر ـ في ترجمة علي عليه السلام ـ: عن أُذنية بن سلمة العبدي قال: اتيتُ عمر بن الخطاب فسألته من أين اعتمر؟ قال: ائت علياً فاسأله. فسألته، فقال: من حيث أبدأت[4]. فقال عمر: ما أجد لك الا ما قال علي[5].

١٦ / وسأل شريح بن هاني عائشة عن المسح علىٰ الخفين. فقالت: ائت عليا[6].

---

١. فيض القدير ٣/٤٦.

٢. كفاية الطالب / ٢٢٣.

٣. لم اجد المصدر.

٤. لعل المقصود من «حيث ابدأت» ميقات المعتَمِر.

٥. الاستيعاب ٢/٤٧٦.

٦. الاستيعاب ٢/٤٧٦.

[التشكيك في اعلمية الامام علي والجواب عنه]

مقالة يوسف الواسطي في نفي أعلمية علي ـ عليه السلام ـ: قال في كتابه «الملفق» في رد أهل الحق ـ من نسخته المخطوطه ـ: الثاني من وجوه حجج الرافضة بالعلم حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها». والجواب عنه من من وجوه: أحدها: ان هذا الحديث يتضمن ثبوت العلم لعلي...، إلّا انه لا يتضمن ثبوت الرجحان علىٰ غيره، بدليل ثبوت العلم لغيره علىٰ وجه المساواة بقول النبي ـ ص ـ (في مجموع الاصحاب): أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم، اهتديتم. فثبت العلم لكلهم...[1] الى اخر كلامه.

قلت:

اولاً: ان الشيعة أثبتت الرجحان لعلم علي ـ عليه السلام ـ بقول هؤلاء الأصحاب واعتراف فضلائهم بالرجوع الىٰ امير المؤمنين (عليه السلام) فيما يشكل عليهم، وقد عرفت من كلام ابي بكر وعمر وعثمان فيما خفي عليهم واعترافهم لعلي ـ عليه السلام ـ بالتقدم والرجوع اليه، فلا نعيد.

ثانياً: ان حديث «انا مدينة العلم وعلي بابها» في كمال الدلالة علىٰ أعلمية علي (عليه السلام) وانه ثاني اثني النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في كمال العلم وعظيم الحكمة وحلّ المشكلة، وذلك لان قوله (صلىٰ الله عليه واله): «أنا مدينة العلم» دل علىٰ اختصاصه بمدينة العلم بنحو القضية الحاصرة، وخصّ ايضاً علياً ـ عليه السلام ـ بنحو الحصر بأنه باب تلك المدينة وطريقها الموصل اليها، فكما ان كل علم يدعيه كل أحد اذا خالف علم النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ يكون جهلاً محضاً، كذلك كل ما يوهم تطرقه الىٰ مدينة علم النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ اذا خالف علم علي (عليه السلام) وناقضه، كان جهلاً مُلغىٰ، بمقتضىٰ قول رسول الله.

---

١. المصدر مخطوط. نقل كامل كلامه في عبقات الانوار ٥/٢٦٠. ـ من الطبعة المحققة ـ.

ثالثاً: ان حديث النجوم بعمومه ينفيه قول النبي (صلىٰ الله عليه واله) ـ فيما بلغ التواتر لأصحابه: «لَتتبعنَّ سَنَن من كان قبلكم شِبراً بِشبر وذراعاً بذراع. قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارىٰ؟ قال: فمن؟ اخرجه البخاري في صحيحه، باب قول النبي «لتتبعن سنن من كان قبلكم»[١]، ومسلم[٢]، واحمد في «المسند»[٣].

وقول النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «لا ترجعوا بعدي كفّاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض». كما في البخاري في كتاب الفتن[٤]، ومسلم[٥].

رابعاً: مناقضته لأحاديث الحوض، ففي البخاري في باب الحوض: عن أنس بن مالك عن النبي ـ ص ـ قال: لَيَردنَّ عليَّ ناس من اصحابي الحوض، حتىٰ اِذا عرفتهم أُختلجوا[٦] دوني، فأقول: اصحابي. فيقول: لا تدري ما احدثوا بعدك.

وفي «صحيح مسلم» باب الحوض: عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ان رسول الله ـ ص ـ قال: يُردُ عليَّ يوم القيامة رهط من اصحابي، فيُحلَّؤن[٧] عن الحوض، فأقول: يا رب! اصحابي. فيقول: انك لا علم لك بما احدثوا بعدك، اِنهم ارتدّوا علىٰ أدبارهم القهقرىٰ[٨]. انتهىٰ.

---

١. صحيح البخاري ٩/١٢٦، كتاب الاعتصام، باب ١٤.

٢. صحيح مسلم ٤/٢٠٥٤، كتاب العلم، باب ٣.

٣. مسند احمد بن حنبل ٥/٢١٨. مع اختلاف مع المذكور هنا.

٤. صحيح البخاري ٩/٦٣، كتاب الفتن، باب ٧.

٥. صحيح مسلم ١/٨٢، كتاب الايمان، باب ٢٩. ومع اختلاف في الالفاظ في ٣/١٣٠٥ ـ ١٣٠٦، كتاب القسامة، باب ٩.

٦. أُختلجوا: أُجتذبوا.

٧. يُحلّؤن: يُمنعون.

٨. لم اجده في المصدر بهذه الالفاظ، والذي فيه روايات بمضمون هذا الخبر، راجع المصدر ٤/١٧٩٢ ـ ١٨٠٠، كتاب الفضائل، باب ٩.

إذاً: الأحاديث في ضلالة ثلة من الصحابة بعد النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ واِحداثهم في الدين، كثيرة، مروية في الصحاح كلها وفي غيرها، فكيف يصح عن النبي (صلىٰ الله عليه واله) ان يقول: «اصحابي كالنجوم»؟

خامساً: ان حديث النجوم منقوض بالحديث المسلَّم عند أهل السنة من قول النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ: اقتدوا باللذين من بعدي من اصحابي: ابي بكر وعمر، واهتدوا بهَدْي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود. كما في جامع الترمذي[1]. ورواه عنه وعن الروياني عن حذيفة وعن ابن عدي عن انس، ابن حجر في «الصواعق»[2].

وظاهر الحديث افاده الحصر، ولو اريد التساوي، فهو مردود بالاجماع القطعي.

سادساً: ان حديث النجوم مطعون سنداً، طعن فيه ابن تيمية في «منهاج السنة»[3]، وحكى عن البزّار انه لا يصح عن رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ، وفي «دراسات اللبيب» لمحمد معين السندي: انه موضوع. وفي «أسنىٰ المطالب» عن ابن الجوزي: هذا لا يصح[4]. وكذلك عن ابن القيّم في كتابه «العلل المتناهية في الاحاديث الواهية». وقال ابن حزم الأندلسي في كتاب «الاِحكام في اصول الأحكام» ـ في باب ذم الاِختلاف ـ ان حديث النجوم لا اصل له، بل لا شك انه مكذوب، وانه من توليد اهل الفسوق.... الى آخره.

[اثبات عدم أعلمية ابي بكر]

مقالة الجماعة حول أعلمية ابي بكر ودحض حجتهم:

أ ـ **قالت الجماعة**: ان علياً كان ممن خفي عليه مدفن النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ

---

١. سنن الترمذي ٥/٦٧٢.

٢. الصواعق المحرقة / ١٢.

٣. منهاج السنة ٤/٢٣٩.

٤. أسنىٰ المطالب / ١٢١.

وأنه أين يُدفن، وقد علمه ابو بكر وقال: سمعت رسول الله (ص) يقول: ما من نبي يُقبَض إِلّا دُفِن تحت مضجعه الذي مات فيه. فرجعوا اليه. ذكره ابن حجر في «الصواعق»[١].

اقول: ذلك احتجاج باطل من وجوه عديدة:

[الاول] منها: ان أقصىٰ ذلك علم أبي بكر بما سمعه من النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في أمر مدفنه، وأين ذلك من وفور علمه الموجب لتقدمه؟ أم كيف انه سمعه من النبي ولم يسمعه علي الذي هو وصيه ـ بالاتفاق ـ في تجهيزه ودفنه؟

قال القاضي عياض في كتاب «الشفاء»: ان من معجزات النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ إِعلامه بموته ودنوّ أجله، وان قبره في المدينة وفي بيته، وان بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة[٢]. انتهىٰ.

ومن البديهي ان كلامه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ هذا سمعه كل من حضر مجلسه، سيما من لم يكن يفارقه طول حياته مثل علي (عليه السلام)، خصوصاً إِذا كان مأموراً بلوازم تجهيزه بعد وفاته، فدعوىٰ الإِختصاص بأبي بكر عارية عن البينة، ولعلها من مختصات المروانية وطائفة البكرية.

[الثاني] ومنها: ان رواية إخبار أبي بكر بمدفن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ منقوض بما أخرجه السيوطي في «الخصائص الكبرىٰ» ونور الدين علي بن شهاب الدين الشافعي في «خلاصة الوفاء» عن عائشة قالت: لما قبض النبي ـ ص ـ اختلفوا في دفنه، فقال علي: انه ليس في الارض بقعة اكرم علىٰ الله من بقعة قُبض فيها نفس نبيه ـ ص ـ... الى اخره[٣]. ونحوه في إِخبار علي (عليه السلام) بمدفن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ حديث «مدارج النبوة» للمولوي عبدالحق الدهلوي في سير النبي ـ ص ـ في ذكر مدفنه من الباب الثالث في وقائع

---

١. الصواعق المحرقة / ١٩.

٢. الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ١/٢٣٦.

٣. الخصائص الكبرىٰ ٣/٣٩٨.

سنة أحد عشر من الهجرة. وكذلك حديث «روضة الأحباب» لعطاء الله بن فضل الله.

ومن حديث «مودة القربىٰ» للسيد علي الهمداني، في المودة الرابعة عشرة: ان علياً لمّا فرغ من غسل النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، صلىٰ عليه وحده، وقال: ان رسول الله امامنا حياً وميتاً. فـ [كانوا] يدخلون فوجاً فوجا، فيصلون بغير امام وينصرفون. وقال: اني ادفنه في حجرته التي قُبض فيها. فلما فرغوا من الصلاة، قال علي لبريد بن سهل: اِحفرْ لحداً مثل أهل المدينة فحفر لحداً[1]. انتهىٰ.

ويؤيد ما ذكرناه أو يدل عليه الحديث المروي في «منتخب الكنز» ـ المطبوع بهامش مسند احمد ـ عن ابن مسعود في الوصية عن النبي (صلىٰ الله عليه واله) بدفنه، قال: ـ ص ـ: مهلاً رحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيرا، اذا أنتم غسلتموني وكفنتموني، فضعوني علىٰ سريري هذا، علىٰ شفير قبري هذا، ثم أُخرجوا عني ساعة...[2] انتهىٰ.

فقوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «هذا» إشارة الىٰ قبره الذي عيّنه لنفسه الشريفة بمحضر من الصحابة واهل بيته وكل من حضره عند دنوّ أجله.

فما في «الصواعق المحرقة» من انهم اختلفوا، فقال بعضهم: ندفنه بمكة مولده ومنشئه، وبعضهم بمسجده، وبعضهم ببيت المقدس مدفن الأنبياء، حتىٰ أخبرهم ابو بكر بما عنده من العلم...[3] الى اخره، كلامٌ ليس بالفصل، إذ لا يمكن لهم الاِختلاف والتعدي عما اوصىٰ به النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وعيّنه من أمر تجهيزه.

فالاختلاف لو صح، فلأحد أمرين: إمّا حمل المختلفين علىٰ غير الحاضرين وصيته ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، ومعلوم انهم غير عالمين، دون من حضر، فانهم عالمون، من غير اختصاص بأبي بكر. أو لأن المختلفين من الحاضرين أدىٰ اجتهادهم بزعمهم الىٰ اختيار محل

---

١. المصدر مخطوط، وقد نقله عنه في ينابيع المودة / ٢٦٥.

٢. منتخب كنز العمال ٤/٣١٣.

٣. الصواعق المحرقة / ١٩ ـ ٢٠.

أفضل يدفن فيه من مكة أو مسجده أو بيت المقدس، معللين بأنه مدفن الانبياء والمرسلين.

[الثالث] ومنها: انه قد كثرت الأخبار في ان ابا بكر وعمر كانا حين تجهيز النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ ودفنه في سقيفة بني ساعدة لتدبير أمر الخلافة، ولم يحضرا الجنازة ولا الصلاة عليها، وانما صلىٰ عليٌ ـعليه السلام ـ ثم تابعه المسلمون.

ففي «كنز العمال» وكذلك: منتخبه ـ المطبوع بهامش مسند احمد ـ (في خلافة ابي بكر من كتاب الإمارة): عن عروة: ان ابا بكر وعمر لم يشهدا دفن النبي (ص)، وكانا في الأنصار، فدُفن قبل ان يرجعا. اخرجه ابن ابي شيبة[1].

وقال الكجراتي في «مجمع البحار» في تفسيره كلام عمر (علىٰ ما في الصحيحين وفي الصواعق المحرقة)[2]: وقوله «أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمراً هو أوفق من مبايعة أبي بكر» أي: من دَفن النبي ـص ـ، لأن إهمال أمر المبايعة كان مؤدياً الىٰ الفساد الكلي، وأمّا دفنه فقد تولاه علي والعباس وجماعة. انتهىٰ.

ونحوه كلام الكرماني في شرح البخاري عند تفسير قول عمر، قال: واما دفنه ـص ـ فكان العباس وعلي وطائفة مباشرين له، وما كان يلزم من اشتغالنا بالمبايعة محذور. انتهىٰ.

وقال الفخر الرازي في «نهاية العقول»: ان الصحابة تبكّروا الىٰ السقيفة وتركوا أهم الأشياء، وهو دفن رسول الله ـص ـ، ورأوا نصب الإمام أهم من ذلك.

ب ـ كلام ابن حجر في اعلمية ابي بكر والتناقض فيه: قال في «الصواعق»: واختلفوا في ميراثه (يعني ميراث النبي ـصلىٰ الله عليه واله)، فما وجدنا عند أحد في ذلك علما، فقال ابو بكر: سمعت رسول الله ـص ـ يقول: انا معشر الانبياء لا نورِّث، ما تكرناه صدقة[3].

---

١. كنز العمال ٥/ ٦٢٥، منتخب كنز العمال ٢/ ١٧٤.

٢. الصواعق المحرقة /٦.

٣. الصواعق المحرقة / ١٩.

أقول: ان هذا الاحتجاج شيء بعيد عن انظار اهل العلم، اذ البحث في اصل الحديث، وبالضرورة ان علياً ـ عليه السلام ـ وفاطمة والعباس وسائر بني هاشم انكروا علىٰ ابي بكر، كما في كتب الجماعة[١]، حتىٰ ان فاطمة غضبت علىٰ ابي بكر وعمر غضباً شديدا، وأوصت ان لا يحضرا جنازتها، فكان كما اوصت، كما هو صريح صحيح البخاري[٢] ومسلم[٣].

ثم من بعد وفاة فاطمة ـ عليها السلام، نازع في تركة رسول الله (صلىٰ الله عليه واله) علي (عليه السلام) والعباس، كما هو صريح حديث البخاري عن مالك بن أوْس ـ المروي في «الصواعق»[٤] ـ من حضورهما عند عمر لفصل الخصومة، والتفات عمر الىٰ مَنْ حَضَر من عثمان وعبدالرحمان والزبير وسعد، والاِستشهاد منهم علىٰ انهم علموا من النبي (صلىٰ الله عليه واله) قوله: لا نورِّث، ما تركناه صدقة. ثم أقبل عمر الىٰ علي والعباس، فأنشدهما بالله انهما علما ذلك من رسول الله (صلىٰ الله عليه واله)[٥].

---

١. الامامة والسياسة / ١٤، تاريخ الرسل والملوك ٣/٢٠٨ (و٢/٢٠٨ من طبعة اخرى)، شرح نهج البلاغة ١/١٣٤، مسند احمد بن حنبل ١/٦، كنز العمال ٥/٦٠٤.

٢. صحيح البخاري ٥/١٧٧، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر. و٤/٦٦، كتاب الجهاد، باب فرض الخمس.

٣. صحيح مسلم ٣/١٣٨٠، كتاب الجهاد باب ١٩.

٤. الصواعق المحرقة / ٢٢.

٥. صحيح البخاري ٤/٩٧، كتاب الجهاد، باب فرض الخُمس. ولا يخفىٰ ان مقصود المؤلف من ذكر هذه الرواية هو الكشف عن التناقض الذي في كتاب الصواعق، فمن جهة يقول مؤلفه ان ابا بكر فقط علم ميراث النبي لسماعه حديث «لا نورث»، ومن جهة اخرىٰ يذكر رواية مفادها ان غير ابي بكر كان يعرف ذلك. اما مصداقية «لا نورث..»، فلا شك ان ابا بكر قد وضعه علىٰ النبي كذباً، وذلك لايجاد الغطاء الشرعي لمصادرة «فدك» من السيدة فاطمة الزهراء، من دون التفاته الىٰ انه مناقض لنص

←

وهذا بتمامه يفصح عن علم المسؤولين بحديث «لا نورِّث، ما تركناه صدقة»، فكيف يدعي ابن حجر استحضار ابي بكر حكم ميراث النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ دون غيره، استناداً الىٰ حديث عائشة؟

أم كيف يستند الىٰ حديثها وهي [1] مناقضة للحديث؟ لما عن عروة بن الزبير ـ علىٰ ما في «الصواعق» ـ قال: سمعت عائشةزوج النبي (ص) تقول: أرسل ازواج النبي (ص) عثمان الىٰ ابي بكر يسألنه ثُمُنَهنَّ مما أفاء الله علىٰ رسول الله (ص)، فكنتُ أنا أرُدّهنّ. فقلتُ لهن: ألا تتقين الله؟ ألم تعلمن ان رسول الله كان يقول: لا نورث، ما تركناه صدقة [2]؟... الى آخره.

ومن هنا عدل ابن حجر قائلاً: وتأمل ايضاً تقرير عمر للحاضرين، وتقرير عائشة لأُمهات المؤمنين، يظهر لك ان أبا بكر لم ينفرد برواية هذا الحديث [3].

جـ ـ ابن تيمية والإجحاف في كلامه: اِذ قال في منهاجه: لم يكن ابو بكر ولا عمر ولا غيرهما من أكابر الصحابة يخصّان علياً بسؤال، والمعروف ان علياً أخذ العلم عن ابي بكر، كما في السنن من قول علي: وحدثني ابو بكر، وصدق ابو بكر... [4] الىٰ آخر كلامه.

قلت: ودعواه هذه من أظهر ما خالف به الواقع، اِذ أي مسألة رجع علي ـ عليه السلام ـ

←

القران العظيم. والسيدة فاطمة نفسها كشفت عن ذلك بقولها لابي بكر أمام الحاضرين في مسجد النبي «يا ابن ابي قحافة! أفي كتاب الله ان ترثَ أباك ولا ارثُ أبي، لقد جئت شيئاً فريا». كما ان علم الامام علي بهذا الحديث كذبٌ محض، اِذ ليس له واقع حتىٰ يعلمه، فيكون هذا ايضاً من الموضوعات، اِمّا من عائشة لتمرير كذبة أبيها علىٰ رسول الله، واِمّا من الامويين لتمرير كذبة أبي بكر علىٰ النبي وتوجيه مقترفاته وابقاء فدك في ايديهم.

١. هي: عائشة.

٢. الصواعق المحرقة / ٢٢.

٣. الصواعق المحرقة / ٢٣.

٤. منهاج السنة النبوية ١٢٨/٣.

فيها الىٰ أبي بكر؟ أم أي موقع صدّقه فيه مما انفرد به أبو بكر؟ فهل صدّقه علي (عليه السلام) في ميراث النبي (صلىٰ الله عليه واله) وان ما تركه صَدَقة؟ علىٰ ما سيأتي من احتجاجه واحتجاج فاطمة بنت النبي (صلىٰ الله عليه واله) معه في حكمه. أو صدَّقه هو وسائر بني هاشم في ترك سهم ذي القربىٰ المنصوص في القران؟ وهل صدَّقه علي وفاطمة (عليهما السلام) في اصل الخلافة وهو في أول المرتبة؟ وهل صدَّقه هو ـ عليه السلام ـ وعمر في تأميره خالد بن الوليد وعدم اقتصاصه منه في قتله مالك بن نويرة؟

وكيف يحتاج علي ـ عليه السلام ـ الى علم أبي بكر مع تنصيص النبي (صلىٰ الله عليه واله) له بأنه مدينة علمه، وتصريح علي ـ كما في رواية الحاكم في «المستدرك» ـ قائلاً: «والله اني لأخوه ووليه وابن عمه ووارث علمه، فمن أحق به مني»[١]؟

وفي الحديث الصحيح الذي رواه إمام الحنابلة احمد في «المسند»[٢]، وابن ماجة في سننه[٣]، والترمذي في صحيحه[٤]، وابن كثير الشامي في «البداية والنهاية»[٥] عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قال: «علي مني وأنا من علي، ولا يؤدي عني إلّا أنا أو علي». انتهىٰ

فدعوىٰ رجوع علي ـ عليه السلام ـ الىٰ ابي بكر تكذيب للنبي (صلىٰ الله عليه واله)، ومع هذا كيف تصح نسبة الحديث الىٰ علي، وهل الحديث يُعتمدُ عليه من دون ذكر المستند؟ أم هل يُقبل ما هو المفتعل؟

نعم يمكن الحمل ـ كما هو الظاهر ـ علىٰ عرض أبي بكر أحاديثه علىٰ علي (عليه السلام) لمعرفتها، كما هو صريح خطبة النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في حجة الوداع في عرفه

---

١. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٢٦.

٢. مسند احمد بن حنبل ٤/١٦٤ ـ ١٦٥.

٣. سنن ابن ماجة ١/٤٤.

٤. سنن الترمذي ٥/٦٣٦.

٥. البداية والنهاية ٧/٣٥٧.

قائلاً: «رحم الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، فرُبَّ حامل فقهٍ لا فقه له، ورُبَّ حامل فقهٍ الىٰ من هو أفقه منه» الىٰ آخر خطبته (صلىٰ الله عليه واله). [أخرجها] المقريزي في الاِمتاع[1].

فدعوىٰ ابن تيمية كدعوىٰ ابن حجر ـ في الصواعق ـ جزافاً ان ابا بكر من المجتهدين، بل هو أعلم الصحابة علىٰ الاطلاق[2]، فانها عارية عن البينة، سيما بعد أن عرفت ان الواقع خلاف ما ذكره وادعاه.

د ـ مقالة ابن حزم في اعلمية أبي بكر ونقضها: قال ابن حزم الأندلسي في كتابه «الفصل في الملل والنحل»: انا قد وجدنا النبي ـص ـ قد ولّىٰ أبا بكر الصلاة بحضرته، فوجب ضرورة ان نعلم ان ابا بكر اعلم الناس بالصلاة وشرطها، وأعلم المذكورين بها، وهي عمود الدين...[3] الى اخره.

قلت: اِنها أي عمود للدين عندكم وانتم تجوزون فيها الاِقتداء بالفاسق وان كان معلنا؟ وقد نهىٰ الله سبحانه عن الركون الىٰ الفاسق بقوله: «ولا تركنوا الىٰ الذين ظلموا»[4]، ولم يجعل الله تعالىٰ العبرة في أقواله وافعاله، فقال: «اِن جاءكم فاسق بنبإٍ، فتبينوا»[5].

ثم اِنّا ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ سنقيم الحجة علىٰ ان صلاة ابي بكر كانت واحدة، [و] لم تكن بأمره (صلىٰ الله عليه واله)، بل بقولٍ من عائشة، ولذا لما أفاق ـ صلىٰ الله عليه واله ـ أسرع الىٰ المسجد وازال ابا بكر عن مقره.

سلّمنا اِمامة ابي بكر، ولكن الاِمامة عند أهل السنة تلازم الأقرئية في الجملة، ولا تلازم الأعلمية، ولذا كانت أعاظم الصحابة يصلّون في الكوفة مع الوليد بن عقبة الفاسق

---

١. اِمتاع الأسماع ١/٥٢٢.

٢. الصواعق المحرقة / ١٩.

٣. الفصل في الملل والأهواء ٤/١٣٦.

٤. سورة هود / ١١٣.

٥. سورة الحجرات / ٦.

بنص القران، وكذلك غيرهم من المعظَّمين الذين أدركوا صحبة النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ وتعلّموا منه، كانوا يصلّون مع عُمَّال عثمان الذين هم طواغيت الأمة، ولم يكن لهم مع رسول الله صحبة.

سلّمنا، ولكن اللازم ان يكون ابن ام مكتوم أعلم من ابي بكر بأحكام الصلاة وشرائطها لانه طالما كان يستخلفه النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ للصلاة طول بقائه في المدينة اذا غاب ـصلىٰ الله عليه واله ـ عنها. نص علىٰ ذلك المؤرخون واصحاب الحديث واهل السير، منهم ابن قتيبة في كتاب «المعارف»[1].

ثم ان القدر المسلم عند طوائف المسلمين كون أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ قد استخلفه رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ في المدينة في غزوة تبوك. و[كان] يصلي بأهلها طول غيبة النبي (صلىٰ الله عليه واله) حتىٰ قال له رسول الله: «أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ، اِلّا انه لا نبي بعدي»[2].

فنظرنا في ذلك، فرأينا ان علياً ـعليه السلام ـ شارك النبي (صلىٰ الله عليه واله) في سوابقه ومحامده بنسبة مشاركة هارون لموسىٰ فيها عدىٰ نبوته، فمن المقطوع به ان هارون شارك موسىٰ (عليهما السلام) في علمه، وكذلك علي ـعليه السلام ـ شارك رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ في علمه، ولذا قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، ومن اراد العلم فليأتها من بابها»[3]، وقال: «انا دار الحكمة وعلي بابها». رواه الترمذي في صحيحه[4]، وابو

---

١. المعارف / ١٢٦.

٢. صحيح البخاري ٣/٦، كتاب المغازي، غزوة تبوك.

٣. توجد مجموعة من مصادر حديث مدينة العلم في تعليقة ٢ من صفحة ٧٣، وتعليقات صفحة ٢٣٠ ـ ٢٣١ من هذا الجزء.

٤. سنن الترمذي ٥/٦٣٧.

نعيم الحافظ في «الحلية»[١]، والسيوطي في «الجامع الصغير»[٢]، كما في «فيض القدير»[٣] للمناوي، والمتقي الحنفي في «كنز العمال»[٤].

هـ ـ ثم قال ابن حزم: احتجاج الشيعة بأن علياً كان اكثرهم علماً، كـذبٌ. وانما يُعرّف علم الصحابة لأحد وجهين لا ثالث لهما: احدهما: كثرة روايته وفتاواه، والثاني: كثرة استعمال النبي (ص) له، فمن المحال ان يستعمل النبي من لا علم له، وهذه أكبر شهادة علىٰ العلم[٥].

أقول: ان هنا وجهاً ثالثاً دل علىٰ ان علياً ـ عليه السلام ـ اكثر الاصحاب علماً، وذلك نص النبي (صلىٰ الله عليه واله) بأن علياً أعلم الأمة من بعده، ففي الكنز عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قال: «اعلم أُمتي من بعدي علي بن أبي طالب»[٦].

ومن حديث الكنز عن ابي ذر الغفاري ان رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قال: «علي بن ابي طالب باب علمي، ومبين لأُمتي ما أرسلتُ به بعدي»[٧]. انتهىٰ.

ومن المعلوم ان علياً ـ عليه السلام ـ لا يكون مبيناً بقول مطلق لما أُرسل به النبي (صلى الله عليه واله) اصولاً وفروعاً اِلّا أن يكون حاوياً لها، غير مخطيء فيها، فذلك برهان من الشيعة علىٰ سبق علي (عليه السلام) بالأعلمية علىٰ بقية الصحابة. مضافاً الىٰ ما عرفت[٨] من نهوض الكتاب والسنة واقوال الاصحاب ورجوع ابي بكر وعمر وعثمان، علىٰ

---

١. حلية الاولياء ١/٦٤.

٢. الجامع الصغير ١/١٠٨.

٣. فيض القدير ٣/٤٦.

٤. كنز العمال ١١/٦٠٠، ٦١٤. ١٣/٤٨.

٥. الفصل في الملل والأهواء ٤/١٣٦.

٦. كنز العمال ١١/٦١٤.

٧. كنز العمال ١١/٦١٤.

٨. في الصفحة ٢٢٤ ـ ٢٥٥ من هذا الجزء.

علىٰ أعلمية علي (عليه السلام)[١].

د ـ **ومن كلام ابن حزم:** ووجدنا النبي (ص) قد استعمل ابا بكر علىٰ الصدقات، فهو ايضاً عالم بمسائل الزكاة، وهي ركن من اركان الدين بعد الصلاة[٢].

أقول: متىٰ بعثه النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ لأخذ الصدقات؟ فهذه بعوثاته مذكورة في السير والتواريخ من غير ان يُنقل ان النبي (صلىٰ الله عليه واله) ولّىٰ أبا بكر احدىٰ ولاياته.

وذكر المقريزي في «إمتاع الأسماع» ـ في البعثة علىٰ الصدقات ـ انه بعث رسول الله (ص) أُمراءه الىٰ الصدقات، فبعث المهاجر بن ابي أُمية الىٰ صنعاء، وبعث زياد بن لبيد الىٰ حَضَر مَوْت، وبعث عدي بن حاتم علىٰ صدقة طيىء واسد، وبعث مالك بن نويرة علىٰ صدقات حَنظَلَة، وبعث العلاء بن الحضرمي الىٰ البحرين، وبعث علي بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ الىٰ نجران علىٰ صدقاتهم وجزيتهم. قال: وفي هذه السنة بعث علياً الىٰ اليمن، فقرأ

---

١. اضافة الىٰ كل ذلك فانه لا دليل علىٰ جعل الامرين المذكورين ميزاناً لمعرفة علم الصحابة، فربما تحمّل صحابي احاديث كثيرة عن النبي، لكنه لم يروها عنه لسبب او اكثر، وربما استعمل النبي افراداً للقيام باعمال بسيطة ومحدودة من دون أن يكونوا اعلم في ما استعملوا فيه، لوجود مصلحة من وراء ذلك. ويكفي في اثبات اعلمية الامام علي من الأُمة حديث مدينة العلم، فان حصر النبي نفسه بكونه مدينة العلم وحصر باب المدينة في الامام علي كالنص علىٰ اعلميته. وحديث المنزلة أيضاً يفيد كون الامام في منزلة النبي من حيث العلم. وقد نص العديد من كبار الاصحاب علىٰ اعلمية الامام من الصحابة، راجع هذه النصوص في كل من: الاستيعاب، الرياض النضرة، تاريخ مدينة دمشق في ترجمة حياة الامام. ولو فرضنا جدلاً كون الامرين المذكورين ميزاناً لتشخيص الاعلمية، فان الامام علي قد توفر فيه الأمر الاول، فقد روي انه كان اكثر الاصحاب حديثاً عن رسول الله، فقد روىٰ ابن سعد ـ باسناده ـ انه قيل للامام علي: مالك اكثر اصحاب رسول الله حديثاً؟ قال: اني كنت اذا سألته أنبأني واذا سكتُ ابتدأني. (تاريخ الخلفاء / ١٧٠، كنز العمال ١٣/١٢٨).

٢. الفصل في الملل والأهواء ٤/١٣٦ ـ ١٣٧.

علىٰ أهل اليمن كتاب رسول الله ـ ص ـ، فأسلمت كلها في يوم واحد[١] الى اخر كلامه.

اِن هذه وغيرها بعثات رسول الله علىٰ الزكاة، ولازمها أعلمية هؤلاء بمسائل الزكاة. من غير تخصيص بأبي بكر.

ثم ان رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قد بعث الوليد بن عقبة (الفاسق بنص القران) لأخذ صدقات بني المصطلق[٢]، فيلزم ان يكون الوليد مع فسقه عالماً بمسائل الزكاة من غير امتياز لابي بكر.

والشيعة لم تحتج بأعلمية علي (عليه السلام) بأمثال هذه الوهميات حتىٰ يتوجه عليهم من الاِشكال ما قد توجه علىٰ ابن حزم واضرابه، حيث استدلوا علىٰ محكماتهم بمتشابهاتهم.

ثم ان رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ أعطىٰ أمير المؤمنين (عليه السلام) ولاية اليمن وولاية صدقاتها[٣]، كما هو المسلَّم، فاِذاً علي (عليه السلام) أعلم من ابي بكر بأحكام الإمارات وشؤون الولايات ومصالحها عن مفاسدها.

ومَنْ راجع أخبار النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وسيرته، يطلع علىٰ أنه لم يُوَّل أبا بكر اصلاً. نعم بعثه النبي الىٰ حصن خيبر، فلم يتمكن من الفتح ولا فتحه الله علىٰ يده، وبعث علياً (عليه السلام) الىٰ تلك الحصون، ففتحها الله له[٤] فمن اين يدعي ابن حزم ـ كغيره ـ جزافاً ان لأبي بكر فضل التقدم في الجهاد، ولم يذكر أحد من المؤرخين انه بارز أو قاتل أو ضارب بسيفه في غزوات النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وكذلك من بعده.

---

١. اِمتاع الأسماع ١/٥٠٩ ـ ٥١٠.

٢. الدر المنثور ٦/٨٨.

٣. زاد المعاد ١/١١١.

٤. كفاية الطالب / ٩٨ ـ ٩٩، مجمع الزوائد ٩/١٢٤، تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الامام علي ١ ـ ٢٢٥ ، مسند احمد بن حنبل ٥/٣٥٩، كنز العمال ١٣/١٢١. لباب التأويل ٦/١١٦./ ١٥٤

ثم ان النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ بعث ابا بكر وعمر وابا عبيدة في غزوة ذات السلاسل تحت ولاية عمرو بن العاص وإمارته، وكان عمرو يصلي بهم، حتىٰ انه صلّىٰ بهم وهو جُنُب ولم يتمكن أن يغتسل، ولا قدَّم واحداً من غيره يصلي بالناس، رفضاً لحديث «لا ينبغي لقوم فيهم ابو بكر أن يؤمهم غيره» راجع الاِمتاع للمقريزي [1].

وكل هذا يدل علىٰ كفاية عمرو بن العاص دونهما، اِذ من المحال ان يستعمل النبي (صلى الله عليه واله) مَنْ لا علم له ولا كفاية ويدع العالم، كما عرفت من تصريح ابن حزم.

هـ ـ قال ابن حزم: ووجدنا النبي (ص) قد استعمل ابا بكر علىٰ الحج، فصحَّ انه أعلم من جميع الصحابة بالحج.. [2] الى آخره.

قلت: قد تواترت الأخبار والأحاديث عن النبي (صلىٰ الله عليه واله) بأنه بعث ابا بكر لقراءة سورة براءة الىٰ اهل مكة وكفار قريش، يقرؤها عليهم في الموسم، فلما ذهب، نزل عليه جبرئيل وأمره من الله تعالىٰ بردّ ابي بكر عن وجهه، وقال للنبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: لا يؤدي عنك اِلاّ أنت أو رجل منك. فبعث وراءه علياً، فلحق به في أثناء الطريق، وأخذ منه السورة، وأرجعه الىٰ المدينة وهو خائف عن انه نزلت فيه آية.

ففي «المسند» ـ لأحمد ـ عن علي قال: لما نزلت عشر آيات من براءة علىٰ النبي (ص)، دعىٰ ابا بكر ليقرأها علىٰ اهل مكة. ثم دعاني، فقال: ادرك ابا بكر، فحيثما لقيته، فخذ الكتاب منه، فاقرأها علىٰ أهل مكة. فلحقتُه، وأخذتُ الكتاب منه، ورجع ابو بكر، فقال: يا رسول الله! نزل فيَّ شيءٌ؟ قال: لا، ولكن جبرئيل جاءني فقال: لن يؤدي عنك اِلّا أنت أو رجل منك [3].

---

١. اِمتاع الأسماع ١/٣٥٢ و ٣٥٤.

٢. الفصل في الملل والأهواء ٤/١٣٧.

٣. مسند أحمد بن حنبل ١/١٥١.

وأخرجه احمد ايضاً في «المسند»[١]، والحاكم في «المستدرك»[٢]، وابن حجر العسقلاني في «الاصابة» في ترجمة علي ـ عليه السلام ـ[٣]، وابن جرير الطبري في التفسير[٤] والسيد الآلوسي في تفسير «روح المعاني»[٥]، والسيوطي في تفسيره «الدر المنثور»[٦].

فهذا حج ابي بكر ورجوعه الىٰ رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قبل الموسم وقبل ان يحج. ولذلك مزيد بيان يأتي اِن شاء الله تعالىٰ[٧].

و ـ نقض قول ابن حزم بحديث «ارأف اُمتي بأمتي ابو بكر»: كيف يقول ابن حزم ـ المتعبد بظاهر النص في الدين ـ ان رسول الله (صلىٰ الله عليه واله) خصَّ ابا بكر بعلم لا يعادله علم؟

وهذا حديثهم الذي حدَّث به الترمذي في جامعه[٨]، وابن ماجه في سننه[٩]، وابن عبدالبر في «الاستيعاب»، والحاكم في المستدرك»[١٠]، والذهبي في التلخيص[١١]، عن انس بن مالك: ان رسول الله قال: أرحم اُمتي ـ وأرأف اُمتي ـ[١٢] باُمتي ابو بكر، وأشدهم في دين الله

---

١. مسند احمد بن حنبل ١/٣، ٣/٢١٢، ٢٨٣.

٢. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/٥١ ـ ٥٢.

٣. الإِصابة ٣/٥٠٤.

٤. جامع البيان ١٠/٦٤.

٥. روح المعاني ١٠/٤٠ (و ٣/٢٦٨ من طباعة اخرىٰ).

٦. الدر المنثور ٣/٢٠٩.

٧. في الجزء الثالث / ٢٩ ـ ٣٩.

٨. سنن الترمذي ٥/٦٦٤ مع اختلاف غير مخل بالمقصود.

٩. سنن ابن ماجة ١/٥٥ واللفظ له.

١٠. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/٤٢٢.

١١. تلخيص المستدرك ٣/٤٢٢.

١٢. هذه العبارة موجودة في بعض المصادر.

عمر، وأصدقهم حياءاً عثمان، وأقضاهم علي بن ابي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله اُبَيّ بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم[١] زين بن ثابت... وامين هذه الأُمة عبيدة بن الجرّاح. انتهىٰ.

وزاد في حديثه آخر قوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: وابو هريرة وعاء العلم، وعند سلمان علم لا يُدرك، وما اظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من ابي ذر.

ان الحديث ـ كما ترىٰ ـ متضمن لأوصاف خاصة ومحامد مخصوصة خصَّ بها رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ المذكورين من اصحابه، فخصصّ أبا بكر ـ وهو أوَّلهم وأوْلاهم عند الجماعة ـ بصفة الرأفة والرحمة ورِقة القلب بالأمة، ومن البديهة ان الرحمة ورقّة القلب صفة قائمة بالنفس، لا تلازم العلم والمعرفة بما جاء به النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، ولا ينافيها الجهل بالشريعة، ومن هنا كان أبو بكر يراجع الصحابة في المتواتر عن احواله.

وخصَّ عمر بالشدة والغلظة في الدين. وهذه صفته قبل ان يُسلم، فلا تستلزم السعة في العلم، ولا هو ادعاه لنفسه. وخصَّ عثمان بالحياء، وهي صفته قبل دخوله في الاسلام، ولا دخل لها بالعلم. وكذلك أمانة أبي عُبيدة، فان الانسان ربما يوصف بالأمانة وهو غير مؤمن، فأين ملازمة هذه الأوصاف للعلم.

وفَضَّلَ النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ ابي بن كعب بعلم القران وقرائته، وفضَّلَ معاذ بن جبل بمعرفة الحلال والحرام، وفَضَّلَ زيد بن ثابت بعلم الفرائض، وفَضَّلَ علياً ـ عليه السلام ـ بفصل القضاء، ولم يفضِّل ابا بكر بوصفٍ من العلم، كما فضَّل سلمان بأن له علم لا يُدرك، وعبر عن ابي هريرة بوعاء العلم.

ز ـ ثم ان ابن حزم قال (في الجزء الرابع من الفصل): انا رأينا الحديث والفتوىٰ عن ابي بكر وعمر اكثر من علي. وهذا يدل علىٰ اعلميتهما من علي[٢].

---

١. افرضهم: اكثرهم معرفة بكيفية تقسيم الارث.

٢. الفصل ٤/١٣٧.

قلت: ان ذلك اكثر بواسطة استعانتهما بالسؤال عن علي ـ عليه السلام ـ والرجوع الىٰ الصحابة، ففي تاريخ الطبري: ان ابا بكر كان يسأل الاصحاب عن قضاء رسول الله إنْ كان هناك قضاء، وإلّا قضت به خيارهم ورؤسائهم.[١] انتهىٰ.

وفي «تاريخ الخلفاء» ـ للسيوطي: اخرج أبو القاسم البغوي عن ميمون بن مهران قال: كان ابو بكر اذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله، فإنْ وجد فيه ما يقضي بينهم قضىٰ به، وإنْ لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله ـ ص ـ في ذلك الامر سُنَّه، قضىٰ به. فإنْ أعياه خرج وسأل المسلمين وقال: اتاني كذا وكذا، فهل علمتهم ان رسول الله قضىٰ في ذلك بقضاءٍ؟

فربما اجتمع اليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله ـ ص ـ فيه قضاءاً. فيقول ابو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا مَنْ يحفظ عن نبينا. فإنْ أعياه، جَمَعَ رؤوس الناس وخيارهم، فاستشارهم، فإنْ أجمع امرهم علىٰ رأيٍ، قضىٰ به.

وكان عمر يفعل ذلك. فإن أعياه أن يجد في القران والسنة، نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء، فانْ وجَدَ ابا بكر قد قضىٰ فيه قضاءا، وإلّا دعىٰ رؤوس المسلمين، فاذا اجتمعوا علىٰ امرٍ، قضىٰ به[٢].

اقول: هذا منتهىٰ ما يقال في علمهما واستعانتهما بالغير في القضاء والفتوىٰ، فأنّىٰ لهما اكثرية الحُكم والفتوىٰ لو لم يستعينا بعلم الغير؟

وقد عرفتَ من كلام عمر قوله «لولا علي لهلك عمر»[٣]، وقوله «لولا معاذ لهلك عمر»[٤] الىٰ غير ذلك من اقواله ومشاوراته لابن عباس وغيره من الاصحاب، الكاشف

---

١. لم اجده في المصدر في مظانه.

٢. تاريخ الخلفاء / ٤٢.

٣. راجعه التعليقة ٣ في صفحة ٢٢٠ من هذا الجزء.

٤. كنزل العمال ١٣/ ٥٨٣.

عن تقريره لنفسه نفي العلم، وكذلك صاحبه.

في «تاريخ الخلفاء» ـ للسيوطي ـ: اخرج ابو القاسم البغوي عن ابن ابي مليكة قال: سُئل ابو بكر عن آية؟ فقال: أيّ ارضٍ تسعني، وأيّ سماءٍ تظلّني اذا قلتُ في كتاب الله ما لم يرد الله.

وأخرج ابو عبيدة عن ابراهيم اليتمي قال: سُئل أبو بكر عن قوله تعالى: «وفاكهة وأبًّا»[١]. فقال: ايّ سماءٍ تظلني وأيّ أرض تقلّني اِنْ قلتُ في كتاب الله ما لا اعلم.

وأخرج البيهقي وغيره عن ابي بكر انه سُئل عن الكلالة. فقال: اني سأقول فيها برأيي، فإنْ يكن صواباً، فمن الله، وإنْ يكن خطأً فمني ومن الشيطان[٢]. انتهىٰ

هذا غاية ما ذكروه لعلم ابي بكر بالقران، ولم يُذكر له التفسير ما يمتاز به عن غيره.

ثم إن مَنْ راجع كتب الحديث ـ سيما المسانيد ـ يرىٰ ان الحديث عن ابي بكر وعمر أقل القليل، وان ما اسند الىٰ ابن عباس اضعاف ما صدر عنهما، ولازمه ان يكون ابن عباس اعلم منهما، ويرىٰ ان عمدة الاحاديث الراجعة الىٰ ترجمة القران وقراءته صادرة عن ابن مسعود واُبي بن كعب.

ولقد ذكر ابن حزم ـ في صفحته هذه من الكتاب ـ ان ما روىٰ ابو بكر عن النبي (صلىٰ الله عليه واله) مائة حديث [واثنان واربعون حديثا][٣]. وذكر ان حديث ابي هريرة خمسة آلاف مسند وحديث عائشة ألف ومائتي وعشرة... قال: ولكل مَنْ ذكرنا ـ حشا ابا هريرة وانس بن مالك ـ من الفتاوىٰ اكثر من فتاوىٰ علي... فبَطَل قول الطائفة ـ يعني الشيعة ـ [٤]

---

١. سورة عبس / ٣١.

٢. تاريخ الخلفاء / ٩٤.

٣. الزيادة من المصدر.

٤. الفصل في الملل والأهواء ٤/١٣٧ ـ ١٣٨.

قلت: فكأن هذا القائل المجازف قطع نظره عن اِبتلاء أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ بأعدائه المتدينين ببغضه، الذين ما زالوا ينشرون الكذب من مثالبه، والوقيعة فيه ـ عليه السلام ـ، فمن اين يُرویٰ عنه ويؤخذ منه الحديث أو يُتبع حُكمه؟ فلا محالة انحصرت احكامه اصولاً وفروعاً في زمرة من شيعته ومواليه، متواصلين لها كل خلف منهم عن سلفه الىٰ وقتنا هذا.

[اِثبات عدم أعلمية عمر]

احتجاج الجماعة لعلم عمر ودحض حُجتهم: وذلك بما في [صحيح] البخاري في كتاب مناقب عمر، وفي كتاب تعبير الرؤيا: عن ابن عمر قال: سمعتُ رسول الله ـ ص ـ يقول: بينا انا نائم، اُتيتُ بقَدَح لبن، فشربت [منه][1] حتى لأرى الريَّ يخرج من اظفاري. ثم أعطيتُ فضلي عمر بن الخطاب. فقالوا: فما أوّلتَه يا رسول الله!؟ قال: العلم[2].

قلت: ان الحديث اخرجه الخطيب البغدادي في التاريخ عن طريق عبدالرحمن بن عبدالله بن عمر ـ حفيد عمر بن الخطاب ـ قال: انه متروك الحديث، كذَّاب، يقلِّب الاحاديث. ونحوه كلام ابن حجر العسقلاني في «تهذيب التهذيب»[3].

وفي البخاري رواية الحديث مستفيضاً في كتاب العلم[4]، وباب مناقب عمر[5]، وكتاب

---

١. الزيادة من المصدر.

٢. صحيح البخاري ٩/٤٥، كتاب تعبير الرؤيا، باب اذا اجرىٰ اللبن.. و ٥/١٢ ـ ١٣، كتاب الفضائل، باب مناقب عمر.

٣. تهذيب التهذيب ٦/٢١٤. وفيه «يقلب الاسناد» بدل «يقلب الاحاديث».

٤. صحيح البخاري ٥/١٢ ـ ١٣، كتاب الفضائل، باب مناقب عمر.

٥. صحيح البخاري ٥/١٢ ـ ١٣، كتاب الفضائل، باب مناقب عمر.

تعبير الرؤيا[١]. وفي طريقه: الزهري عن حمزة عن عبدالله بن عمر بن الخطاب. والزهري مطعون بالنصب والانحراف عن علي ـ عليه السلام ـ وبمولاته لطغاة بني أُمية[٢].

وإن حمزة خرج مع ابيه ابن عمر الىٰ بيعة يزيد بن معاوية، وبايعا له بيع الله ورسوله، علىٰ ما في البخاري في كتاب الفتن[٣]، وفي مسلم في باب الأمر بلزوم الجماعة[٤].

ثم ان الحديث اقصاه اثبات العلم لعُمَر كغيره من الصحابة، وقد عرفت من الاحاديث قول النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن الجبل» وقوله «اهتدوا بهدي عمار» وقوله «ابو هريرة وعاء العلم» وقوله «صاحب سري حذيفة»، وقوله: «خذوا شطر دينكم من الحُميرا»، وقوله: «رضيتُ لكم ما رضي لكم ابن أُم عبد»، وقوله «اصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم». وكل ذلك غير اقتضاء الأعلمية.

---

١. صحيح البخاري ٩/٤٥، كتاب تعبير الرؤيا، باب اذا جرى اللبن...

٢. راجع الجزء الأول من هذا الكتاب / ٤٧ ـ ٥٠.

٣. صحيح البخاري ٩/٧٢، كتاب الفتن، باب ٢٢.

٤. لا يوجد في صحيح مسلم في الباب المذكور.

[الشرط الرابع]

[الأقربية الىٰ رسول الله]

الإمامة والاقربية، وهو الشرط الرابع من شروط الإمامة، فيجب ان يكون الامام والخليفة قريباً من رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في النسب، وعليه الكتاب والسُّنة وعمل الصحابة.

فمن الكتاب قوله تعالىٰ: «وأُلوا الأرحام بعضهم اولىٰ ببعض في كتاب الله»[1].

واللفظ عامٌ للمال والولاية، بل كونه للولاية أقرب، وفيها ابين، لأن الآية في سياق آية ولاية رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ من قوله تعالىٰ: «النبي اولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، وازواجه أُمهاتهم، واولوا الأرحام بعضهم اولىٰ ببعض في كتاب الله»[2].

قال الفخر الرازي في تفسير الآية: تمسك محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ـ في كتابه الىٰ المنصور ـ بهذه الآية علىٰ ان الامام بعد رسول الله (ص) علي بن ابي طالب، فقال: قوله تعالىٰ: «واولوا الارحام بعضهم اولىٰ ببعض» يدل علىٰ ثبوت الاولوية. وليس في الآية شيء معيّن في ثبوت هذه الاولوية، فوجب حمله علىٰ الكل اِلّا ما خصه الدليل، وحينئذ تندرج فيه الامامة، ولا يجوز ان يقال: ان ابا بكر كان من اولي

---

١. سورة الاحزاب / ٦.

٢. سورة الاحزاب / ٦.

الأرحام، لما نقل انه ـ ص ـ أعطاه سورة براءة ليبلّغها الىٰ القوم، ثم بعث علياً خلفه وأمر بأن يكون المبلِّغ هو علي، وقال ـ ص ـ: لا يؤديها إلّا رجل مني. وذلك يدل علىٰ ان ابا بكر ما كان منه [١].

أقول: ومن السُّنة: الاحاديث المتواترة عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ من قوله: «لا يؤدي عني إلّا انا أو رجل مني» [٢]. فأخرج ابا بكر عن انه منه بقوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ «أو رجل مني»، وقَبِلَه ابو بكر، ولم يقل: انا منك يا رسول الله! [٣]

وهذا اعتراض علىٰ احتجاج ابي بكر علىٰ الانصار بقوله «الائمة من قريش [٤]، ثم ترشيحه نفسه للخلافة بالقرابة. والحال ان علياً ـ عليه السلام ـ هو الأقرب الىٰ النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، وأبو بكر هو الذي أقرَّ به، ففي حديث «الرياض النضرة» عن الشعبي قال: ان ابا بكر نظر الىٰ علي بن ابي طالب فقال: «مَنْ سَّره ان ينظر الىٰ اقرب الناس قرابة الىٰ رسول الله، واعظمهم عنه غنىٰ، واحظّهم عنده منزلة، فلينظر الىٰ علي بن ابي طالب». خرجه ابن السمان [٥].

ومن ذلك ايضاً ما في «الصواعق» عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «إن علياً مني وانا منه» [٦].

---

١. التفسير الكبير / (و ٤/٣٩٥ من الطبعة القديمة).

٢. الدر المنثور ٣/٢٠٩.

والحديث ـ مع اختلاف في بعض الالفاظ ـ مذكور في كل من: المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/٥١ ـ ٥٢ باسناد صحيح، مسند احمد ١/٣ باسناد صحيح، خصائص علي بن ابي طالب /٢٠، ارشاد الساري ٧/١٤٣، فتح الباري ٨/٢٢٥، جامع البيان ١٠/٣٦، تفسير القران العظيم ٣/٤٨ ـ ٤٩، مناقب علي بن ابي طالب ـ للخوارزمي ـ /١٠٠ ـ ١٠١.

٣. تفصيل الواقعة مذكور في الجزء الثالث من هذا الكتاب / ٣١ ـ ٣٤.

٤. الصواعق المحرقة / ١.

٥. الرياض النضرة ٢/٢١٥.

٦. الصواعق المحرقة / ٧٤.

نعم ورد في الحديث «سلمان منّا أهل البيت»[١]. لكن المراد: انه منهم في الاِتباع، كما في قوله تعالىٰ ـ حكاية عن ابراهيم (عليه السلام) ـ «مَنْ تبعني فانه مني»[٢]. لكن هذا معنىٰ مجازي.

والمَعْني بقوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ «علي مني وانا من علي» هو القرب الحقيق، وليس منه ابو بكر، بشهادة عزله عن التبليغ والاعتذار منه بقول مقبول. وإلّا فلم يكن معنىٰ لسكوت ابي بكر وعدم ادعائه القرابة من رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ.

علىٰ ان القرابة والرحمية تنقطع عرفاً بالافتراق وطول الأعقاب، ولذا لم توجد رحمية بين ولد آدم ـ عليه السلام ـ، ولم يرث أحدهم عن الآخر بمثل هذه القرابة البعيدة المنقطعة، بل اذا مات كان وارثه الامام من باب الولاية، وان الامام ولي مَنْ ولا وليَّ له.

وأمّا سيرة الصحابة فيدل عليها احتجاج المهاجرين والانصار بأنهم اولياء رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وعشيرته واحق الناس به، ولا ينازعهم في ذلك اِلّا ظالم، كما في رواية الطبري في التاريخ من كلام ابي بكر[٣]. ومن كلامه ايضاً: لن يُعرف هذا الأمر اِلّا لهذا الحي من قريش. ومن كلام عمر للانصار: ان العرب لن ترضىٰ أن تؤمّركم ونبيها من غيركم، ومَنْ ذا ينازعنا سلطان محمد واماراته اِلّا مدل بالباطل او مجاهر لاثم، او متورط في هلكة...[٤] الى اخره.

ثم انه لمّا بلغ علياً ـ عليه السلام ـ كلامهما وكلام المهاجرين، في النهج: قال ـ عليه السلام ـ: «وآعجباه! أتكون الخلافة بالصُّحبَة[٥] ولا تكون بالصُّحبة والقرابة»؟[٦] وقال:

---

١. كنزل العمال ١١ / ٦٩٠.

٢. سورة ابراهيم / ٣٦.

٣. تاريخ الرسل والملوك ٣/٢١٨ ـ ٢٢٠.

٤. الامامة والسياسة / ٧ ـ ٨.

٥. في المصدر: بالصحابة.

«احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة»[٧]. فَجَعَل ـعليه السلام ـ يحتج علىٰ ابي بكر وعمر بعين احتجاجها علىٰ الانصار مع الزيادة.

وقال: ـكما في «الامامة والسياسة» ـ: يا معشر المهاجرين ! الله ! الله ! لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره الىٰ دوركم، وتدفعون اهله عن مقامه في الناس وحقه. فوالله ! يا معشر المهاجرين ! لنحن أحق الناس به، لإنّا أهل البيت ونحن احق بهذا الأمر منكم...[٨] الى آخره.

وأخرج الدارقطني: ان علياً احتج يوم الشورىٰ عليهم قائلاً: أُنشدكم الله هل فيكم احد أقرب الىٰ رسول الله في الرَّحِم مني، ومَنْ جعله نفسه، وابناءه أبناءه، ونساءه نساءه، غيري؟ قالوا: اللهم لا. رواه ابن حجر في «الصواعق»[٩]، واخرجه السيوطي في «جمع الجوامع» في مسند علي ـعليه السلام ـ عن عامر بن وائلة؟

ثم ان مما يدل علىٰ ان الخلافة بالأقربية ما في «الدر المنثور» للسيوطي ـ في تفسير سورة النصر ـ من كلام رسول الله (صلىٰ الله عليه واله) لعلي (عليه السلام): «لو كنتُ مستخلفاً أحداً، لم يكن أحد أحق منك، لِقدمك[١٠] في الاسلام، وقرابتك من رسول الله، وصهرك. وعندك سيدة النساء، وقبل ذلك كان من بلاء ابي طالب [اياي]»[١١]...[١٢]

٦. نهج البلاغة ٤/٤٣، الكلمة ١٩٠. وينبغي الإنتباه الىٰ انه قد وقع تحريف متعمد لهذه الجملة في العديد من طبعات «نهج البلاغة»، حيث استبدل قول الامام «وآ عجباه أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة؟» بـ«وا عجباه! أتكون الخلافة بالصحابة والقرابة؟».

٧. نهج البلاغة ١/١١٦، الخطبة ٦٣.

٨. الامامة والسياسة / ١٢.

٩. الصواعق المحرقة / ٩٣.

١٠. في المصدر: لقربك.

١١. الزيادة من المصدر.

١٢. الدر المنثور ٦/٤٠٧.

وهذا الحديث حجة من أصحابنا علىٰ اهل الاختيار، وفتنة لهم، حيث تركوا الأحق والاحرىٰ بنص رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ.

[التشكيك في اشتراط الأقربية والجواب عنه]

شاه عبدالعزيز الدهلوي وكلامه العاطل. قال في كتابه «التحفة الاثنىٰ عشرية»: لو كانت الاقربية الىٰ النبي ـص ـ من اسباب الخلافة، لزم ان يكون العباس عم النبي اولىٰ بها من علي، لان العم صنو الأب، وهو الاقرب شرعاً وعرفاً.

قلت: ان هذا الكلام مردود من وجوه:

اولها: انه نقضٌ علىٰ أبي بكر وعمر من تقدمهما علىٰ الأنصار وانتزاعهما الخلافة منهم بالقرابة، و[بـ] حديث إن قريشاً ولاة هذا الامر[1]. كما هو المستظهر من أنباء السقيفة.

وثانيها: أن الأقربية هي احدىٰ شروط الامامة عند اجتماع باقي الشروط من الأفضلية والأعلمية والعصمة، وليس للعباس عم النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ العصمة اِلّا ما كان له من سبق الكفر والضلالة وخروجه للحرب يوم بدر مع المشركين، وقد قال الله تعالىٰ: «لاينال عهدي الظالمين»[2].

وثالثها: اِنقطاع الولاية بين العباس وبين النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ في صريح القران من قوله تعالىٰ: «الذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من وَلايتهم من شيء»[3]. وكان العباس من اسارىٰ بدر وفدىٰ نفسه. ومثله عقيل بن ابي طالب، ولم يحضر بيعة الرضوان، ولم يكن ممن شهد الله له بالمغفرة، فكيف تجديه الأقربية؟

ورابعها: ان العباس لو عرف من نفسه التقدم والأحقية، لرشّح نفسه للخلافة،

---

١. تاريخ الرسول والملوك ٢/٢٠٣.

٢. سورة البقرة ١٢٤.

٣. سورة الانفال / ٧٢.

ولكن المعلوم منه ادعائها لعلي ـعليه السلام ـ، فأقدم بعد وفاة النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ الىٰ علي وقال له: امدد يدك لأُبايعك، فيقال عم رسول الله بايَعَ ابن عم رسول الله، ويبايعك اهل بيتك، فلا يختلف عليك اثنان.

اورد الحديث اهل التواريخ وكتب الحديث[١]. واحتج به أهل السُّنة علىٰ فقد النص علىٰ علي (عليه السلام). ولم يعلموا ان هذا من العباس تأكيد لأمر الامامة في علي ـعليه السلام ـ يوم الغدير خوفاً من تغلبهم عليه.

وخامسها: انه لما نزل قوله تعالىٰ: «وانذر عشيرتك الاقربين»[٢] جمع رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ بني عبدالمطلب، فقال لهم: اني بُعثتُ الىٰ الناس عامة، واليكم خاصة، فأيكم يبايعني علىٰ ان يكون أخي وصاحبي ووارثي وخليفتي؟

فلم يقم له اِلّا علي ـعليه السلام ـ، وكان اصغر القوم سنا. فقال: انا يا رسول الله! فقال النبي له: اجلس. ثم كرر القول عليهم الىٰ ثلاث، وفي كل مرة يقوم علي ـعليه السلام ـ ويقول: أنا يا رسول الله!. ففي المرة الثالثة ضرب بيده علىٰ علي وقال: هذا اخي ووصي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له واطيعوه[٣].

وهذا نصٌ علىٰ انه لم يكن للعباس عم النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ نصيب في الخلافة مع قربه منه، وانما الحظ والنصيب الأوفىٰ لعلي، ولذلك كان يقول ـعليه السلام ـ: «وبذلك ورثتُ ابن عمي» في جواب من قال: كيف ورثت ابن عمك؟ اخرجه النسائي في الخصائص[٤]، والمتقي في الكنز[٥]، وفي منتخب الكنز ـ المطبوع بهامش المسند[٦].

---

١. الامامة والسياسة / ٤.

٢. سورة الشعراء / ٢١٤.

٣. الدر المنثور ٥/٩٧، شواهد التنزيل ١/٣٧٢، مسند احمد ١/١١١، كفاية الطالب / ٢٠٤.

٤. خصائص علي بن ابي طالب / ١٨.

٥. كنزل العمال ١٢/٥١٤.

٦. منتخب كنز العمال ٥/٤٢٠.

وسادسها: ان احاديث النور ـ علىٰ ما سيأتي[١] ـ مشتملة علىٰ كون النبي وعلي نوراً بين يدي الله تعالىٰ قبل ان يخلق آدم. فلما خلقه الله تعالىٰ، سلك ذلك النور في صُلبه، ولم يزل ينقله من صُلب الىٰ صُلب حتىٰ أقرّه في صلب عبدالمطلب، ثم قسَّمه قسمين: قسماً في صلب عبدالله، وقسماً في صلب ابي طالب. انتهىٰ[٢].

فهذا صريح في انه لم يقر في صلب بقية ولد عبدالمطلب نورُ النبوة والإمامة، فضلاً عن بقية قريش.

ثم انه قد ظهر بما ذكرنا اندفاع كلام ابن المعتز العباسي ـ انتصاراً لأنفسهم واحتجاجاً علىٰ اولويتهم بالخلافة من ولد علي وفاطمة (عليهما السلام) ـ قائلاً في جملة أبيات:

لكـم رَحِـمٌ يـا بـني بـنتِهِ ... ولكـن بـنو العـم اولىٰ بهـا
ولمّـا أبىٰ الله أن تمـلكوا ... نهـضنا اليهـا وقـنا بهـا

ولقد أجابه صفي الدين في ابياته بقوله:

واذ جـعل الأمـر شـورىٰ لهـم ... فـهل كـان مـن بـعض اربـابها
أجَـدُّك يـرضىٰ بمـا قـلته ... ومـا كـان يـوماً بمـعنىٰ بهـا
وقـولك انـتم بـنو ابـنتَه ... ولكـن بـنو العـلم اولىٰ بهـا
بـنو البـنت أيـضاً بـنو عـمه ... وذلـك ادنـىٰ لأنسـابـها

---

١. في الصفحة ٣٢٠ ـ ٣٢١ من هذا الجزء، وفي الجزء الثالث.

٢. شرح نهج البلاغة ٢/٤٥٠.

خاتمة

في المُفاضلة



[كلمات الأصحاب في افضلية الامام علي من الامة]

عليٌ ـ عليه السلام ـ اولىٰ وأحق بالامامة والخلافة، وذلك لان علياً (عليه السلام) أفضل الامة بنص من الله تعالىٰ ورسوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، وشهادة الخيار من الصحابة بتمام مراتب الفضيلة من العلم والحكمة والعصمة والزهد والورع والتقوىٰ والشجاعة وكثرة الجهاد والعدالة وفصل الخصومة والقسمة بالسوية، وانه مثل رسول الله مخلوق من نور الله، وانه قرين النبي وعِدْله، بل ونفسه وأخوه.

اِنّ من شهادة الصحابة ما عرفت من كلمات ابي بكر وعمر في علي (عليه السلام) وكلام ابن مسعود وابن عباس وعمار وأبو ذر والمقداد. و:

١ ـ من كلام ابي بكر قوله: «أقيلوني، فلستُ بخيركم»، سيما مع زيادة قوله «وعلي فيكم» في رواية الفضل بن روزبهان [و] تلقيه له بالقبول في كتابه إبطال الحق، وهو من أعاظم علماء العامة.

٢ ـ ومن حديث ابي بكر في فضل علي (عليه السلام) ما في «الصواعق» قال: سمعت رسول الله ـ ص ـ يقول: «علي مني كمنزلتي من ربي». أخرجه ابن السمان[1].

٣ ـ ومن حديثه في «الصواعق» عن الشعبي قال: بينما ابو بكر جالس، اذ طلع علي، فلما راه قال: «مَنْ سَرَّه ان ينظر الىٰ أعظم الناس منزلة، وأقربهم قرابة، وأفضلهم حالة

---

١. الصواعق المحرقة / ١٠٦.

واعظمهم حقاً عند رسول الله، فلينظر الىٰ هذا الطالع»[١].

٤ ـ ومن حديث أبي بكر في فضل علي (عليه السلام) المختص به ـ ما في «الرياض النضرة» و«الصواعق المحرقة» ـ قوله: سمعت رسول الله (ص) يقول: «لا يجوز أحدٌ الصراط اِلّا مَنْ كتب له عليٌّ الجواز». اخرجه ابن السمان في الموافقة[٢].

٥ ـ ثم ان من شهادة الصحابة علىٰ ان علياً (عليه السلام) أفضل الأُمة ما في كتاب «الاستيعاب» لابن عبدالبر الاندلسي من انه روي عن سلمان، وابو ذر، والمقداد، وعمار، وحذيفة وخباب وابي سعيد الخدري وزيد بن أسلم ان هؤلاء فضّلوا علياً علىٰ غيره[٣]. انتهىٰ

أقول: مضافاً الىٰ هؤلاء: ابو بكر، وابنه محمد الملقَّب بعابد قريش، وعمر، وابنه عبدالله، والزبير، وعائشة، وخالد بن سعيد الأموي، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص، وحجر بن عدي، وجابر بن عبدالله، وذو الشهادتين، وقيس بن سعد، وأبو أيوب الانصاري، وسهل بن حنيف، والبرّاء بن عازب، والعباس بن عبدالمطلب، وجميع بني هاشم. بل وكل من شاهد يوم الغدير، وسمع قول النبي (صلىٰ الله عليه واله): «ألستُ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم»؟ ثم سمع منه قوله: «ألا من كنت مولاه، فهذا علي مولاه».

ثم انه لا منافاة بين اِعتقاد القوم بأن علياً ـ عليه السلام ـ مولىٰ الأُمة وافضل الصحابة وبين تخلّفهم عنه وعدم اِختيارهم له، اذ لا يلزم عند هؤلاء انطباق عملهم علىٰ معتقدهم، اِمّا لضعفهم وكرههم علىٰ التخلف، واِما لاِجتهادهم بلزوم تقديم الأصلح بحالهم او بحال الأُمة مع قصورهم أو تقصيرهم في مقدمات اِجتهادهم، واِما لجحودهم وتعندهم، كما في قوله تعالىٰ: «وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم»[٤]. وأما الجاهلون فهم في فسحة عما

١. الصواعق المحرقة / ١٠٦.

٢. الرياض النضرة ٢/٢٣٣ (و ٢/١٧٧ من طبعة اخرى). الصواعق المحرقة / ٧٥.

٣. الاِستيعاب ٢/٤٧٠.

٤. سورة النمل / ١٤.

يرتابون إنْ كان عن قصور لا تقصير.

ثم الذي يكشف عن تعند ثلة من منافقي الصحابة: ما رواه ابن قتيبة في «الإمامة والسياسة» ان رجلاً من همذان سمع ابن العاص يقع في[١] علي. فقال له الرجل: ان اشياخنا سمعوا النبي ـ ص ـ يقول: «من كنت مولاه، فعلي مولاه» فحقٌ ذلك؟ قال: عمرو: حقٌ، وازيدك انه ليس أحد من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب علي[٢].

٦ ـ وفي كتاب «مودة القربىٰ» للسيد علي الهمداني، في المودة السابعة: عن ابي وائل، عن عبدالله بن عمر قال: كنا إذا عددنا اصحاب النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قلنا: أبو بكر وعمر وعثمان. فقال رجل: يا ابا عبدالرحمن! فعليٌ؟ قال ابن عمر: علي من اهل البيت، لا يقاس به أحد، هو مع رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وفي ذريته[٣]، ان الله يقول: «الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان، ألحقنا بهم ذريتهم»[٤]. ففاطمة مع رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وفي درجته، وعلي معهما[٥]. انتهىٰ.

صريح الحديث ان علياً ـ عليه السلام ـ مع رسول الله (صلىٰ الله عليه واله) وفي درجته.

٧ ـ وفي «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني ـ عند ذكر احاديث سد الابواب ـ: عن ابن عمر قال: «كنا نقول في زمن رسول الله: رسول الله خير الناس، ثم ابو بكر، ثم عمر. ولقد أُعطي علي ثلاث خصال، لإن تكون لي واحدة منهن احبُّ

---

١ . يقع في: يسبّ ويعيب.

٢ . الامامة والسياسة / ١٠٩.

٣ . في ينابيع المودة ـ نقلاً عن المصدر ـ: «وفي درجته».

٤ . سورة الطور / ٢١.

٥ . المصدر مخطوط. وقد نقله عنه في ينابيع المودة / ٢٥٣.

اليَّ من حُمْر النَّعم[١]: زوّجه رسول الله ابنته وولدت له، وسد الابواب اِلّا بابه في المسجد، واعطاه الراية يوم خيبر». اخرجه احمد واِسناده حسن. قال العسقلاني: «وقد اعترف ابن عمر بتقديم عليٍ علىٰ غيره»[٢]. انتهىٰ.

٨ ـ واخرج النسائي من طريق علاء بن عرار بمهملات، قال: قلت لابن عمر: اخبرني عن علي وعثمان. فذكر حديث ابن حجر ثم قال: «وأما علي فلا تسأل عنه احد، وانظر الىٰ منزلته من رسول الله ـ ص ـ قد سدَّ أبوابنا في المسجد وأقرَّ بابه»[٣]. انتهىٰ

٩ ـ ويعاضد حديث العسقلاني والنسائي حديثُ ابن المغازلي في «المناقب» بسنده الىٰ رافع مولىٰ ابن عمر، قال: قلت لابن عمر: مَنْ خير الناس بعد رسول الله؟ قال: ما أنت وذاك؟ لا أُم لك. ثم قال: استغفرُ الله. خيرهم بعده مَنْ كان يحلُّ له ما كان يحل له، ويحرم عليه ما كان يحرم عليه. قلت: مَنْ هو؟ قال: علي، سدّ ـ ص ـ ابواب المسجد وترك باب علي، وقال له: «لك في هذا المسجد مالي، وعليك فيه ما عليَّ»[٤].

١٠ ـ ومن حديث ابن عمر في تفضيل علي (عليه السلام) ـ علىٰ ما في «منتخب كنز العمال» في هامش «المسند» لامام الحنابلة احمد ـ قوله: ثلاث خصال لعلي، لإن تكون لي واحدة منهن أحبُّ اليَّ من حُمْر النَّعم: زوَّجه ابنته فولدت له، وسدّ الابواب اِلّا بابه، وأعطاه

---

١. حُمْر النَّعم: خير الابل. كانت الابل اكثر اموال العرب، وكان خيرها وافضلها الابل الحمراء، وهي زعفرانية اللون وذو قدرة خارقة علىٰ تحمل الحر، وهي التي تسمىٰ «حمر النعم»، وقد كان العرب تتفاخر بتملكها. وصار «حُمْر النَّعم» مثلاً يُضرب لبيان اهمية الشيء وعظمته والرغبة الكثيرة في تحصيله.

٢. فتح الباري ٨/١٥، مسند أحمد بن حنبل ٢/٢٦.

٣. فتح الباري ٨/١٥. وقال: رجاله رجال الصحيح اِلّا علاء، وقد وثّقه يحيىٰ بن معين وغيره. وقد رواه ابن حجر عن النسائي في القول المسدد ١/٢٣.

٤. مناقب علي بن ابي طالب / ٢٦١.

الراية يوم خيبر[١]. انتهىٰ

١١ ـ وفي «الصواعق» و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي انه: اخرج ابو يعلىٰ عن أبي هريرة قال: قال عمر بن الخطاب: لقد أُعطي علي ثلاث خصال، لإن تكون لي خصلة منها أحبَّ اِليَّ من أن أُعطىٰ حُمْر النَّعم. فسُئل: ما هي؟ قال: تزويجه ابنته فاطمة، وسكناه في المسجد لا يحلَّ لي فيه ما يحل له، والراية يوم خيبر[٢].

١٢ ـ ومن حديث «منتخب الكنز» (في هامش المسند لأحمد) عن علي قال: قال عمر بن الخطاب: لقد أُعطي علي بن ابي طالب ثلاث خصال، لإن تكون فيَّ خصلة منها أحبُّ اِليَّ من أنْ أُعطىٰ حُمْر النَّعم. قيل: وما هي يا امير المؤمنين!؟ قال: تزوج فاطمة بنت رسول الله، وسكناه المسجد مع رسول الله يحلّ له فيه ما يحلُّ له، والراية يوم خيبر»[٣].

١٣ ـ وأخرج الخطيب الخوازمي في «المناقب»، والمحب الطبري في «الرياض النضرة» عن سالم قال: قيل لعمر: انك تصنع بعلي شيئاً ما تصنعه بأحد من اصحاب رسول الله! فقال: انه مولاي[٤]. ونحوه حديث ابن حجر في صواعقه[٥]، والعلامة المناوي في «فيض القدير».

١٤ ـ وأيضاً في «الصواعق»[٦]، و«المناقب»[٧] لابن خوارزم، و«الرياض النضرة»[٨]،

---

١. منتخب كنز العمال ٥/٣٩.

٢. الصواعق المحرقة /٧٦، تاريخ الخلفاء /١٧٢.

٣. منتخب كنز العمال ٥/٣٩.

٤. مناقب علي بن ابي طالب /٩٧. الرياض النضرة ٢/٢٢٤.

٥. الصواعق المحرقة /١٠٧.

٦. الصواعق المحرقة /١٠٧.

٧. مناقب علي بن ابي طالب /٩٨.

٨. الرياض النضرة ٢/٢٢٤، واللفظ له.

و«ذخائر العقبىٰ»[١] كلها بالإسناد الىٰ عمر بن الخطاب انه جاء أعرابيان يختصمان، فقال [عمر] لعلي: اقض بينهما يا ابا الحسن! فقضىٰ علي بينهما. فقال احدهما[٢]: هذا[٣] يقضي بيننا؟ فوثب اليه عمر وأخذ بتلبيبه[٤] وقال: «ويحك! ما تدري من هذا؟ هذا مولاي ومولىٰ كل مؤمن ومؤمنة، ومن لم يكن مولاه، فليس بمؤمن».

قلت: ان هذه لهي السياسة الداهية من عمر، اذ اِعترف اخيراً ـ بعد ان وصلت اليه الخلافة ـ لعلي (عليه السلام) بالولاية عليه وعلىٰ المؤمنين، وانكر اولاً عليه ذلك حتىٰ الاخوة لرسول الله (صلىٰ الله عليه واله)، وذلك يوم هجومه علىٰ الدار، واخراجه علياً قهراً الىٰ بيعة ابي بكر وهو يستغيث برسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ فلا يغاث، وعمر يقول: بايع وإلّا ضربنا عنقك. فقال: علي (عليه السلام): إذاً تقتلون عبدالله وأخا رسوله. قال عمر: أمّا عبدالله فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا ـ كما في «الامامة والسياسة» لابن قتيبة[٥]. ولما وصلت اليه النوبة، جعل يعترف لعلي (عليه السلام) بكل فضيلة، حسبما سمعت سابقاً من كلماته الىٰ هنا.

١٥ ـ وفي كتاب «مودة القربىٰ»: عن احمد بن محمد الكرزري البغدادي قال: سمعت عبدالله بن حنبل قال: سألت أبي عن التفضيل. فقال: «ابو بكر وعمر وعثمان». ثم سكت. فقلتُ: يا أبت! [اين][٦] علي بن ابي طالب؟ قال: «علي بن ابي طالب من اهل البيت،

---

١. ذخائر العقبىٰ / ٦٨.

٢. في مناقب علي بن ابي طالب»: «فقال المقضي عليه».

٣. في «مناقب علي بن ابي طالب»: «بهذا يقضي بيننا».

٤. أُخذ بتلبيبه: جمع ثوبه عند نحره في الخصومة وجَرَّه.

٥. الامامة والسياسة / ١٣.

٦. الزيادة من المصدر.

لا يقاس به هؤلاء»[١].

١٦ ـ وعن ابي علي يحيىٰ بن سعيد بن جزلة البغدادي ـ في كتابه المختار من مختصر تاريخ بغداد للخطيب، وعن كتاب «الموفقيات» للزبير بن بكار ـ انه دخل شريك القاضي علىٰ المهدي[٢]. فقال له المهدي: ما تقول في علي بن ابي طالب؟ قال: اقول فيه ما قاله ابوك العباس وعبدالله. قال: وما قالا؟

قال: «أما العباس. فمات وعلي عنده افضل الصحابة، وقد كان يرىٰ ان كبراء الصحابة يسألونه عما نزل من النوازل، وما احتاج هو الىٰ احد حتىٰ لحق بالله تعالىٰ. واما عبدالله، فانه كان يضرب بين يديه، وكان في حروبه رأساً مطاعاً وقائداً متبعا. فلو كانت إمامة علي جوراً، كان اولىٰ ان يقعد عنها أبوك، لعلمه بدين الله وفقهه في احكام الله ». فسكت المهدي واطرق. ولم يمض بعد هذا المجلس الا قليل حتىٰ عزل شريك.

١٧ ـ وفي «شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد انه روىٰ الواقدي قال: سُئل الحسن البصري عن علي (عليه السلام)، وكان يُظن به الاِنحراف، ولم يكن كما ظُن. فقال: ما أقول فيمن جمع الخصال الأربع: ائتمانه علىٰ سورة براءة، وما قال له في غزوة تبوك[٣]، فلو كان غير النبوة شيء يفوته، لاستثناه، وقول النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: الثقلان كتاب الله وعترتي. وانه لم يؤمَّر عليه أمير قط، وقد أُمّرت الامراء علىٰ غيره[٤].

١٨ ـ وفي الشرح أيضاً: عن أبان بن عياش قال: سألتُ الحسن البصري عن علي. فقال: «ما اقول فيه؟ كانت له السابقة والعلم والفضل والحكمة والفقه والرأي والصحبة والنجدة والبلاء والزهد والقضاء والقرابة. اِنّ علياً كان في امره عليا. رحم الله علياً وصلىٰ عليه».

---

١. المصدر مخطوط. رواه عنه في ينابيع المودة / ٢٥٣.

٢. هو محمد بن عبدالله المنصور، ثالث الحكام العباسيين (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ)

٣. المقصود من قول رسول الله للامام: «انت مني بمنزلة هارون من موسىٰ» .

٤. شرح نهج البلاغة ١/٣٦٩.

قلت: يا أبا سعيد! أتقول: «صلىٰ عليه» لغير النبي؟

فقال: ترحَّم علىٰ المسلمين اذا ذكروا. وصلى علىٰ النبي وآله، وعليٌّ خيرُ آله.

فقلتُ: أهو خير من حمزة وجعفر؟

قال: نعم.

قلت: وخير من فاطمة وابنيها؟

قال: نعم والله! انه خير آل محمد كلهم، ومَنْ يشك انه خير منهم؟ وقد قال رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ: «وابوهما خير منهما». ولم يَجْرِ عليه اسم الشرك، ولا شرب خمر، وقد قال رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـلفاطمة: «زوجتكِ خير أُمتي». فلو كان من أُمته خير منه لاستثناه. ولقد آخىٰ رسول الله (صلىٰ الله عليه واله) بين اصحابه، فآَخىٰ بين علي ونفسه، فرسول الله خير الناس نفسا، وخيرهم أخا.

فقلت: يا أبا سعيد! فما هذا الذي يقال عنك انك قلته في علي؟

فقال: يا ابن أخي! أحقن دمي من هؤلاء الجبابرة، لولا ذلك لسالت بي أُعشُب[١]. انتهىٰ.

١٩ ـ وفي «الصواعق المحرقة»: اخرج الطبراني وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال: ما أنزل الله «يا ايها الذين آمنوا» إلّا وعلي أميرها وشريفها. وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال: ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في علي. وأخرج عنه ايضاً قال: نزلت في علي ثلاثمائة آية[٢]. انتهىٰ. ورواه السيوطي في «تاريخ الخلفاء»[٣].

اقول: قوله: «ما انزل الله: يا ايها الذين آمنوا...» هو الذي اعتبره ابن عباس من نص النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ علىٰ علي بأنه: أمير المؤمنين، وأمير البررة، وسيد

---

١. شرح نهج البلاغة ١/ ٣٦٩.

٢. الصواعق المحرقة / ٧٦.

٣. تاريخ الخلفاء / ١٧١ ـ ١٧٢.

المؤمنين، وسيد المسلمين، ويعسوب[١] المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغُرّ المُحَجَّلين، وانه سيد في الدنيا وسيد في الآخرة، وانه سيد العرب، كما في احاديث ابي نعيم في «الحلية»[٢]، والحاكم في «المستدرك»[٣]، وابن حجر في «الصواعق»[٤]، والمالكي في «الفصول المهمة»[٥]، والكنجي في «كفاية الطالب»[٦]، والمحب الطبري في «ذخائر العقبیٰ»[٧].

[مجموعة أدلة علىٰ افضلية الامام علي]

وان من الأحاديث الصريحة في أفضلية علي (عليه السلام) ما في «المناقب» لأخطب خوارزم، والكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» بالإسناد الىٰ مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ـ صلیٰ الله عليه واله ـ: «لو أن الأرض أقلامٌ[٨]، والبحر مدادٌ، والجن حُسَّابٌ، والانس كُتَّابٌ، ما أحصوا فضائل علي بن ابي طالب»[٩].

ومن حديث «كفاية الطالب» عن ابي عقال ـ في حديث طويل ـ قال فيه: يا رسول الله! أيهم أحبّ اليك؟ قال: علي. قلت: ولم ذلك؟ قال: «لاني خُلقتُ أنا وعلي من نور واحد. يا أبا عقال! فضل علي علیٰ سائر الناس كفضل جبرئيل علیٰ سائر الملائكة». وهذا حديث

---

١. يعسوب: الرئيس، السيد، المقدَّم، الملاذ.

٢. حلية الاولياء ١/٦٣، ٦٤، ٦٦.

٣. المستدرك علیٰ الصحيحين ٣/١٢٩، ١٣٧.

٤. الصواعق المحرقة / ٧٥.

٥. الفصول المهمة / ١٠٧، ١١٢.

٦. كفاية الطالب / ٧٦، ١٨٤، ١٩٠.

٧. ذخائر العقبیٰ / ٧٠.

٨. في المصدرين: «لو أن الغِياض أقلام».

٩. مناقب علي بن ابي طالب / ٢، كفاية الطالب ٢٥١ ـ ٢٥٢.

حسن عال[١]. انتهىٰ.

ان علياً ـ عليه السلام ـ هو المخصوص بخلق الملائكة من نوره، في «مناقب» اخطب خوارزم بالإسناد الىٰ أنس بن مالك قال: قال رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «خلق الله من نور علي بن ابي طالب سبعين ألف ملك»[٢]. وفيها بالإسناد الىٰ عثمان بن عفان قال: قال عمر بن الخطاب: ان الله خلق ملائكةً من نور وجه علي[٣]. انتهىٰ

[وعن] الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب»، وابن المغازلي بالإسناد الىٰ جابر بن عبدالله قال: كان رسول الله ـ ص ـ بعرفات، وعليٌ تجاهه، فأومىٰ النبي الىٰ علي وقال: أُدْنُ مني يا علي! فدنىٰ علي منه، فقال (ص): [ضع][٤] خمسك في خمسي ـ يعني كفك في كفي ـ. يا علي! خلقتُ انا وانت من شجرة أنا اصلها، وانت فرعها، والحسن والحسين اغصانها، فمن تعلَّق بغُصن من اغصانها أدخله الله الجنة[٥]. فهل يخرج من الطيب الا الطيب؟ انا مدينة العلم وعليٌ بابها، ومن اراد المدينة فليأتها من بابها[٦].

دل الحديث علىٰ ان امير المؤمنين (عليه السلام) هو السابق الىٰ رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وأنهما مخلوقان من نور واحد ومن شجرة واحدة، لا فصل بينهما في مبدأ التكوين الىٰ الخروج من هذا العالم، وكذلك في عالم الظاهر، فان النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ جعل علياً (عليه السلام) باب مدينة علم النبوة، وأمَرَ الأُمة بالإتيان اليه، فمن هو كذلك

---

١. كفاية الطالب / ٣١٦ ـ ٣١٧.

٢. مناقب علي بن ابي طالب / ٣١.

٣. مناقب علي بن ابي طالب / ٢٣٦.

٤. الزيادة من «كفاية الطالب».

٥. كفاية الطالب / ٣١٨، واللفظ له. مناقب علي بن أبي طالب / ٢٩٧، مع اختلاف غير مخلّ بالمقصود.

٦. كفاية الطالب / ٢٢٠. وصدره: «شجرة انا اصلها، وعلي فرعها، والحسن والحسين ثمرتها، والشيعة ورقها».

كان في أعلىٰ المرتبة بعد مرتبة النبوة.

ان علياً ـ عليه السلام ـ هو السابق الىٰ رسول الله (صلى الله عليه واله)، وأن مَثَله مَثَل عيسىٰ بن مريم (عليه السلام)، وانه اجتمعت فيه خصال اولي العزم من الانبياء، وانه سلَّم عليه المقربون للملأ الأعلىٰ، وانه اثنىٰ عليه جبرئيل في السماء، وانه جمع له النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ بين الراية واللواء، وانه كان يبعثه رسول الله (صلىٰ الله عليه واله) بالسريّة وجبرئيل وميكائيل عضداه. كل ذلك لأحاديث نبوية واردة في كتب أهل السنة.

اما احاديث السبق الىٰ رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، ففي «الصواعق المحرقة» (الحديث التاسع والعشرون): اخرج الديلمي عن عائشة، والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس ان النبي ـ ص ـ قال: «السُّبّق ثلاثة: السابق الىٰ موسىٰ: يوشع بن نون، والسابق الىٰ عيسىٰ: صاحب يٰس، والسابق الىٰ محمد: علي بن أبي طالب»[1].

قال: الحديث الحادي والثلاثون: اخرج ابو نعيم وابن عساكر عن ابن أبي ليلىٰ ان رسول الله ـ ص ـ قال: «الصدّيقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل يٰس، قال: يا قوم اتبعوا المرسلين. وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله. وعلي بن ابي طالب، وهو أفضلهم[2] انتهىٰ.

دل الحديث علىٰ حصر الصدّيق فيهم، وان علياً ـ عليه السلام ـ هو أفضل الصدّيقين.

وأمّا ان مَثَل علي ـ عليه السلام ـ مثل عيسىٰ (عليه السلام)، ففي «الصواعق المحرقة» و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي ـ باب فضائل علي ـ: انه اخرج البزّار وأبو يعلىٰ والحاكم عن علي قال: دعاني رسول الله، فقال: ان فيك مثلاً من عيسىٰ، أبغضه اليهود حتىٰ بهتوا أُمّه، واحبته النصارىٰ حتىٰ نزّلوه بالمنزل الذي ليس به. ثم قال علي (عليه السلام):

---

١. الزيادة من «كفاية الطالب».

٢. الصواعق المحرقة / ٧٥.

ألا وإنه يهلك فيَّ إثنان: محب مفرط يفرطني بما ليس فيَّ، ومبغض يحمله شنآني علىٰ أن يبهتني[١]. انتهىٰ. الحديث اخرجه الحاكم في «المستدرك»[٢].

والشيخ سليمان القندوزي الحنفي في الباب الرابع والاربعين من كتاب «ينابيع المودة» قال: وفي مسند احمد بسنده عن علي ـ كرم الله وجهه ـ: قال: قال رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «والذي نفسي بيده لولا أن تقول طوائف من أُمتي فيك ما قالت النصارىٰ في عيسىٰ بن مريم، لقلت فيك مقالاً لا تمُرّ بملأٍ من المسلمين إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة».

وأيضاً: اخرج احمد في مسنده هذا الحديث بلفظه عن ابن مسعود، وايضاً اخرج هذا الحديث موفق بن احمد الخوارزمي[٣]. انتهىٰ.

قلت: واخرج الحديث اليمني الشافعي في كتاب «الاِكتفاء» وأخطب خوارزم في «المناقب» عن الديلمي عن علي قال: قال لي رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «لولا أن تقول فيك طوائف من أُمتي ما قالت النصارىٰ في عيسىٰ بن مريم، لقلتُ فيك قولاً لا تمر بملأ [من المسلمين] إلّا [و] أخذوا من تراب رجليك[٤] وفضل طهورك، يستشفون به. ولكن حسبك ان تكون مني وانا منك، ترثني وارثك، وانت مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا انه لا نبي بعدي[٥]. رواه ايضاً ابن ابي الحديد ـ عن مسند احمد ـ في الشرح[٦].

واما احاديث تشبيه علي (عليه السلام) بالانبياء وانه اجتمعت فيه اوصافهم، ففي

---

١. الصواعق المحرقة /٧٤. تاريخ الخلفاء.

٢. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٢٣.

٣. ينابيع المودة /١٣١.

٤. في مناقب علي بن ابي طالب: «نعليك».

٥. مناقب علي بن ابي طالب / ٧٥ ـ ٧٦، والزيادات منه. و«الاكتفاء» مخطوط.

٦. شرح نهج البلاغة ٢/٤٤٩، مع اختلاف غير مخل، وليس فيه ذيل الحديث المذكور.

«الرياض النضرة»[١] و«ذخائر العقبیٰ»[٢] و«مناقب»[٣] الخوارزمي، و«الفصول المهمة»[٤] لابن صبّاغ المالكي عن ابي الحمراء قال: قال رسول الله ـ ص ـ: «من أراد أن ينظر الیٰ آدم في علمه، والیٰ نوح في فهمه، والیٰ ابراهيم في حلمه، والیٰ يحيى في زهده، والیٰ موسیٰ في بطشه، فلينظر الیٰ علي بن ابي طالب». قال ابن ابي الحديد في «شرح النهج»: رواه احمد بن حنبل في «المسند»، ورواه البيهقي في صحيحه[٥].

وهذا الحديث كما تریٰ صريح في افضلية علي ـ عليه السلام ـ من هؤلاء الأنبياء، حيث دل علیٰ اجتماع الاوصاف التي اختص كل واحد منهم بواحدة من تلك الصفات الممدوحة في علي (عليه السلام)، فبالأولوية القطعية يدل علیٰ افضلية أمير المؤمنين (عليه السلام) من بقية الصحابة.

وأمّا باقي خصائص علي ـ عليه السلام ـ التي أشرنا اليها، فقد تعرض لها ابن كثير الدمشقي في تاريخه «البداية والنهاية»[٦]. قال: وحديث ان «رسول الله ـ ص ـ كان يبعث علياً بالسرية وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره» رواه ابن جرير مسنداً الیٰ جابر بن عبدالله. قال: وهكذا رواه أبو يعلیٰ، والامام احمد عن وكيع، ورواه زيد العمي وشعيب بن خالد عن ابن ابي اسحاق[٧]... الى آخر ما قال.

ورواه ايضاً المحب الطبري في «الرياض» و«ذخائر العقبیٰ عن عمرو بن حبيش قال:

---

١ . الرياض النضرة ٢/٢٩٠ (و٢/٢١٨ من طبعة اخرى). واللفظ له.

٢ . ذخائر العقبیٰ / ٩٣. واللفظ موافق له.

٣ . مناقب علي بن ابي طالب / ٢٢٠، مع اختلاف غير مخل بالمقصود.

٤ . الفصول المهمة / ١٠٧. مع اختلاف غير مخل.

٥ . شرح نهج البلاغة ٢/٤٤٩. مع اختلاف غير مخل.

٦ . البداية والنهاية ٧/٣٣٣ ـ ٣٦٢.

٧ . البداية والنهاية ٧/٣٣٣.

خطبنا الحسن بن علي ـ حين قُتل علي ـ فقال: «لقد فارقكم رجلٌ إن كان رسول الله يعطيه الراية، فلا ينصرف حتىٰ يفتح الله عليه». اخرجه احمد في المناقب[1].

وفيها: عن الحسن بن علي قال: انه كان «يبعثه النبي ـ ص ـ علىٰ السرية، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، فلا ينصرف حتىٰ يفتح الله عليه» اخرجه أحمد[2]. انتهىٰ

والذي يدل علىٰ اختصاص حمل الراية واللواء بعلي ـ عليه السلام ـ في الدنيا والآخرة، لم يشاركه فيه أحد، جملة من الاحاديث المعتبرة:

١ / ففي منتخب الكنز ـ المطبوع بهامش «المسند» عن جابر بن سمرة قالوا: يا رسول الله! مَنْ يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال: «من يحسن حملها إلّا مَنْ حملها في الدنيا: علي بن ابي طالب». [اخرجه] الطبراني[3].

٢ / ومن حديثه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ـ ص ـ لعلي: «انت أمامي يوم القيامة، يُدفع إليَّ لواء الحمد، فأدفعه اليك، وأنت تذود الناس عن حوضي». [اخرجه] ابن عساكر[4].

٣ / وفي «ذخائر العقبىٰ» و«الرياض النضرة» عن ابن عباس قال: «كان علي آخذاً راية رسول الله ـ ص ـ يوم بدر». فقال الحَكَم: «يوم بدر والمشاهد كلها». اخرجه احمد في المناقب[5].

٤ / وفيها عن علي (عليه السلام) قال: كُسِرَتْ يدي يوم أُحد، فسقط اللواء من يدي، فقال رسول الله ـ ص ـ «ضعوه علىٰ يده اليسرىٰ، فانه صاحب لوائي في الدنيا

---

١. الرياض النضرة ٢/٢٥٠، ذخائر العقبىٰ / ٧٤.

٢. الرياض النضرة ٢/٢٥١، ذخائر العقبىٰ / ٧٤.

٣. منتخب كنز العمال ٥/٥٠.

٤. منتخب كنز العمال ٥/٥٠.

٥. ذخائر العقبىٰ / ٧٥، الرياض النضرة ٢/٢٥١.

والآخرة»[١].

٥ / وفي مستدرك الحاكم وتلخيص الذهبي عن عكرمة عن ابن عباس قال: «لعلي أربع خصال ليست لأحد: هو اول عربي وعجمي صلىٰ مع رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زمن، والذي[٢] صبر معه يوم المِهْراس[٣]، وهو الذي غَسَّله وادخله قبره»[٤].

قلت: اراد ابن عباس بيوم المِهْراس واقعة أُحُد وما اشتد فيها علىٰ النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ، والتي دافع فيها علي (عليه السلام) اشد الدفاع بعد أن انكشف عن النبي اصحابه وصعدوا الجبل، والنبي يدعوهم في أُخراهم، لا يلوون عليه، كما في القران[٥].

وفي تاريخ الطبري عن أبي رافع [عن أبيه عن جده][٦] قال: لما قَتَل علي بن ابي طالب (يوم بدر) أصحاب الأولوية، أبصر رسول الله ـص ـ جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي: اِحملْ عليهم. فَحمَل عليهم، ففرَّق [جمعهم، وقتل عمرو بن عبدالله الجمحي. ثم أبصر رسول الله ـص ـ جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي: اِحْمِلْ عليهم، فحمل عليهم، ففرَّق][٨] جماعتهم، وقتل شيبة بن مالك، فقال جبرئيل: يا رسول الله! ان هذا للمواساة. فقال رسول الله ـص ـ: انه مني وأنا منه. فقال جبرئيل: وانا منكما. قال: فسمعوا صوتا: «لا

---

١. ذخائر العقبىٰ / ٧٥، الرياض النضرة ٢/٢٥١.

٢. في الاستيعاب ٢/٤٥٧، وذخائر العقبىٰ / ٨٦، والمناقب ـ للخوارزمي ـ /: «وهو الذي...».

٣. المِهْراس: اسم ماءٍ كان في أُحُد.

٤. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١١١، تلخيص المستدرك ٣/١١١.

٥. سورة آل عمران / ١٥٣.

٦. الزيادة من المصدر.

٧. الزيادة من المصدر.

٨. الزيادة من المصدر.

سيف اِلّا ذو الفقَار[١]، ولا فتىٰ اِلّا علي»[٢]. انتهىٰ

وفي المناقب ـ للخطيب الخوارزمي ـ: عن محمد بن اسحاق بن يسار قال: هاجت ريح في ذلك اليوم، فَسُمع منادٍ يقول: لا سيف اِلّا ذو الفقَار؟ ولا فتىٰ اِلّا علي»[٣].

وفي «ذخائر العقبىٰ» و«الرياض النضرة» عن ابي جعفر محمد بن علي قال: «نادىٰ مَلَك من السماء يوم بدر ـ يقال له رضوان ـ ان لا سيف اِلّا ذو الفقَار، ولا فتىٰ اِلّا علي»[٤].

وفي «شرح نهج البلاغة» ـ لابن ابي الحديد ـ في الحديث: انه سُمع يوم اُحُد صوت من الهواء من جهة السماء [يقول][٥]: «لا سيف اِلّا ذو الفقار، ولا فتىٰ اِلّا علي» وان رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قال: هذا صوت جبرئيل»[٦].

وفي «تذكرة خواص الامة» لسبط ابن الجوزي: انه ذكر أحمد في كتاب «الفضائل» انهم سمعوا تكبيراً من السماء يوم خيبر وقائلاً يقول: «لا سيف اِلّا ذو الفقَار، ولا فتىٰ اِلّا علي»[٧].

وفي «ينابيع المودة» للشيخ سليمان القندوزي في الباب الأربعين، والشرح لابن ابي الحديد من حديث احمد بن حنبل في كتاب «الفضائل» عن علي كرم الله وجهه ـ قال: لمّا كانت ليلة بدر، قال رسول الله (صلىٰ الله عليه واله): مَنْ يستقي لنا ماءاً؟ فأحج الناس. فقام

١. فقَار: فقرات الظهر جمع «فقارة» وهي واحدة من عظام السلسلة العظيمة الممتدة من الرأس الىٰ العصعص.

سمي السيف الذي كان يحارب به الامام علي بذي الفقَار لانه كان في وسطه مثل فقرات الظهر، او لأنه كان فيه حُزُوز، فشُبّهت بالفقار، او لانه كان فيه حُفر صغار، ويقال للحفرة فُقر وجمعه فقار.

٢. تاريخ الرسل والملوك ٢ / ٥١٤.

٣. مناقب علي بن أبي طالب / ١٠٧.

٤. ذخائر العقبىٰ / ٧٤، اترياض النضرة ٢ / ٢٥١.

٥. الزيادة من المصدر.

٦. شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٣٦.

٧. تذكرة خواص الامة / ٢٦.

علي، فاحتضن قربة، ثم أتىٰ بئراً بعيدة [القعر][١] مظلمة، فانحدر[٢] فيها، فاوحىٰ الله الىٰ جبرئيل وميكائيل واسرافيل أن تأهبوا لنصر محمد وأخيه وحزبه[٣]. فهبطوا من السماء، لهم الغطّ[٤]، يذعر مَنْ يسمعه، فلما حاذوا البئر، سلموا علىٰ عليٍ من عند ربهم عن آخرهم[٥] إكراماً وإجلالاً[٦]. انتهىٰ.

---

١ . الزياد من المصدرين .

٢ . اِنحدر : نزل.

٣ . في المصدرين : «محمد وحزبه».

٤ . الغطّ : الصوت.

٥ . في شرح نهج البلاغة ومخطوطة «الفضائل» : «من عند آخرهم».

٦ . ينابيع المودة / ١٢٢، شرح نهج البلاغة ٢ / ٤٥٠ مع اختلافات.

[فضائل الامام علي التي توجب كونه ثاني اِثني رسول الله][1]

ان علياً ـ عليه السلام ـ ثاني اثني رسول الله، لاختصاصه (دون غيره) بمناقب اِقتضت بلوغ علي ـ عليه السلام ـ من النبي (صلىٰ الله عليه واله) هذه المرتبة، فمنها:

١ ـ وقوف علي (عليه السلام) في جمع مواقف النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ ومعاركه، ونصرته له وفداؤه بنفسه في ليلة الهجرة ويوم بدر واُحُد والأحزاب وواقعة خيبر ويوم حنين، فانه ـ عليه السلام ـ هو الفرد المقدام، وكاشف الكرب عن وجه رسول الله (صلىٰ الله عليه واله)، فصار ثاني اثني النبي، وصار جبرئيل ثالثهما، كما في «الرياض النضرة» و «ذخائر العقبىٰ» بالاسناد الىٰ ابي رافع قال: لما قَتَلَ عليٌ اصحاب الألوية، قال جبرئيل: يا رسول الله ! اِنَّ هذه لهي المواساة. فقال له النبي ـ ص ـ: انه مني وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله! اخرجه احمد في المناقب[2]. انتهىٰ.

وقد سمعتَ الحديث من رواية الطبري صاحب التاريخ، ورواه ايضاً ابن ابي الحديد

---

١. في هذا الفصل يقوم المؤلف بذكر مجموعة من فضائل الامام علي التي أوجبت بلوغه مرتبة ثاني اثني رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، مريداً بذلك الاستدلال علىٰ انه لما صار الامام ثاني اثني النبي، كان هو الافضل بعده، وحنيئذ تعين كونه خليفته.

٢. الرياض النضرة ٢/٢٢٧، ذخائر العقبىٰ / ٦٨.

في «شرح النهج»[١].

وستأتيك أحاديث «علي مني وانا من علي، ولا يؤدي عني اِلّا أنا أو علي» كما في مسند أحمد[٢]، و«السنن» لابن ماجة[٣]، و«خصائص» النسائي[٤]، و«الصواعق» لابن حجر[٥]، والترمذي في جامعه[٦]، وابن كثير في «البداية والنهاية»[٧].

ومن حديث الخطيب الخوارزمي في «مناقب علي» ـ عليه السلام ـ[٨]، والكنجي الشافعي في «كفاية الطالب»[٩]، والشيخ سليمان القندوزي في «ينابيع المودة»[١٠] باسنادهم الىٰ علي ـ عليه السلام ـ: قال له رسول الله: «يا علي! حسبك أن تكون مني وانا منك، ترثني وأرثك، وانت مني بمنزلة هارون من موسىٰ اِلّا أنه لا نبي بعدي، وانت تؤدي ديني، وتقاتل علىٰ سنتي، وانك في الآخرة معي، وانك علىٰ الحوض خليفتي، وانت اول من يُكسىٰ معي، وانك اول داخل الجنة من اُمتي، وان حربك حربي، وسلمك سلمي، وسرك سري،

---

١. شرح نهج البلاغة ٣/٣٧٢.

٢. مسند أحمد بن حنبل ٤/١٦٤ ـ ١٦٥.

٣. سنن ابن ماجة ١/٤٤. والذي فيه «... ولا يؤدي عني اِلّا علي».

٤. خصائص علي بن ابي طالب / ١٤.

٥. الصواعق المحرقة / ٧٣.

٦. سنن الترمذي ٥/٦٣٦.

٧. البداية والنهاية ٧/٣٥٧.

وروي الحديث ايضاً في كل من: تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الامام علي ٢/٣٧٨ ـ ٣٧٩، مناقب علي بن ابي طالب ـ للواسطي ـ / ٢٢، مناقب علي بن ابي طالب ـ للخوارزمي ـ / ٧٩، فرائد السمطين ١/٥٩.

٨. مناقب علي بن ابي طالب / ٩٦، والذي فيه مقدار من الحديث المذكور هنا.

٩. كفاية الطالب / ٢٦٤ ـ ٢٦٥، والذي فيه مقدار من الحديث المذكور هنا.

١٠. ينابيع المودة / ١٣٠. والذي فيه مقدارٌ من الحديث المذكور هنا.

وعلانتيك علانيتي، وأمرك امري، وسرير صدرك سرير صدري، وان وُلدك وُلدي، وانت منجز عداتي، وان الحق معك وعلىٰ لسانك وفي قلبك وبين عينيك، والايمان مخالط بلحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي... الى اخر كلامه.

ان الناظر في هذه الجملة من الاحاديث يرىٰ ان رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ ساوىٰ بينه وبين علي (عليه السلام) بقوله: «انت مني وانا من» من غير ثالث بينهما، ثم عقّبه ببيان ما يلازم هذا الاستواء من المواساة في الجهاد واستئصاله اهل العناد، ومن الاستواء في التبليغ والاداء، وان المبلّغ عن الله اِمّا النبي واِمّا علي، ومن التساوي في الأمر والنهي والحرب والسلم. فعلي ثاني اثني رسول الله (صلىٰ الله عليه واله) فيما تضمنته الاحاديث. ومنها الاستواء في قوة الايمان ورسوخه في قلب كل منهما علىٰ السواء، واِلّا فمجرد كون الانسان ثاني اثنين للآخر لا يُعدُّله فضلاً، وابو بكر انما كان ثاني اثنين في الغار ـ كما في الآية ـ[1]، فلا يكون فيه من الفضل ما قد توهمه اهل السنة.

نقد كلامهم ان ابا بكر ثاني اثنين. قالت الجماعة: ان ابا بكر ثاني اثنين في مواقف النبي ـ ص ـ، وفي مجالسته وخدماته ودعوته للدين، ولما مرض النبي ـ ص ـ قام مقامه في الصلاة، فلما توفي بعده ابو بكر دُفن بجنبه، فكان ثاني اثنين هناك أيضاً.

قال ابن حجر الهيثمي في صواعقه: نقل البغوي ـ في قوله تعالىٰ: «ثاني اثنين» ـ قال رسول الله (ص) لأبي بكر: انت صاحبي في الغار، وصاحبي علىٰ الحوض. قال الحسن بن الفضل: مَنْ قال ان ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله، فهو كافر، لاِنكار نص القران[2]. انتهىٰ

قلت: ان ذلك منقوض بقول مَنْ قال بأن رافعي النص عن علي ـ عليه السلام ـ كافر، لاِنكاره الضروري من نص الكتاب والسنة.

ثم اقول: اي سنة معتبرة ـ غير هذا المختلق ـ نهضت بان ابا بكر صاحب رسول الله

---

١. سورة البراءة / ٤٠.

٢. الصواعق المحرقة / ١٥١.

علىٰ الحوض؟ وهذا من الاحاديث الموضوعة في قبال ما تضمن ان علياً (عليه السلام) هو صاحب النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ علىٰ حوضه، وانه يذود المنافقين عنه، كما سيأتي.

واما دعوىٰ وقوف ابي بكر مع النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في جميع مواقفه، ففيها: ما كان استنفاع النبي من وقوفه؟ فأي فتح صار علىٰ يده؟ أم أي مبارزة حصلت منه؟ أم أي قتيل قتله؟ أم أي جريح جرحه؟ أو أي جرح تحمله؟ فلم يظهر منه غير تأمين مستقبله، ولذا امتنع يوم أُحد عن الخروج الىٰ مكافحة ابنه عبدالرحمان، او منعه النبي (صلىٰ الله عليه واله) لما عرف من عجزه، فكان هو وعمر من الفارّين يوم أُحد ويوم خيبر، ولم يخرج واحد منهما الىٰ مبارزة عمرو يوم الاحزاب، اِذ بلغت القلوب الحناجر، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدا سوىٰ علي ـ عليه السلام ـ [١]، وسواه ايضاً يوم حُنين.

وفي «تاريخ الخلفا» للسيوطي: قال سعيد بن المسيب: أصابت علياً يوم أُحد ست عشرة ضربة[٢] وثبت في مكانه.

وفيه: قال جابر بن عبدالله: حَمَل علي ـ عليه السلام ـ يوم خيبر الباب علىٰ ظهره حتىٰ صعد المسلمون عليه ففتحوها؟ وانهم جروه بعد ذلك، فلم يحمله اِلّا اربعون رجلاً[٣].

فهذا هو الموقف الذي يعزّ به الدين، فهل لأبي بكر مثل هذا الموقف؟ فلو كان، لبان. ونحن وجميع المسلمين اذا راجعنا التواريخ. لم نر لأبي بكر موقف جدال وكفاح من اول يوم من غزوات النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ الىٰ آخر غزواته، فانه قط لم يخالط الصفوف، ولم يهابه المشركون حتىٰ انهم يقصدوه. والوحشي في يوم أُحد انما تعهد قتل واحد من الثلاثة من النبي (صلىٰ الله عليه وآله) أو علي أو حمزة، ولم يكن ابو بكر فيمن تعهده الوحشي ـ لو كان ابو بكر أشجع ـ.

---

١. يأتي شيء من تفصيل ذلك في الجزء الثالث من هذا الكتاب، في الصفحة ١٢٠ ـ ١٢٦.

٢. تاريخ الخلفاء / ١٦٧.

٣. تاريخ الخلفاء / ١٦٧.

واما وقوف أبي بكر في العريش مع النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ يوم بدر، فلم يُنقل في ذلك عملاً مشهورا، غير ان سيفه بيده، من غير أن يُعلم كونه ذاباً عن النبي (صلىٰ الله عليه واله) أو عن نفسه، وينفي الأول عدم خروجه الىٰ مبارزة من طلب من المشركين البِراز غير ثلاثة من الانصار ابتداءاً، فاتقاؤه برسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ هو المتعين دون اِتقاء النبي به.

كيف يقال ان ابا بكر كان يحرس النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ في العريش والحال ان حارسه فيه سعد بن معاذ، كما نص عليه ابن القيم الجوزية في «زاد المعاد» ومحمد أبو زيد في «مختصر زاد المعاد» ـ عند ذكر حرس النبي (صلىٰ الله عليه واله) ـ قائلاً: «فمنهم سعد بن معاذ، حرسه يوم بدر حين نام في العريش، ومحمد بن مسلمة، حرسه يوم أُحد، والزبير بن العوام، حرسه يوم خندق..»[1]. الى آخره. فأين كان أبو بكر في تلك المواقع؟ وما صرفه عنه ولم يذبّ عنه؟ فهل يجعل عدم العطاء دليلاً على السخاء؟

واما قولهم ان ابا بكر كان يدعو الىٰ الدين، فهذا شيء يعم المؤمنين، وهو من واجبهم بما يتمكنون، فليس هذا من خصائصه، ألا ترىٰ انه لم يتمكن من اِسلام ابيه ابي قحافة، واسلام ابنه عبدالرحمان حتىٰ أسلما عام الفتح؟

واما قيام ابي بكر مقام النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ، فكونه بأمر من عائشة وتمويه منها، لا بأمر رسول الله (صلىٰ الله عليه واله)، أوفق بالصواب عند مَنْ نظر في احاديث الباب[2].

وأما دفن ابي بكر الىٰ جنب النبي (صلىٰ الله عليه واله) فللشيعة للاِنكار عليه احتجاج واضح بعد بطلان عدم توريث الأنبياء عندهم، فيكون المدفن داخلاً في ملك الورثة، ولا يلحق بأبي بكر في مقدار دفنه ودفن صاحبه من نصيب عائشة وحفصة ـ وراثةً

١. زاد المعاد ١ /١١٢، مختصر زاد المعاد / ٣٧.

٢. راجع كتاب «نقض كتاب الصواعق المحرقة» / ١٢٤ ـ ١٣٣.

مع النبي (صلىٰ الله عليه واله) ـ إلّا مقدارِ مـَفْحص قَـطاة، إلّا شِـبراً في شِـبر. ومـا في الصواعق المحرقة من ان الحسن المجتبىٰ أوصىٰ بدفنه في حجرة رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، فمنعه مروان[١]. فجوابه ان الامام اوصىٰ بأن يدفن في نصيب اُمه فاطمة (صلوات الله عليها)، وهو ما عدىٰ الُثمن من الحجرة. ومنع مروان ظلمٌ علىٰ اهل البـيت ـ عـليهم السلام ـ في ميراثهم عن النبي (صلىٰ الله عليه واله) بصريح القران.

والان فلنعد الىٰ ما كنا فيه من بيان أفضلية امير المؤمنين (عليه السلام) وأحقيته بالامامة من باب الافضلية والاسبقية والاقدمية، وانه ـ عليه السلام ـ بلغت به الفضيلة حتىٰ صار ثاني اثني النبي (صلىٰ الله عليه واله)، يعني ان جميع ما فضَّل الله تعالىٰ به رسوله، جَعَل علياً فيه عِدْله وقرينه ما عدىٰ النبوة، فمن تلك الجهات ما قد عرفت.

٢ ـ ومنها: سبق الايمان. في شرح النهج للمعتزلي كلامه ـ عليه السلام ـ : «ما عبد الله أحد قبلي اِلّا نبيه. ولقد هجم علينا أبو طالب، وانا وهو ساجد، فقال: أفعلتموها. ثم قال لي: ويحك! انظر ابن عمك، ويحك! لا تخذله. وجعل يحثني علىٰ مؤازرته. فقال له رسول الله: افلا تصلي انت معنا يا عم؟ فقال: لا أفعل يا ابن اخي! لا تعلوني استي. ثم انصرف[٢]. انتهىٰ. ثم تعرض ابن ابي الحديد لذكر احاديث سبق ايمان علي ـ عليه السلام ـ من كتاب «الاستيعاب» لابن عبدالبر الاندلسي[٣].

---

١. الصواعق المحرقة / ٨٣. ولا يخفىٰ ان الذي فيه ان الامام الحسن طلب من عائشة ان يدفن مع رسول الله، فوافقت. ومقصود المؤلف ان استئذان الامام من عائشة ليس لاجل كون حجرة النبي ـ التي دفن فيها ـ نصيبها من الارث.

٢. شرح نهج البلاغة ١ / ٣٧١. وقد تقدم الكلام في اثبات ايمان سيدنا ابي طالب بالنبي وقبوله الاسلام، وذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب / ١٥٢ ـ ١٨٣. فالمرجع ان يكون القول المنسوب اليه هنا في جواب النبي من وضع الامويين، ارادوا به تنقيص عظمة الإمام، او رفع العار عن الحكام الذين سبقوه والذين كان آباؤهم كفارا.

٣. شرح نهج البلاغة ١ / ٣٧٥ الاستيعاب ٢ / ٤٧٠ ـ ٤٧١.

وستأتيك احاديث ان الملائكة صلّت علىٰ النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وعلىٰ علي (عليه السلام) سبع سنين، لانه لم يكن من الرجال غيره[١]، كما في «اُسد الغابة» لابن الأثير الجزري[٢]، و«الرياض النضرة»[٣] و«كنز العمال»[٤]، و«منتخب الكنز»[٥] المطبوع بهامش المسند.

ولذلك صار علي ـ عليه السلام ـ عِدْل النبي (صلىٰ الله عليه واله) وقرينه، بل وساواه من هذه الجهة، لعدم سبق الكفر فيه اصلاً، لما في «الدر المنثور» للسيوطي: انه اخرج ابن عدي وابن عساكر: «ثلاثة ما كفروا به قط: مؤمن آل يٰس، وعلي بن ابي طالب، وآسية امرأة فرعون[٦].

وفي كتاب «المستطرف» للشيخ شهاب احمد: عن نافع بن ابي نعيم قال: كان ابو طالب يعطي علياً قدحاً من اللبن يصبّه علىٰ اللّات، فكان علي يشرب اللبن ويبول علىٰ اللّات[٧].

٣ ـ ومنها: ان علياً (عليه السلام) عِدْل النبي (صلىٰ الله عليه واله) وشريكه في كسر الاصنام، كما في حديث الحاكم في «المستدرك»[٨] والذهبي في

١. في الجزء الثالث من هذا الكتاب / ٢١٩ ـ ٢٢١.

٢. أُسد الغابة ٤/٩٤.

٣. الرياض النضرة ٢/٢٧.

٤. كنز العمال ١١/٦١٦.

٥. منتخب كنز العمال ٥/٣٣.

٦. الدر المنثور ٥/٢١٢.

٧. هذا يتنافىٰ مع ايمان سيدنا ابي طالب بالله ورسوله الذي ثبت بالتواتر المعنوي، فيكون ساقطاً عن الاعتبار. والمرجَّح انه موضوع بهدف التنقيص من شأن الإمام علي او التخفيف من العار عن الحكام الذين سبقوه الذين كان آباؤهم كفارا.

٨. المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/٣٦٦ ـ ٣٦٧، ٥/٥.

التلخيص[١]، والنسائي في «خصائص علي» ـ عليه السلام ـ[٢]، والخطيب البغدادي في تاريخه[٣] وفي «ينابيع المودة» باب ٤٨ حكاية الحديث عن احمد البزّار[٤]، وفي «الرياض النضرة» انه اخرج الحديث احمد والحاكمي وصاحب الصفوة[٥].

ففي «المسند» لاحمد: عن ابي مريم عن علي قال: كان علىٰ الكعبة اصنام، فذهبتُ لأحمل النبي ـ ص ـ فلم استطع، فحملني، فجعلتُ اقطعها، ولو شئت لنلتُ السماء[٦].

وفي حديث «منتخب الكنز» ـ المطبوع بهامش «المسند» لاحمد ـ بالاسناد الى علي (عليه السلام) قال: انطلقتُ أنا والنبي ـ ص ـ حتىٰ اتينا الكعبة، فقال لي رسول الله: اجلس. فصعد علىٰ منكبي، فذهبتُ لانهض به، فرأىٰ مني ضعفا، فنزل. وجلس لي نبي الله، فقال: اصعْد علىٰ منكبي. فصعدتُ علىٰ منكبيه، فنهض بي، فانه يُخيَّل[٧] لي اني لو شئت لنلتُ افق السماء، حتىٰ صعدتُ علىٰ البيت، وعليه تمثال من صُفْر[٨] او نحاس، فجعلتُ ازاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، ورسول الله ـ ص ـ يقول: هية، هية. وانا اعالجه، حتىٰ استمكنتُ منه. فقال لي رسول الله: اِقذْف به. فقذفته حتىٰ تكسَّر كما تنكسر القوارير، ثم نزلت، فانطلقتُ انا ورسول الله نستبق حتىٰ توارينا [بالبيوت خشيةً من أن يلقنا احدٌ من الناس][٩]، فلم يُرفع عليها بعدُ. [اخرجه] ابن ابي شيبة، وابو يعلىٰ في مسنده، واحمد في

---

١. تلخيص المستدرك ٢/٣٦٦ ـ ٣٦٧، ٣/٥.

٢. خصائص علي بن ابي طالب / ٢٢.

٣. تاريخ بغداد ١٣/٣٠٢.

٤. ينابيع المودة / ١٣٩.

٥. الرياض النضرة ٢/٢٦٥ ـ ٢٦٦.

٦. مسند احمد بن حنبل ١/١٥١. ورواه بالتفصيل في ١/٨٤.

٧. في المصدر «تخيّل»، وفي تاريخ بغداد: «فلما نهض بي خُيّل لي».

٨. صُفْر: ذهب او النحاس الاصفر المعروف بالشبه.

٩. الزيادة من المصدر.

المسند، وابن جرير، والحاكم وصححه، والخطيب[١]. انتهىٰ.

وذكر الزمخشري في «الكشاف» في [تفسير] سورة الإسراء ـ عند قوله تعالىٰ: «وقل رب ادخلني مُدخل صدقٍ، واخرجني مخرج صدق، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيرا» ـ: ان هذه الآية[٢] لما نزلت يوم الفتح، قال جبرئيل لرسول الله: خُذْ مِخْصَرتك[٣] ثم ألقها. فجعل يأتي صنماً صنما وهو ينكت بالمِخْصَرة في عينه ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل». فينكب الصنم لوجهه، حتىٰ القاها [جميعاً][٤]. وبقي صنم خُزَاعة فوق الكعبة، وكان من قوارير صُفْر، فقال: يا علي! اِرم به. فحمله النبي حتىٰ صعد، فرمىٰ به، فكسَّره[٥].

أقول: ان من نظر الىٰ سير رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وصفحات تاريخه، يرىٰ انه لم يزل يمثل علياً (عليه السلام) بمحضر الخواص من اصحابه او كافتهم، بأنه مثله وقرينه ومشاكله وشريكه في اِعزار الدين وقمع اساس المضلين. بل وجَعَلَ ـ صلىٰ الله عليه واله ـ علياً (عليه السلام) متصلاً به ومتحداً معه من عالم الأصلاب، بل في عوالم النور الىٰ عالم الأجسام، فلم يبق للنبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ فضل شامخ يباهي به اِلّا وأثبت مثله لعلي (عليه السلام) حتىٰ جعله نفسه واخاه ونظيره، وقال في ملأ من المسلمين لعلي: «انت مني بمنزلة هارون من موسىٰ» ، فكما ان هارون ثاني اثني موسىٰ (عليهما السلام) وعِدْله

---

١. منتخب كنز العمال ٥/٥٤ ـ ٥٥. وقد كانت هذه الواقعة ليلة هجرة رسول الله من مكة الىٰ المدينة، علىٰ ما في المستدرك ٣/٥.

٢. اي: الآية التالية لآية «وقل رب ادخلني...»، وهي قوله تعالىٰ: «وقل جاء الحق وزهق الباطل، ان الباطل كان زهوقا».

٣. مِخْصَرة: ما يُتوكأ عليه كالعصا، او القضيب الذي كان يشار به في اثناء الخطابة والكلام.

٤. الزيادة من المصدر.

٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٢/٦٨٩.

وقرينه، كذلك علي بالنسبة الىٰ رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ.

٤ ـ ومنها: ان علياً (عليه السلام) قرين رسول الله (صلىٰ الله عليه واله) في الولاية العامة بنص من الله تعالىٰ في قوله: «اِنّما وليكم الله ورسوله والذين اَمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»[١].

أجمع المفسرون واهل العلم والمعرفة ـ علىٰ ما سيأتي ـ علىٰ ان المراد بـ «الذين آمنوا» علي (عليه السلام)، وان الاية نزلت فيه لمّا تصدق بخاتمه، ودلت بمقتضىٰ الحصر في كلمة «اِنما» علىٰ ان الله سبحانه اعطىٰ لنبيه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ ولعلي (عليه السلام) مثل ما لنفسه المقدسة من الولاية المطلقة.

ومن هنا ساوىٰ رسول الله بينه وبين علي في هذه المرتبة من الولاية، وقال لمن حضر من اصحابه: «ألستُ اولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم»؟ قالوا: بلىٰ. قال: «فمن كنتُ مولاه، فعلي مولاه». راجع في ذلك تفسير «الدر المنثور» للسيوطي عند قوله تعالىٰ: «النبي اولىٰ المؤمنين من انفسهم»[٢]، و«المسند» لأحمد[٣]، و«البداية والنهاية»[٤] لابن كثير و«خصائص»[٥] النسائي.

ان هذه المرتبة من الولاية هي المسؤول عنها يوم القيامة، ففي «الصواعق» لابن حجر ـ عند ذكر الايات النازلة في اهل البيت ـ: الآية الرابعة: قوله تعالىٰ: «وقفوهم اِنهم مسؤولون»[٦]. اخرج الديلمي عن ابي سعيد الخدري ان النبي (ص) قال: «وقفوهم اِنهم

---

١. سورة المائدة / ٥٥.

٢. الدر المنثور ١٨٢/٥.

٣. مسند احمد بن حنبل ٣٤٧/٥.

٤. البداية والنهاية ٣٤٨/٧ ـ ٣٤٩.

٥. خصائص علي بن ابي طالب / ١٥ ـ ١٦.

٦. سورة الصافات / ٢٤.

مسؤولون» عن ولاية علي...[١] الى آخره.

ومن حديث الحاكم في «المستدرك»[٢] وعلي المتقي في الكنز[٣] وفي منتخب الكنز[٤] ـ المطبوع بهامش المسند ـ عن زيد بن ارقم قال: قال رسول الله (ص): «مَنْ اراد أن يحيىٰ حياتي ويموت موتي، ويسكن جنة الخُلْد التي وعدني ربي، فليتول علي بن ابي طالب، فانه لن يخرجكم من هدىٰ، ولن يدخلكم في ضلالة».

ومن حديث الكنز ومنتخبه ايضاً: عن عمار بن ياسر عن النبي ـ ص ـ: «اللهم مَنْ آمن بي وصدقني، فليتول علي بن ابي طالب، فان ولايته ولايتي، وولايتي ولاية الله تعالىٰ»[٥].

ففيه من البلاغ التام في الاِقتران بين الولايتين، فكما ان ولاية النبي (صلىٰ الله عليه واله) هي من الايمان ويلزم التصديق بها، كذلك ولاية علي ـ عليه السلام ـ، لصريح تنزيل ولاية علي منزلة ولاية نفسه الشريفة، وكون ولايته (صلىٰ الله عليه واله) ولاية الله سبحانه. فانظر الىٰ كمال الاِستواء من جميع الجهات بين النبي وبين علي ـ عليهما السلام ـ، فهو الثاني اثنين في الكمالات النفسية والبدنية، حيث بلغت فيه (عليه السلام) أقصىٰ المرتبة، فساوىٰ النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ فيهما.

٥ ـ الاستواء في النفسية في واقعة المباهلة، لقوله تعالىٰ: «قل تعالوا ندعُ

---

١ . الصواعق المحرقة / ٨٩. وروي ذلك أيضاً في كل من: شواهد التنزيل ٢/١٠٦ ـ ١٠٨، مناقب علي بن ابي طالب ـ للخوارزمي ـ /١٩٥، فرائد السمطين ١/٧٩، ينابيع المودة /١١٢، ٢٧٠ عن ابي نعيم والزرندي.

٢ . المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٣٨. واللفظ له. وفيه: هذا حديث صحيح الاسناد، ولم يخرجه البخاري ومسلم.

٣ . كنز العمال ١١/٦١١.

٤ . منتخب كنز العمال ٥/٣٢.

٥ . كنز العمال ١١/٦١١، واللفظ له. منتخب كنز العمال ٥/٣٢، مع اختلاف غير مخل بالمقصود.

ابناءنا وابناءكم، ونساءنا ونساءكم، وانفسنا وانفسكم، ثم نبتهل، فنجعل لعنة الله علىٰ الكاذبين»[١].

فان المراد من «الانفس» هو امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ كما في «الدر المنثور»[٢].

وفي «الصواعق» لابن حجر: أخرج الدارقطني ان علياً احتج يوم الشورىٰ علىٰ اهلها، فقال: انشدكم الله هل فيكم احدٌ جعله النبي ـ ص ـ نفسه وابناءه ابناءه ونساءه نساءه غيري؟ قالوا: اللهم لا.[٣]

ثم ان واقعة المباهلة مع النصارىٰ من الوقائع التي اراد الله تعالىٰ تقويم دينه بنبيه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وبأهل بيته، فكان من الوحي ان يخرج النبي (صلىٰ الله عليه واله) ويختار من اهل بيته وابنائه ونسائه علياً وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ دون غيرهم من الرجال والنساء، إذ لم يكن أعظم منهم عند الله تعالىٰ، فخصهم الله بالذكر تكريماً لهم وتعظيماً لمنزلتهم مع تضمن الآية التصريح لعلي (عليه السلام) بالانفس، إظهاراً بقربه ودنوه من النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ حتىٰ صار نفسه ومماثله وعدله وقرينه ومساوٍ له (صلىٰ الله عليه واله) ومشاكله، نظير قولك «زيد أسد» أي: هو، فعلي ـ عليه السلام ـ هو المماثل الحقيقي للنبي (صلىٰ الله عليه واله) دون غيره.

فظهر بذلك فساد قول ابن تيمية ـ في منهاجه ـ من منعه دلالة الآية علىٰ التساوي، لأن احداً لا يساوي النبي ـ ص ـ[٤].

لأنّا نقول: انه كما تقول لولا الاية المصرحة بالنفسية، فانه لا معنىٰ لها إلّا المماثلة في

---

١. سورة آل عمران / ٦١.

٢. الدر المنثور ٢/٣٩.

وقد ذكرنا مصادر اخرىٰ في التعليقة ٢ في صفحة ١٨٦ من هذا الجزء.

٣. الصواعق المحرقة / ٩٣.

٤. منهاج السنة ٣/٣٤.

الصفات الكمالية الاِلهية ماعدا النبوة، لخروج علي عنها بالضرورة، فهو ثاني اِثني رسول الله (صلىٰ الله عليه واله)، وبقية الله في ارضه من بعد رسوله.

ومن هنا عَبَّر النبي عن علي بالنفس في احاديث «خاصف النعل»، من قوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ لقريش: «لَتسلمنَّ أو لأبعثن اليكم رجلاً مني أو كنفسي، فلَيضربنَّ اعناقكم، ولَيسبينَّ ذراريكم». فقال ابو بكر: انا هو يا رسول الله!؟ قال: لا. قال عمر: انا هو يا رسول الله!؟ قال: لا، ولكنه خاصف النعل في الحجرة. وكان اعطىٰ علياً نعله يخصفها[1].

ولوقوع التعبير في الرجل المبعوث بالنفس، وانه من النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، تَطَاولَه ابو بكر وعمر واستفهما عنه طلباً لتلك المرتبة الشامخة، وقال عمر ـ علىٰ ما في حديث الكنز ـ: والله! ما تمنيتُ الاِمارة اِلّا يومئذ فجعلتُ انصب صدري رجاء أن يقول [هو] هذا. فالتفت الىٰ علي بن ابي طالب، فأخذه بيده، ثم قال: هو هذا، هو هذا[2].

ومن ذلك ايضاً حديث المقاتلة علىٰ التأويل كقتال رسول الله علىٰ التنزيل. قاله النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ بمحضر جمّ غفير من الاصحاب، مشيراً اليهم: «ان منكم مَنْ يقاتل علىٰ تأويل القران كما قاتلت علىٰ تنزيله». فقال ابو بكر: انا هو يا رسول الله!؟ قال ـ ص ـ: لا. قال عمر: انا هو يا رسول الله!؟ قال ـ ص ـ: «لا، لكنه خاصف النعل في الحجرة». وكان [اعطىٰ][3] علياً [نعله يخصفها][4].[5] انتهىٰ.

---

١. صدر الحديث مروي في الاستيعاب ٢/٤٧٧، وذيله في ذخائر العقبىٰ / ٧٦، لكن الذيل متعلق بواقعة اخرىٰ ظاهراً. وسيأتي ذكر مجموعة من الاحاديث في هذا المقام في الجزء الثالث من هذا الكتاب /١٥٩ ـ ١٦٣.

٢. لم اجده في الكنز وهو مروي في الاستيعاب ٢/٤٧٧. ومناقب علي بن أبي طالب ـ للخوارزمي ـ /٨١.

٣. الزيادة من المصدر.

٤. الزيادة من المصدر.

٥. الرياض النضرة ٢/٢٥٢، ذخائر العقبىٰ / ٧٦.

وقريب منه في المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٢٢، مسند احمد بن حنبل ٣/٣٣ و ٨٢، خصائص علي بن أبي طالب /٢٩، اسد الغابة ٤/٣٢، كنز العمال ١١/٦١٣.

فالمفهوم من الحديث ان علياً هو المخصوص بالقتال من بعد النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ علىٰ التأويل، وهو الثاني لمن قاتل علىٰ التنزيل، وهذه منزلة رفعية للمتصف بهذه الصفة، ولذا وقع السؤال عنه.

٦ ـ ومنها ان علياً (عليه السلام) ثاني اِثني النبي (صلىٰ الله عليه واله) في الأُخوّة، كما تفصح عنه احاديث الاِخاء يوم المؤاخاة بين الاصحاب، اِذ قرن كل مثيل الىٰ مماثله ونظيره، ولم يقرن بين علي ـ عليه السلام ـ وبين أحدٍ من اصحابه، بل اختاره لنفسه وجعله اخاه في الدنيا والآخرة[١]، اِظهاراً لشأنه ومماثلته له في جميع احواله، اِذ لا يقال للشيء اخو الشيء اِلّا بعد كمال الاِقتران والمشابهة، فكأنه هو، واِلّا لما وقع التعبير عرفاً بأنه أخوه، وقد وقع التعبير ووقعت المؤاخاة عمن لا ينطق اِلّا بالحق ولا يفعل الا الصدق.

ولا يلزم من ذلك دخول النبوة في جملة الصفات، للعلم اليقيني باستثنائها وعدم صحة المشاركة والمماثلة فيها، ويبقىٰ ما عداها داخلاً في عموم مقتضىٰ الاخوة.

٧ ـ ومنها: كون امير المؤمنين (عليه السلام) من رسول الله (صلىٰ الله عليه واله) بمنزلة هارون من موسىٰ (عليهما السلام)، لقوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ لعلي: «ألا ترضىٰ ان تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ، اِلّا انه لا نبي بعدي» . فاثبت لعلي ـ عليه السلام ـ جميع منازل هارون من موسىٰ، واستثنىٰ منها الشركة في النبوة، لان هارون كان شريك أخيه موسىٰ فيها، فعلي (عليه السلام) نظير النبي (صلىٰ الله عليه واله) والمماثل له في جميع الأوصاف العالية التي منها الولاية العامة علىٰ الأُمة. وانتقال

---

١ . سنن الترمذي ٥/٦٣٦، الطبقات الكبرىٰ ٣/٢٢، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٤، مناقب علي بن ابي طالب ـ للخوارزمي ـ /٧، مناقب علي بن ابي طالب ـ للواسطي ـ /٣٧ ـ ٣٩، فرائد السمطين ١/١١٦، ذخائر العقبىٰ / ٦٦، المختصر في اخبار البشر ١/١٢٧، اسد الغابة ٤/٢٩، كنز العمال ١٣/١٤٤.

ولاية هارون (عليه السلام) بالموت وانتقاله عن دار التكليف لا بالعزل، لا يضرّ ببقاء علي ـعليه السلام ـ علىٰ ولايته، اِذ عاش بعد رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ.

٨ ـ **ومنها: الاِستواء والمماثلة في العلم والحكمة**، دل عليه الحديث «انا مدينة العلم وعلي بابها»[١]، و«انا دار الحكمة وعلي بابها»[٢]. قاله النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ في علي (عليه السلام) بعد أن عرف من نفسه المقدسة ان الله تعالىٰ أعطاه جوامع الكلم، وقال فيه: «نزل به الروح الأمين علىٰ قلبك»[٣] وقال تعالىٰ: «وعلَّمك ما لم تكن تعلم»[٤].

ولما علم النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ ان علياً في هذه الدرجة من العلم والدراية. جعله باباً لمدينة علمه، بحيث لا يمكن الدخول في تلك المدينة اِلّا من باب علي (عليه السلام)، ومن هنا قال علي ـعليه السلام ـ في جملة من كلامه (علىٰ ما في الشرح للمعتزلي): «نحن الشِّعار[٥] والاصحابُ والخَزَنة والابواب، ولا تُؤتىٰ البيوت اِلّا من ابوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سُمِّي سارقا»[٦].

قال ابن الحديد: قوله «الخَزَنة والأبواب» يمكن ان يعني به خزنة العلم وابواب العلم، لقول رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ: «انا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد الحكمة، فليأت الباب». وقوله (صلىٰ الله عليه واله) في علي: «خازن علمي». وقال ـصلىٰ الله عليه واله ـ تارة اخرىٰ: «عيبة علمي»..[٧] الى اخره.

---

١ . راجع تعليقات صفحة ٢٣٠ ـ ١٣١ من هذا الجزء.

٢ . سنن الترمذي ٥/٦٣٧، حلية الأولياء ١/٦٤، تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الامام علي ٢/٤٥٩، مناقب علي بن ابي طالب ـ للواسطي ـ /٧٨، فرائد السمطين ١/٩٩.

٣ . سورة الشعراء /١٩٣ ـ ١٩٤.

٤ . سورة النساء /١١٣.

٥ . الشِّعار: الثوب الذي يلي البدن ويلتصق به.

٦ . شرح نهج البلاغة ٢/٤٤٨، نهج البلاغة ٢/٤٣ ـ ٤٤، الخطبة ١٤٧.

٧ . شرح نهج البلاغة ٢/٤٤٨.

قلت: ومن كلام علي (عليه السلام): «لو كُشف الغطاء، ما ازددتُ يقينا». يعني: لو ارتفع الحجاب عن الممكنات علىٰ ما كان او يكون او هو كائن، لم يزدني علماً علىٰ علمي، وذلك لاِتصال علمه ـ عليه السلام ـ بعلم النبي (صلىٰ الله عليه واله)، واتصال علمه (صلىٰ الله عليه واله) بالوحي الاِلهي أو باللوح المحفوظ الذي لا يعزب عنه شيء، فساوىٰ علم علي علم النبي (صلىٰ الله عليه واله).

٩ ـ ان علياً (عليه السلام) ساوىٰ النبي (صلىٰ الله عليه واله) في التقلب في الساجدين. ومنها: ان امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ثاني اثني رسول الله (صلىٰ الله عليه واله) في التقلب في الساجدين.

ففي «الدر المنثور» ـ عند قوله تعالىٰ: «وتقلبك في الساجدين»[1] ـ: اخرج ابن ابي عمر العدني في مسنده، والبزّار وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن مجاهد في قوله تعالىٰ: «وتقلبك في الساجدين»، قال ـ ص ـ: من نبي الىٰ نبي حتىٰ اخرجت نبيا[2].

واخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه، وابو نعيم في «الدلائل» عن ابن عباس في قوله «وتقلبك في الساجدين» قال: ما زال النبي ـ ص ـ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتىٰ ولدته أُمه[3].

وفيه ـ في حديث طويل ـ: قال رسول الله (ص): «كنتُ في صُلب آدم، وهبط الىٰ الارض [وانا في صلبه][4]، وركبتُ في السفينة في صُلب ابي نوح، وقُذفت في النار في صُلب

١ . سورة الشعراء / ٢١٩ .

٢ . الدر المنثور ٥/ ٩٨.

٣ . الدر المنثور ٥/ ٩٨.

٤ . الزيادة من المصدر.

ابي ابراهيم. لم يزل ينقلني من الأصلاب [الطيبة][١] الىٰ الأرحام الطاهرة مصفىٰ مهذبا...»[٢] الى اخره.

قلت: فهذه حجتنا علىٰ ان آباء النبي (صلىٰ الله عليه واله) كانوا مؤمنين، ومثله (صلىٰ الله عليه واله) علي ـ عليه السلام ـ بنص منه. ففي «ينابيع المودة» للشيخ سليمان القندوزي الحنفي، في الباب الاول: اخرج ابو الحسن علي بن محمد المعروف بابن المغازلي الواسطي الشافعي ـ في كتابه المناقب ـ بسنده عن سلمان قال: سمعت حبيبي محمداً يقول: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عزَّ وجل، يسبِّح الله ذلك النور ويقدسه، قبل ان يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم، اودع ذلك النور في صلبه، فلم يزل انا وعلي شيئاً واحداً[٣] حتىٰ افترقنا في صلب عبدالمطلب، فكان لي النبوة ولعلي الوصاية[٤]»[٥].

قال ابن ابي الحديد في الشرح: ان الحديث ذكره صاحب كتاب الفردوس...[٦] الى اخره.

قال: وروىٰ احمد في «المسند» وكتاب «فضائل علي» ـ عليه السلام ـ عن النبي (صلىٰ الله عليه واله): كنتُ أنا وعلي نوراً بين يدي الله عزَّ وجل قبل ان يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم، قسّم ذلك النور فيه، وجعله جزءين[٧]، فجزءٌ أنا وجزءٌ علي[٨]. انتهىٰ

---

١. الزيادة من المصدر.

٢. الدر المنثور ٥/٩٨.

٣. في المصدر: «فلما خلق الله آدم، ركب ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد حتىٰ افترقنا...».

٤. في المصدر: «ففيَّ النبوة وفي علي الاِمامة». وفي مناقب علي بن ابي طالب ـ للواسطي ـ: «ففيَّ النبوة وفي علي الخلافة».

٥. ينابيع المودة / ١٠، مناقب علي بن ابي طالب ـ للواسطي ـ / ٨٧ ـ ٨٨.

٦. شرح نهج البلاغة ٢/٤٥٠.

٧. في النسخة المخطوطة من «فضائل الصحابة»: «قسّم ذلك النور جزءين، فجزءٌ انا وجزءٌ علي».

٨. شرح نهج البلاغة ٢/٤٥٠.

والحديث الىٰ هنا اخرجه اخطب خوارزم في «المناقب»[١]. ولا يقدح فيما أردناه عدم اشتمال الحديث علىٰ الزيادة، وذلك لما دل من نص النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ علىٰ اِستواء علي (عليه السلام) معه (صلىٰ الله عليه واله) في الخلق والتكوين، وانهما خُلقا من نور الله تعالىٰ وكونهما من شجرة واحدة والناس من اشجار شتىٰ، ففي «الصواعق المحرقة» والسيوطي في «تاريخ الخلفاء» ـ في فضائل علي عليه السلام ـ عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله (ص): «الناس من شجر شتىٰ، وأنا وعلي من شجرة واحدة»[٢].

وذكر المناوي في «كنوز الدقائق» عنه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «انا وعلي من شجرة واحدة، والناس من اشجار شتىٰ». أخرجه الطبراني في الاوسط، والديلمي في الفردوس[٣].

١٠ ـ ومنها: ان علياً (عليه السلام) ثاني اِثني رسول الله (صلىٰ الله عليه واله) في أمره بسد جميع الأبواب الىٰ المسجد اِلّا بابه وباب علي (عليه السلام)[٤].

وقوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ تارةً: «لا يحلُّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغير علي»[٥] واخرىٰ «ما انا سددتُ ابوابكم، ولا فتحت باب علي، ولكن [الله][٦] سدّ

١. مناقب علي بن ابي طالب / ٨٨.

٢. الصواعق المحرقة / ٧٣، تاريخ الخلفاء / ١٧١.

٣. كنوز الحقائق ١/٨٠. وسيأتي في الجزء الثالث من هذا الكتاب / ٤٢ ـ ٤٣ ذكر بعض الاحاديث المتعلقة بكون رسول الله والامام علي نوراً قبل الخلقة وانتقالها في الأصلاب حتىٰ صلب عبدالمطلب حيث افترقا بعد ذلك.

٤. قد تقدم ذكر الأخبار المتعلقة بسد الابواب في الجزء الاول / ٥٨ ـ ٦٣، وسيأتي ذكر قسم منها في الجزء الثالث / ٥٠ ـ ٥٥.

٥. ذخائر العقبىٰ / ٧٧، تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الامام علي ١/٢٩٢.

٦. الزيادة من المصدر.

ابوابكم وفتح باب علي»[١]. قوله ـصلىٰ الله عليه واله ـ ثالثاً: «يا علي ! انه يحل لك في المسجد ما يحلّ لي»[٢].

فهذا أقصىٰ ما يدل علىٰ المماثلة والتنزيل والمشاكلة، فلا ترىٰ فضيلة ومنقبة للنبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ من أي جهة (غير النبوة) اِلّا وأثبت لعلي مثلها، اِظهاراً لشرفه وتقدمه عند الله تعالىٰ علىٰ غيره، فما ذكرنا من مواقع المماثلة، كان علي ـعليه السلام ـ واجداً لمقام الولاية والخلافة.

١١ ـ ومنها: ما انتجاه الله لرسوله (صلىٰ الله عليه واله) في غزاة الطائف، فانتجىٰ النبي عليا، واطال نجواه حتىٰ كره قوم من الصحابة ذلك، فقال قائل منهم: لقد اطال اليوم نجوىٰ ابن عمه، فبلغه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فجمع منهم قوما. ثم قال: ان قائلاً قال: لقد أطال اليوم نجوىٰ ابن عمه، أما انا ما انتجيته، ولكن الله انتجاه[٣]. قال المعتزلي في الشرح: رواه احمد في «المسند»[٤] انتهىٰ.

والحديث رواه ابن الأثير في «أُسد الغابة» في ترجمة علي ـعليه السلام ـ[٥]، والمحب الطبري في «ذخائر العقبىٰ»[٦]، و«الرياض»[٧].

وفيما أخرجه الخطيب البغدادي تاريخه من قول النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ

---

١. مسند احمد بن حنبل ٤/٣٦٩، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٢٥.

٢. مناقب علي بن ابي طالب ـ للخوارزمي ـ / ٦٠.

٣. انتجاه: امره بالمناجاة معه. والمعنىٰ: ان رسول الله أبلغ الامام علي عن الله ما امره أن يبلغه به علىٰ سبيل النجوىٰ.

٤. شرح نهج البلاغة ٢/٤٥١.

٥. اسد الغابة ٤/١٠٧.

٦. ذخائر العقبىٰ / ٨٩.

٧. الرياض النضرة ٢/٢٦٥.

لأصحابه: «ما أنا بالذي ادخلتُ علياً واخرجتكم، بل الله ادخله واخرجكم»[١]. انتهىٰ.
فاسند النبي (صلى الله عليه واله) تلك النجوىٰ وإدخال علي واخراجه غيره ـ بحيث لم يكن معهما في ذلك اليوم أحد ـ الىٰ الله تعالىٰ، وانه كان بأمر منه.

وهذه غاية قصوىٰ لعلو الشأن ورفع المنزلة، لإظهاره ـ صلىٰ الله عليه واله ـ ان غير علي لم تكن له تلك الاهلية، وإنْ هذه إلّا طريقه مع علي، فلا يزال يُري للناس علياً ويريه بعين التساوي، فأوجب له العصمة والمودة والبعضية والنفسية والمماثلة والاخوة، وانه منه بمنزلة هارون من موسىٰ، والسكنىٰ في المسجد، فيدخل علي ـ عليه السلام ـ ويخرج وهو جنب.

وقال ـ صلىٰ الله عليه واله ـ لعلي يوم الاحزاب، لمّا برز الى عمرو: «برز الايمان كلّه الىٰ الشرك كلّه[٢].

وقال ـ صلىٰ الله عليه واله ـ ضربة علي يوم الخندق افضل من عبادة أُمتي الىٰ يوم القيامة[٣].

وقال ـ صلىٰ الله عليه واله ـ يوم خيبر: لأعطينَّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله علىٰ يديه، كرّار غير فرّار[٤].

---

١. تاريخ بغداد ٥/٢٩٣ ـ ٢٩٤. وسيأتي ذكر مجموعة من الاخبار المتعلقة بواقعة الإنتجاء. مع مصادر اخرىٰ في الجزء الثالث / ٤٧ ـ ٤٨.

٢. شرح نهج البلاغة ٣/٧٠ (و ١٣/٢٨٥ من طبعة اخرىٰ).

٣. هذا مضمون اخبار عديدة مروية في كل من: المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/٣٢، شواهد التنزيل ٢/٨، مناقب علي بن ابي طالب ـ للخوارزمي ـ / ٨٥، إنسان العيون ٢/٣٢٠، فرائد السمطين ١/٢٥٦، شرح نهج البلاغة ٤/١٠٠، تاريخ بغداد ١٣/١٨. وسيأتي ذكر مجموعة من هذه الاخبار في الجزء الثالث / ١١٣ ـ ١١٤.

٤. صحيح البخاري ٥/١٧١، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، و ٥/٢٢، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن ابي طالب. صحيح مسلم ٤/١٨٧١ ـ ١٨٧٣، كتاب فضائل الصحابة، الباب ٤، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/٣٨، مسند احمد بن حنبل ١/٩٩ و ٥/٣٥٣ ـ ٣٥٤، سنن ابن ماجة ١/٤٥. وسيأتي ذكر مجموعة من اخبار ذلك في الجزء الثالث / ١٠٣ ـ ١٠٩.

وقال ـ صلىٰ الله عليه واله ـ فيما اختصه به من أكل الطير المشوي معه: «اللهم ائتني بأحب الخلق اليك يأكل معي». فجاء علي (عليه السلام) فأكل معه[1]. فأجاب دعاء النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ فيه.

وقال لفاطمة: أَما ترضين ان الله اختار من الارض رجلين: احدهما أبوكِ والآخر بَعْلكِ. قال المعتزلي في الشرح: رواه احمد في «المسند»[2]. قلت: اخرج الحديث الحاكم في «المستدرك» وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين[3].

فصريح الحديث ان علياً ثاني اِثني رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في ان الله تعالى اختارهما من اهل الارض.

وان مما هو صريح في الاِستواء ما في «كنز العمال» عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قال مشيراً الىٰ علي: «أنا وهذا حجة الله علىٰ أُمتي يوم القيامة»[4].

١٢ ـ **ومنها: التساوي في العدل،** لما أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» وعلي المتقي الهندي في «كنز العمال» بالاسناد الىٰ ابي بكر قال: قال رسول الله ليلة الهجرة ـ ونحن خارجان الى الغار نريد المدينة ـ: كفّي وكفُّ علي في العدل سواء[5].

١٣ ـ ان علياً (عليه السلام) ثاني اثني النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في قوله تعالىٰ: «أفَمَنْ كان علىٰ بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه»[6].

---

١ . سنن الترمذي ٥/٦٣٦ ـ ٦٣٧، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٣٠ و١٣٦، تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الامام علي ٢/١٠٥ ـ ١٣٣، خصائص علي بن ابي طالب / ٤، البداية والنهاية ٧/٣٥١ ـ ٣٥٤. وسيأتي ذكر مجموعة من الاخبار المتعلقة بذلك في الجزء الثالث / ٧٧ ـ ٨٠.

٢ . شرح نهج البلاغة ٢/٤٥١.

٣ . المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٢٩.

٤ . كنز العمال ١١/٦٢٠.

٥ . تاريخ بغداد ٥/٣٧، كنز العمال ١١/٦٠٤.

٦ . سورة هود / ١٧.

في تفسير الفخر الرازي[١]، وتفسير الطبري[٢]، والنيسابوري[٣]، و«الدر المنثور» للسيوطي[٤]، و«الاِتقان» للسيوطي ـ في النوع الحادي والسبعين ـ[٥]، و«حلية الاولياء» لابي نعيم[٦] ان المراد بـ«مَنْ كان علىٰ بيّنة من ربه» رسول الله، وبـ«ويتلوه شاهد منه» علي بن ابي طالب.

١٤ ـ علي (عليه السلام) ثاني اِثني النبي صلىٰ الله عليه واله) في ردّ الشمس له.

ان من باهر ما اختص به وعظيم مناقبه (عليه السلام) ردّ الشمس لأجله حسبما رواه ابن حجر في «الصواعق»[٧]، والمحب الطبري في «الرياض النضرة»[٨]، والمناوي في «فيض القدير [بـ] شرح الجامع الصغير»[٩]، وابن حجر العسقلاني في «فتح الباري».

وقال [ابن حجر]: قد أخطأ ابن الجوزي بايراد الحديث في «الموضوعات». قال: روىٰ الحاوي، والطبراني في الكبير، والحاكم، والبيهقي في «الدلائل» عن أسماء بنت عُميس ان النبي ـ ص ـ دعا لمّا نام علىٰ ركبة علي، ففاتته صلاة العصر، فرُدَّت الشمس حتىٰ صلىٰ

---

١. التفسير الكبير ١٧/٢٠٢.

٢. جامع البيان ١٢/١٥.

٣. غرائب القران / تفسير سورة هود.

٤. الدر المنثور ٣/٣٢٤.

٥. الاِتقان في علوم القران.

٦. حلية الاولياء ١/٦٧.

٧. الصواعق المحرقة / ٧٦.

٨. الرياض النضرة ٢/٢٣٦ ـ ٢٣٧.

٩. فيض القدير ٥/٤٤٠.

علي، ثم غربت[١]. انتهىٰ.

وهو من حديث «اِسعاف الراغبين»[٢]، ومن حديث القاضي عياض في كتاب «الشفا»[٣]، ومن حديث منتخب الكنز ـ المطبوع بهامش المسند ـ[٤]. والحديث صحيح لا مِرْية فيه من كل من تعرَّض لمعاجز رسول الله (صلىٰ الله عليه واله)، فعدَّ منها ردّ الشمس لعلي (عليه السلام).

وعدَّه ابن حجر في «الصواعق» في فصل كرامات علي، قال: ومن كراماته الباهرة ان الشمس رُدَّت عليه لمّا كان رأس النبي ـ ص ـ في حجره والوحي ينزل عليه، وعليٌّ لم يصلّ العصر، فانتبه النبي (ص) وقال: اللهم ! اِنَّ علياً كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس. فطلعت بعد ما غربت، فصلىٰ العصر. قال: وحديثُ ردِّها صحّحه الطحاوي، والقاضي في «الشفا»، وحسّنه شيخ الاِسلام أبو زرعة، وتبعه غيره. وردّوا علىٰ جمعٍ قالوا انه موضوع، وزعمُ فوات الوقت بغروبها، فلا فائدة لردّها في محل المنع...[٥] الى اخر كلامه.

ثم ان ممن اخرج الحديث في كثير من طرقه: السيوطي في «اللالئ»، وصححه ايضاً، وقال صرَّح جماعة من الائمة والحفَّاظ بأنه صحيح.

قال: واخرجه الخطيب في «تلخيص المتشابه» ـ باسناد ذكره ـ عن فاطمة الصغرىٰ ابنة الحسين [بن علي][٦]، عن الحسين بن علي ـ عليهما السلام ـ قال: كان رأس رسول الله في

---

١ . فتح الباري ٦/١٦٨.

٢ . اِسعاف الراغبين / ٦٢.

٣ . الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ١/١٨٥.

٤ . منتخب كنز العمال ٤/٢٩١.

٥ . الصواعق المحرقة / ٧٦.

٦ . الزيادة من المصدر.

حجر علي، وكان يوحىٰ اليه، فلما سرىٰ عنه، قال ـص ـ: يا علي ! صلّيتَ العصر؟ قال : لا. قال ـص ـ: اللهم! انك تعلم انه كان في حاجتك وحاجة رسولك فرُدَّ عليه الشمس. فرَدَّها عليه. فلما صلىٰ علي، غابت الشمس.

قال: واخرجه أبو بشر الدولابي في «الذرية الطاهرة» عن أبي هريرة ـ باسناد ذكره ـ [١] واخرجه ايضاً عن علي في واقعة خيبر [٢].

وأيضاً: اخرجه عن ابراهيم النخعي، عن علقمة، عن ابي ذر قال: قال علي يوم الشورىٰ: أُنشدكم بالله ! هل فيكم مَنْ رُدَّت له الشمس غيري حين نام رسول الله وجعل راسه في حجري حتىٰ غابت الشمس، فانتبه فقال: يا علي ! صليتَ العصر؟ قلت: اللهم لا. فقال: اللهم اردها عليه. فانه كان في طاعتك وطاعة رسولك» [٣]. الى اخره.

اِنَّ ممن روىٰ حديث المناشدة ابن المغازلي في مناقبه عن ابن وائلة قال: كنتُ مع علي يوم الشورىٰ، فسمعتُ علياً يقول لهم: «لأحتجَّنَّ عليكم بما لا يستطيع عربيكم ولا عجميكم يُغيّر ذلك». ثم قال فيما قال: «هل فيكم أحدٌ رُدت له الشمس حتىٰ صلىٰ العصر في وقتها غيري»؟ قالوا: اللهم لا [٤].

وروىٰ الخطيب الخوارزمي في المناقب عن مجاهد، عن ابن عباس ـ في ثنائه علىٰ علي(عليه السلام) ـ بأنه رُدَّت له الشمس مرتين [٥].

فأقول: المرة الثانية ايام خلافته ورواحه الىٰ حرب معاوية، كما في «شرح نهج البلاغة» للمعتزلي عن عبدخير قال: كنتُ مع علي أسيرُ في ارض بابِل [٦]، فجعلنا لا نأتي مكاناً اِلّا

---

١. اللالئ المصنوعة ١/٣٣٨.

٢. اللالئ المصنوعة ١/٣٤٠.

٣. اللالئ المصنوعة ١/٣٤١.

٤. مناقب علي بن ابي طالب / ١١٣ ـ ١١٦. وروي ايضاً في «مناقب علي بن ابي طالب» ـ للخوارزمي ـ / ٢٢٥، وفرائد السمطين ١/٣٨٦.

٥. مناقب علي بن ابي طالب / ٢٣٦.

٦. بابِل: مدينة بالعراق، تقع علىٰ ضفاف نهر الفرات، جنوب العاصمة بغداد.

رأيناه أقبح من الآخر. قال: حتىٰ اتينا علىٰ مكان احسن ما رأينا، وقد كادت الشمس ان تغيب. قال: فنزل علي ـعليه السلام ـ، فنزلتُ معه. قال فدعا الله، فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر. قال: فصليتُ العصر، ثم غابت الشمس[1].

---

١. شرح نهج البلاغة ١/٢٧٧.

وقد رويت اخبار رد الشمس للامام علي في عهد رسول الله في كتب اخرىٰ كثيرة، يظهر من مراجعتها وجود الاِتفاق بين علماء الأخبار علىٰ وقوعه. وقد ألفوا كتباً مستقلة في اِثبات وقوع ذلك ونفي الايرادات عنه، كما ان العديد من الأعلام خصصوا مساحات من كتبهم لاِثبات وقوع ذلك والدفاع عنه.

ومن الكتب المؤلفة حول هذا الموضوع بصورة مستقلة:

أ / جواز ردّ الشمس، للحسين بن علي البصري البغدادي.

ب / رد الشمس، لمحمد سعيد الطريحي.

جـ / رد الشمس علىٰ امير المؤمنين في موطنين في حياة رسول الله وبعده. للشيخ كاظم آل نوح.

د / رد الشمس لأمير المؤمنين، لموفق بن احمد الخوارزمي.

هـ / رسالة في تصحيح رد الشمس، لمحمد الحاكم الحسكاني.

و / رسالة في طرق حديث رد الشمس، لشاذان الفضلي.

ز / كشف اللبس عن حديث ردّ الشمس، لجلال الدين السيوطي.

حـ / مُزيل اللبس عن حديث ردّ الشمس، لابي عبدالله الصالحي.

ط / مَنْ روىٰ حديث ردّ الشمس، لابي بكر الوراق.

ولاِستقاء المزيد من المعلومات عن هذه الواقعة وما يتعلق بها وعلاج النقاشات المذكورة بشأنها، يمكن مراجعة الكتب التالية:

١ ـ مشكل الآثار ٤/٣٨٨ ـ ٣٩٠، و ٢/٨ من طبعة اخرىٰ.

٢ ـ اللالئ المصنوعة ١/٣٣٦ ـ ٣٤١ (و ١/١٧٤ ـ ١٧٦ من طبعة اخرىٰ).

٣ ـ الصراط المستقيم ١/٢٠١ ـ ٢٠٤.

٤ ـ كفاية الطالب / ٣٨١ ـ ٣٨٨.

٥ ـ اِحقاق الحق ٥/٥٢١ ـ ٥٣٩، ١٦/٣١٥ ـ ٢٣١، ٢١/٢٦١ ـ ٢٧١.

←

١٥ ـ علي (عليه السلام) ثاني اِثني رسول الله (صلىٰ الله عليه واله) في الوقوف علىٰ الحوض.

ففي المناقب ـ للخطيب الخوارزمي ـ عن النبي (صلىٰ الله عليه واله) قال لعلي ـ عليه السلام ـ: وانك غداً علىٰ الحوض خليفتي، وانت أول مَنْ يَرِد عليَّ الحوض، وانت تذود المنافقين عن حوضي..[1] الى اخره.

[وقال]: «علي صاحب حوضي يوم القيامة» للمناوي عن الطبراني في [المعجم] الاوسط[2].

وفي «ينابيع المودة» ـ للشيخ سليمان الحنفي ـ في الباب الرابع والأربعين: أخرج أبو نعيم الحافظ عن أبي هريرة قال: قال النبي (صلىٰ الله عليه واله) لعلي ـ رضي الله عنه ـ: «انت يا علي! علىٰ حوضي، تذود عنه المنافقين»[3].

وفي «جمع الفوائد»: [عن] جابر وابي هريرة رفعاه: «علي بن ابي طالب صاحب

→

٦ ـ الغدير في الكتاب والسنة ٣/١٢٧ ـ ١٤١.

٧ ـ رد الشمس (للطريحي) / ١٠ ـ ٩٣.

٨ ـ شرح العباب في اوائل كتاب الصلاة (للهيثمي).

وقد حاول التشكيك في هذه الواقعة بعض القشريين المتطرفين المرتدين زي علماء الدين، والمستشرقين، وعدد من أفراخ الغرب المصدَّرين الىٰ البلدان الاسلامية، من دون ان يكون الهدف من تلك المحاولات تقصي الحقيقة أو تقديم بحث علمي أو خدمة القضايا العلمية. هذه الجهود تمحورت حول تضعيف السند، وإدعاء عدم الفائدة، وإدعاء عدم الإمكان، والاستبعاد المحض. كما ان بعضهم وجد التمسخر من الاعتقاد بوقوع ردّ الشمس واِتهام المعتقدين به بالتحجر والتقليد والتخلف العقلي، طريقاً لنفي الواقعة. اِلّا أنَّ تلك التشكيكات والشُّبهات تتهاوىٰ بعد مراجعة المصادر المذكورة وامثالها.

١. مناقب علي بن ابي طالب /٧٦.

٢. كنوز الحقائق ٢/١٧.

٣. ينابيع المودة / ١٣٢.

حوضي يوم القيامة»[١].

وفي «جواهر العقدين»: اخرج الطبراني عن ابي كثير قال: كنتُ جالساً عند الحسن بن علي، إذ جاءه رجل فقال له: ان معاوية بن خديج يسبّ اباك عند ابي سفيان. فرآه الحسن يوماً، فقال له: انت تسبّ أبي عند آكلة الأكباد؟ أما لإن وردت الحوض ـ وما أراك ترده ـ لتجدن أبي مُشمِّراً حاسراً ذراعيه، يذود المنافقين عن حوض رسول الله (صلىٰ الله عليه واله). وهذا قول الصادق المصدَّق محمد ـ صلىٰ الله عليه واله ـ[٢]. انتهىٰ. والحديث أيضاً اخرجه ابن حجر في صواعقه[٣].

ومن حديث «الصواعق»: اخرج الطبراني عن النبي ـ ص ـ قال: «يا علي! معك يوم القيامة عصىٰ من عصي الجنة، تذود بها المنافقين عن الحوض»[٤].

و[روىٰ] احمد [عن ابي سعيد الخدري قال: قال رسول الله]: «اُعطيتُ في علي خمساً هُنَّ أحبُّ اِليَّ من الدنيا وما فيها، أما الواحدة فهو [تكأتي][٥] بين يدي الله حتىٰ يفرغ من الحساب، واما الثانية فلواء الحمد بيده، آدم ومن ولده تحته، واما الثالثة فواقف علىٰ [عُقْر][٦] حوضي، يسقي مَنْ عرف من اُمتي...»[٧]. الحديث. انتهىٰ

وهذه الأحاديث ايضاً من احاديث «ذخائر العقبىٰ» و«الرياض النضرة» للمحب الطبري[٨].

---

١. المصدر مخطوط، رواه عنه في ينابيع المودة / ١٣٢.

٢. المصدر مخطوط، رواه عنه في ينابيع المودة / ١٣٢.

٣. الصواعق المحرقة / ١٠٤.

٤. الصواعق المحرقة / ١٠٤.

٥. تكأتي: قعودي علىٰ وطاءٍ متمكناً. والزيادة من المصدر.

٦. عُقْر الحوض: المكان الذي يُشرب منه ماء الحوض. وقيل: مؤخر الحوض. والزيادة من المصدر.

٧. المصدر ـ وهو كتاب فضائل الصحابة ـ مخطوط، روىٰ عنه في ذخائر العقبىٰ / ٨٦.

٨. ذخائر العقبىٰ / ٨٦، ٩١، الرياض النضرة ٢/٢٦٨ ـ ٢٦٩ و ٢٨٠.

ومن ما اخرجه الخطيب الخوارزمي في المناقب عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ: «يا علي! انه لا يحلُّ لك في المسجد ما يحلّ لي، ألا تـرضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ الا النبوة[1]. والذي نفسي بيده انك لَذائد عن حوضي يوم القيامة، تذوذ[2] عنه رجالاً كما يُذاد البعير الضال عن الماء، بعصىٰ من عَوْسَج[3]، كأني أنظر الىٰ مقامك من حوضي[4]. انتهىٰ

١٦ ـ قوله تعالىٰ: «ألقيا في جنهم كل كفّارٍ عنيد»[5].

ان هذا هو التساوي مع النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ، لا الكون معه في مكان كذا والمشي في البيداء، مع ان رسول الله محفوظ بالله تعالىٰ.

والخطاب في الآية متوجه الىٰ النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ والىٰ علي (عليه السلام) فيما رواه ابو المؤيد الخطيب الخوارزمي في جامع مسانيد ابي حنيفة بسنده عن شريك بن عبدالله القاضي، : كنا عند الأعمش في مرضه الذي مات فيه، فدخل عليه أبو حنيفة وابن أبي ليلىٰ وابن شبرمة. فالتفت أبو حنيفة اليه ـ وكان اكبرهم، فقال: يا أبا محمد ! اتق الله، فانك في اول يوم من أيام الاَخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، وقد كنت تحدِّث في علي بن ابي طالب بأحاديث لو سكتَّ عنها كان خيراً لك.

فقال الأعمش: ألمثلي يقال ذلك؟ اسندوني، اسندوني. حدثنا المتوكل الناجي عن ابي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ـ ص ـ: اذا كان يوم القيامة، قال الله لي ولعلي بن ابي طالب: أدخلا الجنة من أحبكما، وأدخلا النار من أبغضكما، فذلك قول الله تعالىٰ: «ألقيا في

---

١ . في المصدر: «اِلّا أنه لا نبوة بعدي».

٢ . تذود: تدفع، تطرد.

٣ . عَوْسَج: شجر كثير الشوك، صلب العود.

٤ . مناقب علي بن ابي طالب / ٦٠.

٥ . سورة ق / ٢٤.

جهنم كل كفار عنيد»[١]. انتهىٰ.

قلت: ان ممن روىٰ الحديث: الملا نصر الله الكابلي في كتاب «الصواقع» وقال: قد روي الحديث بهذا الاسناد الصحيح[٢]. انتهىٰ. وكذلك اخرج الحديث باسناده وصحّحه المولوي شاه عبدالعزيز الدهلوي في كتابه «التحفة الاثني عشرية في الرد علىٰ الإمامية»[٣].

ثم اقول: ويدل علىٰ ما ذكرناه ما في «الصواعق المحرقة ـ عند قوله: «وقفوهم، اِنهم مسؤولون» ـ: اخرج الديلمي عن ابي سعيد الخدري ان النبي (ص) قال: «وقفوهم، انهم مسؤولون» عن ولاية علي[٤]. انتهىٰ.

وهذا سرّ قول النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «عنوان صحيفة المؤمن حبُّ علي بن ابي طالب». كما في «الجامع الصغير» للسيوطي في حرف العين عن أنس رفعه[٥]، و«كنوز الحقائق» للمناوي عن الديلمي[٦].

وفي «الصواعق» لابن حجر، الحديث الثاني والثلاثون: أخرج الخطيب[٧] عن أنس ان النبي ـ ص ـ قال: «عنوان صحيفة المؤمن حبُّ علي بن أبي طالب»[٨].

وفي «ينابيع المودة» للشيخ سليمان القندوزي، الباب الثاني والاربعون: اخرج ابن

---

١. لم اجده في المصدر، وقد روي قريب منه في ينابيع المودة /٨٥ عن كتاب الاربعين، ولم يصرَّح فيه باسم ابي حنيفة.

٢. المصدر مخطوط.

٣. التحفة الاثنىٰ عشرية / ٣٥٥.

٤. الصواعق المحرقة / ٨٩.

٥. الجامع الصغير ٢/٦٧.

٦. كنوز الحقائق ٢/١٧.

٧. تاريخ بغداد ٤/٤١٠.

٨. الصواعق المحرقة / ٧٥.

المغازلي[١] عن الزهري قال سمعتُ انس بن مالك يقول: والله الذي لا اله اِلّا هو سمعت رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ يقول: «عنوان صحيفة المؤمن حبُّ علي بن ابي طالب»[٢].

١٧ ـ لا يدخل أحدٌ الجنة اِلّا بجواز من علي (عليه السلام)، ومن اجل ذلك صار علي ـ عليه السلام ـ عِدْل رسول الله (صلىٰ الله عليه واله) وقرينه.

ففيما اخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» عن الحسن البصري عن أنس بن مالك قال: لما حضرت ابا بكر الوفاة، قال لعلي بن ابي طالب: والله لأُسرنَّك في نفسك بما سمعته من رسول الله ـ ص ـ. فقال علي: وما هو؟ قال: سمعت رسول الله يقول: «اِن علىٰ الصراط لعقبة، لا يجوزها أحدٌ اِلّا بجواز من علي»[٣].

[وأخرج] الخطيب أيضاً في التاريخ عن ابن عباس قال: قلت للنبي ـ ص ـ: يا رسول الله للنار جواز؟ قال: نعم. قلت: وما هو؟ قال ـ ص ـ حبّ علي بن ابي طالب[٤].

[وأخرج] العلامة المناوي في «كنوز الدقائق» عن الديلمي في الفردوس: «حُبّ علي براءة من النار»[٥].

وفي «الصواعق المحرقة»: عن أبي بكر الصديق قال: سمعت رسول الله ـ ص ـ يقول: «لا يجوز أحد الصراط اِلّا من كتب له علي الجواز». اخرجه ابن السمان في الموافقة[٦]. ونحوه الحديث في «ذخائر العقبىٰ»[٧]، و«الرياض النضرة»[٨] لمحب الدين الطبري.

---

١. مناقب علي بن ابي طالب / ٢٤٣.

٢. ينابيع المودة / ١٢٥.

٣. تاريخ بغداد ١٠/٣٥٧.

٤. تاريخ بغداد ٣/١٦١.

٥. كنوز الحقائق ١/١١٧.

٦. الصواعق المحرقة / ٧٥.

٧. ذخائر العقبىٰ / ٧١.

٨. الرياض النضرة ٢/٢٣٣.

وفي «وسيلة المآل»: اخرج ابن المغازلي[١] عن عبدالله بن أنس عن ابيه أنس قال: قال رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «اذا كان يوم القيامة [و]نُصب الصراط علىٰ شفير جهنم، لم يجز عليه اِلّا مَنْ كان معه كتاب ولاية علي [بن ابي طالب][٢]»[٣].

و[اخرج] الخطيب الخوارزمي في مناقب علي ـ عليه السلام ـ[٤]، والمحب الطبري في «الرياض»[٥]، وابن المغازلي[٦] بأسانيد عديدة عن النبي (صلىٰ الله عليه واله) قال: اِذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيامة [و][٧]نصب الصراط علىٰ جهنم[٨]، لم يجز عنها[٩] اِلّا من كانت معه براءة (اي: من النار) بولاية علي بن ابي طالب[١٠].

ومن حديث آخر من كلام النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «لم يجز عليه اِلّا من كان معه

١. في مناقب علي بن ابي طالب /٢٤٢.

٢. الزيادة من مناقب علي بن ابي طالب / ٢٤٢.

٣. المصدر مخطوط.

٤. مناقب علي بن ابي طالب / ٣١، ٢٩٩.
لكن الذي في الموضعين مختلف مع المذكور في المتن فراجع.

٥. الرياض النضرة ٢٢٦/٢ مع اختلاف يسير يأتي ذكره.

٦. مناقب علي بن ابي طالب / ٢٤٢. والذي فيه نفس الرواية المنقولة عن «وسيلة المآل» المذكورة فيما سبق.

٧. الزيادة من الرياض النضرة، وفرائد السمطين ٢٨٩/١.

٨. في الرياض والفرائد: «على جسر جهنم». وفي مناقب علي بن ابي طالب: «علىٰ شفير جهنم».

٩. في الرياض: «ما جازها أحد»، وفي الفرائد: «لم يجز بها أحد».

١٠. الفاظ هذا الحديث مطابقة لما رواه القندوزي في ينابيع المودة / ١١٢ عن الحمويني (فرائد السمطين).
لكن الذي في النسخة المطبوعة من الفرائد ٢٩١/١ مختلف معه في بعض الألفاظ، وان كان المضمون واحدا. ولعل نسبة المؤلف الراوية الىٰ الخوارزمي لاجل قول القندوزي بعد نقل الرواية «واخرج هذا الحديث موفق بن احمد بسنده عن الحسن البصري عن عبدالله بن مسعود». لكن عرفت ان الخوارزمي لم يرو هذا الحديث، وانما روىٰ حديثين بمضمونه.

كتاب ولاية علي بن ابي طالب»[١].

ومن حديث آخر لابن المغازلي من قول النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: لم يجز علىٰ الصراط اِلّا من معه جوازٌ من علي بن ابي طالب[٢]. انتهىٰ

١٨ ـ **علي (عليه السلام) قسيم الجنة والنار.** ان علياً (عليه السلام) من هذه الجهة عِدْل رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وقرينه، فـ:

أ / في «جواهر العقدين» ـ للعلامة السمهودي ـ بالاسناد الىٰ أبي الصلت الهروي عن علي بن موسىٰ الرضا قال: سمعت أبي يحدِّث عن أبيه عن علي قال: قال رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «انت قسيم الجنة والنار في يوم القيامة، تقول للنار هذا لي، وهذا لكِ»[٣].

ب / وفي «الصواعق المحرقة»: أخرج الدارقطني ان علياً قال لبقية اهل الشورىٰ كلاماً طويلاً من جملته: «انشدكم بالله! هل فيكم احدٌ قال له رسول الله ـ ص ـ يا علي! انت قسيم الجنة والنار يوم القيامة، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

ومعناه: ما رواه عنترة عن علي الرضا (عليه السلام) ان النبي ـ ص ـ قال له: «انت قسيم الجنة والنار، فيوم القيامة تقول للنار: هذا لي، وهذا لكِ[٤]. انتهىٰ. والحديث أيضاً أخرجه احمد بن عبدالقادر الشافعي في «ذخيرة المآل»[٥].

جـ / وفي «كنز العمال» لعلي المتقي، و«جمع الجوامع» للسيوطي بالاسناد الىٰ علي ـ عليه السلام ـ قال: «انا قسيم النار». [أخرجه] شاذان الفضلي في «رد الشمس»[٦].

---

١. مناقب علي بن ابي طالب ـ للواسطي ـ /٢٤٢.

٢. مناقب علي بن ابي طالب / ٢٤٢.

٣. المصدر مخطوط، رواه عنه في ينابيع المود /٨٤.

٤. الصواعق المحرقة /٧٥.

٥. المصدر مخطوط.

٦. المصدر مخطوط. والحديث مذكور في لسان الميزان ٣/٢٤٧.

د / وفي «كنوز الدقائق» للمناوي ـ حرف العين ـ رفعه : «علي قسيم النار والجنة». للديلمي[١].

هـ / وفي روضة الفردوس عن حذيفة قال : قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «علي قسيم النار»[٢].

و / وفي كتاب «الشفاء» للقاضي عياض ـ في الباب الرابع، في اِخبار النبي (صلىٰ الله عليه واله) بالمغيبات، ومن جملتها قتل علي : «وان اشقاها من يخضب هذه من هذه ـ أي : لحيته من رأسه، وانه قسيم النار، يدخل اولياءه الجنة واعداءه النار»[٣].

ز / و[قال] ابن الأثير في «النهاية» : في حديث علي ـ عليه السلام ـ : «انا قسيم الجنة والنار»[٤].

ح / وفي «الفائق» للزمخشري : قال علي : «أنا قسيم النار». أي : مُقاسمها[٥].

ط / وفي «الرياض النضرة» : أخرج احمد في المناقب عن علي قال : «لأذودنَّ بيديّ هاتين القصيرتين عن حوض رسول الله رايات الكفار والمنافقين»[٦].

ي / [واخرج] الخطيب الخوارزمي في «مناقب علي» من الفصل التاسع عشر بالاسناد الىٰ النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قال : يا علي ! انك قسيم الجنة والنار، وانك تقرع[٧] باب الجنة، فتدخلها بلا حساب[٨].

---

١ . كنوز الحقائق ٢/١٦.

٢ . المصدر مخطوط، رواه عنه في كنوز الحقائق ٢/١٦.

٣ . الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ١/٢٢٣.

٤ . النهاية في غريب الحديث ٤/٦١.

٥ . الفائق في غريب الحديث ٣/١٩٥.

٦ . الرياض النضرة ٢/٢٨٠.

٧ . في المصدر : تنقر.

٨ . مناقب علي بن ابي طالب / ٢٠٩.

ك / وأخرج الحاكم في «المستدرك» والمحب الطبري بالإسناد الىٰ ابن عباس قال: نظر النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ الىٰ علي (عليه السلام) فقال: «يا علي! انت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة». خرّجه ابو عمرو، وابو خير الحاكمي[١].

ل / وفي «المودة القربىٰ» للسيد علي الهمداني، في المودة التاسعة: عن ابي سعيد الخدري قال: قال النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «ان الله أعطاني مفاتيح الجنة والنار». وقال ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: يا سلمان! قُل لعلي: «انك تخرج من تشاء وتدخل من تشاء»[٢].

م / وفيها: عن زيد بن اسلم: قال رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «يا علي! بخٍ بخٍ، مَنْ مثلك والملائكة تشتاق اليك، والجنة لك، انه إذا كان يوم القيامة ينصب لي منبر من نور، ولابراهيم منبر من نور، ولك منبر من نور. فتجلس عليه، وإذاً منادٍ ينادي: بخٍ بخٍ من وصيٍ بينٍ حبيبٍ وخليل. ثم اوتىٰ بمفاتيح الجنة والنار، فأدفعها اليك»[٣].

ن / وفيها: عن جابر رفعه: «اذا كان يوم القيامة يأتي جبرئيل وميكائيل بحزمتين من المفاتيح، حزمة من مفاتيح الجنة، وحزمة من مفاتيح النار، [وعلىٰ مفاتيح الجنة اسماء المؤمنين من شيعة محمد وعلي، وعلىٰ مفاتيح النار أسماء المبغضين من اعدائه، فيقولان لي: يا احمد! هذا مبغضك وهذا محبك][٤]. فأدفعها الىٰ علي بن ابي طالب، فيحكم فيهم بما يريد. فوالذي قسّم الأرزاق! لا يدخل مبغضيه الجنة ولا محبيه النار ابدا»[٥].

س / [واخرج] ابو محمد احمد بن محمد بن علي العاصمي في «زين الفتىٰ شرح سورة

---

١. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٢٧ ـ ١٢٨، وقال: صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم. الرياض النضرة ٢/٢٣٤، واللفظ له.

٢. المصدر مخطوط، رواه عنه في ينابيع المودة / ٢٥٦.

٣. المصدر مخطوط، رواه عنه في ينابيع المودة / ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

٤. الزيادة من المصدر.

٥. المصدر مخطوط، رواه عنه في ينابيع المودة / ٢٥٧.

هل اتیٰ» بسنده الى أنس بن مالك عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قال: ينادي يوم القيامة لعلي أربعة منادٍ يسمونه بأربعة أسماء:

يا علي بن ابي طالب! جُعلت الميزان بيدك، فرجِّح مَنْ شئت واخفض مَنْ شئت.

ويا اسد الله! جُعلت حوض محمد بيدك، فاِسق مَنْ شئت واحبس مَن شئت.

ويا سيف الله علىٰ أعدائه! اِذهب الىٰ الصراط، فاحبس مَنْ شئت وجوِّز مَنْ شئت.

ويا ولي الله! اذهب الىٰ باب الجنة، فادخل مَنْ شئت، واصرف عنها مَنْ شئت، فانه لا يدخلها اِلّا من أحبك بقلبه[1]. انتهىٰ

ان هذه هي المساواة مع النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ في المنزلة والمشاركة في اسنىٰ المرتبة واعلىٰ الدرجة، لا الوقوف عند النبي في العريش وعدم فدائه بنفسه، كفعل علي ـ عليه السلام ـ ليلة الهجرة حتىٰ باهىٰ به الملائكة ونزل فيه قوله تعالىٰ: «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله»[2].

بل وأين منه الدفن في الحجرة بتصرفٍ من عائشة وهي المتظاهرة علىٰ رسول الله في حياته[3]، والخارجة علىٰ وصيه وخليفته بعد وفاته؟ بل الغادرة بعثمان في قولها: «اقتلوا نعثلا»[4]، وكذلك تبرجها تبرج الجاهلية الاولىٰ. فأي حجة قاطعة في قولها وفعلها؟

---

١. المصدر مخطوط.

٢. سورة البقرة / ٢٠٧.

وسيأتي تفصيل ذلك ـ مع المصادر ـ في الجزء الثالث / ١٣٦ ـ ١٤١.

٣. صحيح البخاري ٥٧/٧، كتاب الطلاق، باب «لم تحرم...».

٤. تاريخ الرسل والملوك ٤٥٩/٤.



[فضيلة تزويج فاطمة الزهراء من الاِمام علي]

اِختصاص علي (عليه السلام بفضيلة التزويج بفاطمة (عليها السلام):

١ / ففي «ذخائر العقبىٰ» و«الرياض النضرة» عن أنس بن مالك: ان ابا بكر وعمر خطبا فاطمة، فلم يجبهما رسول الله ـص ـ، وخطبها علي، فأجابه وقال: ان الله أمرني أن أُزوِّج فاطمة من علي[1].

٢ / وفي «كنوز الدقائق» للمناوي ـ حرف الهمزة ـ عنه (صلىٰ الله عليه واله): ان الله أمرني ان أُزوِّج فاطمة بعلي. للطبراني[2].

٣ / وفي «الذخائر» و«الرياض» عن النبي ـص ـ: ان الله زوَّج فاطمة علياً بمشهد من الملائكة[3].

٤ / وفيهما: عن أنس قال: بينما رسول الله في المسجد، اِذ قال لعلي: «هذا جبرئيل يخبرني ان الله عزَّ وجل زوَّجَك فاطمة، وأشهد علىٰ تزويجها أربعين ألف مَلَك، وأوحىٰ الىٰ شجرة طوبىٰ ان انثري علىٰ الحور العين الدُّرَّ واليواقيت، فنثرت...»[4].

---

١. ذخائر العقبىٰ / ٢٧، ٣٠ ـ ٣١، والمنقول مضمون بعضٍ من روايتي أنس في المقام.
الرياض النضرة ٢ /٢٣٨، والمنقول بالمضمون.

٢. كنوز الحقائق ١ /٥٣.

٣. ذخائر العقبىٰ / ٣٢، الرياض النضرة ٢ /٢٤٢، والذي فيه مضمون الخبر السابق المروي عنه.

٤. ذخائر العقبىٰ / ٣٢، الرياض النضرة ٢ /٢٤٢.

٥ / وفي «الصواعق المحرقة»: أخرج أبو داود السجستاني ان ابا بكر خطبها، فأعرض ـص ـ عنه. ثم عمر، فأعرض عنه. فأتيا علياً، فنبّهاه الىٰ خطبتها. فجاء فخطبها. فقال ـص ـ: ما معك؟ قال علي: فرسي وبَدَني[1]. فقال ـص ـ أمّا فرسك فلا بد منه وأمّا بَدَنك فبعها وأئتني بها. فباعها...[2] الى آخر الحديث.

٦ / وفيه: ان جبرئيل جاء الىٰ النبي (ص) فقال: ان الله يأمرك ان تزوِّج فاطمة من علي، فدعىٰ ـص ـ جماعة من اصحابه، فقال: الحمد لله المحمود بنعمته...»[3]. الى اخر الخطبة المشهورة.

٧ ـ وفي «ذخائر العقبىٰ» عن أنس ان رسول الله غشيه الوحي، فلما افاق، قال أتدري ما جاء به جبرئيل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: أمرني الله أن أُزوِّج فاطمة من علي، فانطلِقْ فادعُ لي رؤساء المهاجرين والانصار. فاجتمعوا، ثم خطب خطبة التزويج[4].

٨ ـ وفي «الذخائر» عن ابن مسعود قال: قال رسول الله (ص): يا فاطمة ! اني لم ازوّجكِ من علي من تلقاء نفسي، بل أمرني الله أن ازوّجكِ منه[5].

٩ ـ وفي «الرياض النضرة»: عن عمر بن الخطاب (وقد ذُكر عنده علي) قال: «ذاك صهر رسول الله ـص ـ، نزل جبرئيل فقال: ان الله يأمرك ان تزوج فاطمة ابنتك من علي»[6]. انتهىٰ.

فامتاز أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ بالتزويج بسيدة نساء العالمين دون ابي بكر

---

١. بَدَن: درع.

٢. الصواعق المحرقة / ٩٧.

٣. الصواعق المحرقة / ٩٧.

٤. ذخائر العقبىٰ / ٣١. والمنقول بالمضمون.

٥. ذخائر العقبىٰ / ٣١. والذي فيه: «اني لم أُزوّجكِ من علي، ان الله أمرني ان أُزوّجكِ منه».

٦. الرياض النضرة ٢/٢٤٢.

وعمر، وكان وقوعه من الله بمشهد من ملائكة السماء، ونثر شجرة طوبىٰ، فصارت ذرية الرسول ـ صلىٰ الله عليه واله ـ من علي (عليه السلام). ففي «الصواعق المحرقة»: الحديث السابع والعشرون: اخرج الطبراني عن جابر، والخطيب عن ابن عباس[1] ان النبي ـ ص ـ قال: «ان الله تعالىٰ جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب»[2].

---

١. تاريخ بغداد ٣١٦/١.

٢. الصواعق المحرقة / ٧٤.

[تعيين الامام علي خليفة لرسول الله]

ترشيح النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ علياً (عليه السلام) للخلافة وانه الأحرىٰ بها[1]، في «المسند»[2] لاحمد بن حنبل، و«أُسد الغابة» لابن الأثير الجزري في ترجمة علي ـ عليه السلام ـ[3]، و«الاصابة» لابن حجر العسقلاني في الترجمة[4]، بالإسناد الىٰ رسول الله (صلىٰ الله عليه واله) قال: «إنْ تؤمّروا علياً ـ ولا أراكم فاعلين، تجدوه هادياً مهدياً، يأخذ بكم الطريق المستقيم».

ومن حديث ابن عبدالبر في «الإستعياب» عن عبدالرزاق عن الثوري عن أبي اسحاق عن زيد بن تبيع عن حذيفة قال: قال رسول الله ـ ص ـ: «إنْ ولّوا علياً، فهادياً مهديا»[5].

وفي مستدرك الحاكم: عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «وإنْ تولّوا علياً، تجدوه

---

١. المراد هو إعلان النبي عن تعيين الله الامام علي خليفة له من بعده، اذ ان تعيين اوصياء الانبياء يكون من قبل الله، والنبي انما يكشف عن ذلك التعيين لأُمته.

٢. مسند احمد بن حنبل ١/١٠٩.

٣. أُسد الغابة ٤/٣١.

٤. الإصابة ٢/٥٠٩ ـ ٥١٠.

٥. الإستيعاب / ٤٧٨.

هادياً مهدياً، يسلك بكم الطريق». قال الحاكم: هذا حديث صحيح، ولم يخرّجاه[١]. ونحوه حديث الذهبي في «تلخيص المستدرك»[٢].

وفي حديث أبي نعيم ـ في الحلية ـ عن حذيفة قال: قالوا: يا رسول الله! ألا تستخلف علينا؟

قال ـ ص ـ: إن تولّوا علياً، تجدوه هادياً مهديا[٣].

وفيها: عن حذيفة قال: قال رسول الله ـ ص ـ: «إنْ تستخلفوا علياً ـ وما أراكم فاعلين ـ تجدوه هادياً مهديا، يحملكم علىٰ المحجة البيضاء»[٤].

ونحوه احاديث «كنز العمال» عن ابي داود عن حذيفة، وعن الخطيب، وابن عساكر عن حذيفة، وعن الطبراني في الكبير، وابن عساكر عن علي ـ عليه السلام ـ[٥].

ثم ان ممن وروىٰ الحديث ابن حجر في «الصواعق» عن علي ـ عليه السلام ـ. وقال [ابن حجر]: فهو يدل علىٰ ان أمر الإمام موكول الىٰ مَنْ يؤمّره المسلمون بالبيعة، وعلىٰ عدم النص بها علىٰ علي...[٦] الى اخره.

قلتُ: ان قوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ «ولا أراكم فاعلين» تعريض عليهم بإعراضهم عن علي (عليهم السلام) اذ نص عليه ذلك الحين، بل وتعريض علىٰ مَنْ أعرض عنه (عليه السلام) وانحرف عن الطريق المستقيم والمحجّة البيضاء، ولا دلالة للحديث علىٰ عدم النص بها لعلي ـ عليه السلام ـ مطلقا، حتىٰ فيما بعد، بعد أن يَعِد الله نبيه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ

---

١. المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/٧٠.

٢. تلخيص المستدرك ٣/٧٠.

٣. حلية الاولياء ١/٦٤.

٤. حلية الاولياء ١/٦٤.

٥. كنز العمال ١١/٦١٢.

٦. الصواعق المحرقة / ٢٧.

بقوله: «والله يعصمك من الناس»[١]. وانما فيه من الدلالة الواضحة علىٰ انه (صلىٰ الله عليه واله) متىٰ ما نص علىٰ علي (عليه السلام)، ما كروه ونازعوه وأخرجوه عنها وعاملوه معاملة بني اسرائيل مع هارون، وهذه من علائم نبوته ـ صلىٰ الله عليه واله ـ حيث اخبرهم بالمغيَّب من أحوالهم، كما اخبرهم بما يقع من بني أُمية علىٰ علي وبقية أهل بيته (عليهم السلام) من القتل وتشريد البلاد.

والخطيب البغدادي في التاريخ رفعه: إن وليتموها ـ يعني: الخلافة ـ علياً، فهاد مهتد، يقيمكم علىٰ صراط مستقيم. وفي حديثه الآخر: يقيمكم علىٰ طريق مستقيم[٢].

والخطيب الخوارزمي عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ: «ان تبايعوا علياً ـ ولن تفعلوه ـ تجدوه هادياً مهديا، يسلك بكم الطريق المستقيم»[٣].

ومن حديثه أيضاً عن ابن مسعود قال: كنت مع النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وقد أصحر[٤]، فتنفس الصُّعَداء[٥]. فقلت: يا رسول الله! مالك تتنفس؟

قال: نُعيتْ اليَّ نفسي.

فقلت: استخلف.

قال: مَنْ؟

قلت: ابا بكر. فسكت. ثم مضىٰ ساعة، ثم تنفس.

فقلت: ما شأنك بأبي انت وامي يا رسول الله!؟

قال: نُعيتْ اليَّ نفسي يا ابن مسعود!

---

١. سورة المائدة / ٦٧.

٢. تاريخ بغداد ١١/٤٦.

٣. مناقب علي بن ابي طالب / ٢١٣.

٤. أصحر: خرج الىٰ الصحراء.

٥. تنفس الصَّعَداء: تنفّس نفساً محدوداً من هَمٍّ أو توجع.

قلت: استخلف.

قال: مَنْ؟

قلت: عمر. فسكت، ثم مضىٰ ساعة، ثم تنفس.

قلت: ما شأنك؟

قال نُعيتْ اليَّ نفسي.

قلت: استخلف.

قال: مَنْ؟

قلت: علياً.

قال: أوَّهْ[١]، ولن تفعلوه ابدا، والله! لإن فعلتموه ليدخلنكم الجنة[٢]. انتهىٰ

ان من نظر في الحديث، عرف ان النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ بصدد الاِستخلاف، لقوله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ انه «نُعيتْ اِليَّ نفسي» وانه لا يريد استخلاف مَنْ ذكره ابن مسعود اِلّا علي (عليه السلام)، بدليل اِعراضه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ عن ابي بكر وعمر، واستحسان استخلاف علي ـ عليه السلام ـ، وقوله (صلىٰ الله عليه واله): «لإن فعلتموه، ليدخلنكم الجنة».

ومن حديث «البداية والنهاية» لابن كثير الشامي، حاكياً عن الحاكم النيسابوري، وحديث «آكام المرجان» لبدر الدين الشبلي الحنفي عن النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ قال: «أما والذي نفسي بيده! لإن أطاعوا علياً، ليدخلون الجنة أكتعين[٣]»[٤].

وأيضاً في «آكام المرجان» عن ابن مسعود قال: ان رسول الله شَـبَّك أصابعه في

---

١. أوَّهْ: كلمة تستعمل عند التوجع.

٢. مناقب علي بن ابي طالب، / ٦٤، مع اختلافات غير مخلة بالمقصود.

٣. اكتعين: اجمعين.

٤. البداية والنهاية ٣٦١/٧. واكام المرجان مخطوط.

أصابعي وقال: ما أظن أجلي اِلّا قد اقترب. قلت: يا رسول الله ! ألا تستخلف أبا بكر؟ فأعرض عني، فرأيت انه لم يوافقني. قلت: يا رسول الله ! ألا تستخلف عمر؟ فأعرض عني، فرأيتُ انه لم يوافقني. قلت: يا رسول الله! ألا تستخلف عليا؟ قال: ذلك والذي لا اله الا هو، لو بايعتموه واطعتموه، أدخلكم الجنة أكتعين[1]. انتهىٰ

والحديث أيضاً أخرجه الشيخ شهاب الدين احمد في «توضيح الدلائل» عن ابن مسعود، والحافظ أبو نعيم في كتابه «دلائل النبوة».

وهذا تمهيدٌ من النبي الذي لا ينطق عن الهوىٰ بأن علياً ـ عليه السلام ـ هو المقدَّم والأحق والاحرىٰ بالقيام مقامه. وتمديدٌ لما أوقعه ـ صلىٰ الله عليه واله ـ يوم الدار بعد نزول آية الاِنذار مخاطباً لعشيرته الأقربين ومشيراً الىٰ علي (عليه السلام): «ان هذا اخي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوه»[2]. وترشيحٌ لعلي ـ عليه السلام ـ بالخلافة بألسنة مختلفة. واِقامةٌ للحجة علىٰ أن مَنْ أعرض عن طاعته. وتصريحٌ بأن في ولايته وطاعته الهداية ودخول الجنة، وان في خلاف علي ـ عليه السلام ـ والتخلّف عنه، الوقوع في الهلكة.

كما في حديث ابن ابي الحديد ـ في الشرح ـ عن ام سلمة قالت لعائشة (مذكِّرة لها بعض ما يوجب انتهاءها عن الخروج الىٰ البصرة): اُذكّركِ كنتُ أنا وانتِ مع النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ وعلي يتعاهد نعله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ، اذ جاء أبوك وعمر فاستأذنا عليه، فقمنا الىٰ الحجاب ودخلا يحدّثاه. ثم قالا: يا رسول الله ! اِنّا لا ندري قدر ما تصحبنا، فلو علمتنا مَنْ تستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعا. فقال ـ صلىٰ الله عليه واله ـ لهما: أمَا اني لو فعلت، لتفرقتم عنه، كما تفرقت بنو اسرائيل عن هارون. فسكتا. ثم خرجا.

فلما خرجنا الىٰ رسول الله، قلت له: مَنْ كنت ـ يا رسول الله! ـ مستخلفاً عليهم؟ فقال: خاصف النعل. فنزلنا، فلم نر أحداً اِلّا عليا، فقال: هو ذاك. فقالت عائشة: نعم اذكر ذلك . انتهىٰ.

---

١ . المصدر مخطوط.

٢ . شواهد التنزيل ١ /٣٧١، تاريخ الرسل والملوك ٢ /٣١٩ ـ ٣٢١، اِنسان العيون ١ /٣١١.

وفي هذا الحديث زيادة علىٰ غيره من الدلالة علىٰ تنزيل النبي ـ صلىٰ الله عليه واله ـ علياً (عليه السلام) من نفسه المقدسة منزلة هارون في أن التفرق عن علي (عليه السلام) كالتفرق عن هارون.

ومن حديث الحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس: إن علياً ـ عليه السلام ـ كان يقول في حياة رسول الله ـ صلىٰ الله عليه واله ـ «والله اني لأخوه ووليه ووارثه [١] وابن عمه، فمن أحق به مني» [٢]؟ انتهىٰ.

ومن كلامه ـ عليه السلام ـ يوم الشورىٰ: «ليس هذا اول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبرٌ جميل، والله المستعان علىٰ ما تصفون». كما في رواية الطبري في تاريخه في قصة الشورىٰ [٣].

جبرئيل وتصريحه بأحقية أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: [في] «كنز العمال» [٤] لعلي المتقي الهندي الحنفي، و«منتخب الكنز» في باب مرض النبي [٥] ـ في هامش المسند، و«الرياض النضرة» [٦]، والخطيب الخوارزمي في «المناقب» [٧] عن علي (عليه السلام) قال: دخلتُ علىٰ رسول الله ـ ص ـ وهو مريض، ورأسه في حِجْر رجل احسن ما رأيتُ من الخلق، والنبي نائم. فلما دخلتُ عليه، قال الرجل: أُدن الىٰ ابن عمك، فأنت أحق به مني. فدنوتُ منهما، فقام الرجل، وجلست مكانه، ووضعتُ رأس النبي ـ ص ـ في حجري كما

---

١ . في المصدر: «ووارث علمه».

٢ . المستدرك علىٰ الصحيحين ١٢٦/٣.

٣ . تاريخ الرسل والملوك ٢٣٣/٤.

٤ . كنز العمال ٦١٢/١١ مع اختلاف غير مخل بالمقصود.

٥ . منتخب كنز العمال ١١٥/٤.

٦ . الرياض النضرة ٢٩٠/٢ ـ ٢٩١، مع اختلاف غير مخل بالمقصود.

٧ . مناقب علي بن ابي طالب / ٨٣، واللفظ له.

كان في حجر الرجل. فمكث ساعة.

ثم ان النبي ـص ـ استيقظ، فقال: اين الرجل الذي كان رأسي في حجره؟ فقلت: لمّا دخلتُ عليك، دعاني، ثم قال لي: أُدنُ الى ابن عمك، فأنت أحق به مني. ثم قام [فجلست مكانه][1]. [فـ] قال النبي: فهل تدري من الرجل؟... ذاك جبرئيل، كان يحدثني حتىٰ خَفَّ عني وجعي، ونِمْتُ ورأسي في حجره. [اخرجه] أبو عمرو الزاهد في فوائده.

وفي «الصواعق المحرقة»: الحديث الخامس والثلاثون: اخرج الخطيب عن البراء والديلمي عن ابن عباس ان النبي ـص ـ قال: «عليٌ مني بمنزلة رأسي من بدني»[2]. انتهىٰ. وهو حديث المحب الطبري في «ذخائر العقبىٰ»[3] و«الرياض النضرة»[4].

وفي «كنوز الدقائق» للعلامة المناوي ـ في حرف العين ـ: «عليٌ مني بمنزلة رأسي من بدني». للخطيب[5] انتهىٰ. ورواه بألفاظه السيوطي في «الجامع الصغير» في حرف العين عن الخطيب[6].

أقول: فهل معنىٰ الحديث اِلّا أن قوام رسالة رسول الله ـصلىٰ الله عليه واله ـ ونبوته بولاية العهد لعلي من بعده؟ أو ان معناه: قوام شريعته وحفظها منوط بوجود علي (عليه السلام) حياً وميتا، كقوام بدن النبي برأسه، فلولا الرأس، لم يكن للبدن قوام، فهل تبقىٰ فضيلة بعدئذ يشذ عنها؟

---

١. الزيادة من المصدر.

٢. الصواعق المحرقة /٧٥.

٣. ذخائر العقبىٰ / ٦٣.

٤. الرياض النضرة ٢/٢١٤ (و ٢/١٦٢ من طباعة اخرىٰ) والذي فيه «.. رأسي من جسدي».

٥. كنوز الحقائق ٢/١٧.

٦. الجامع الصغير ٢/٦٦.

وفي «ذخائر العقبىٰ»[١]، و«الرياض»[٢]، و«المناقب» للخطيب الخوارزمي، و«الصواعق المحرقة»[٣] عن ابي بكر قال: كيف؟[٤] ما كنتُ لأتقدم رجلاً سمعت رسول الله يقول فيه: «علي مني كمنزلتي من ربي». اخرجه ابن السمان. انتهىٰ.

ولا يخفىٰ أن منزلة الرسول ـصلىٰ الله عليه واله ـ من الله سبحانه هي النبوة والرسالة، وليست لعلي ـعليه السلام ـ هذه المنزلة بالضرورة الدينية، فتبقىٰ منزلة الولاية المطلقة والواسطة في التبليغ والتأدية لِما أتىٰ به النبي ـصلىٰ الله عليه واله ـ وحفظ الشريعة، فكانت هذه الوظائف المختصة بعلي ـعليه السلام ـ دون غيره، وإلّا لكان التنزيل في كلامه (صلىٰ الله عليه واله) خالياً عن الفائدة، وذلك خلاف الضرورة من الكتاب والسنة.

---

١. ذخائر العقبىٰ / ٦٤.

٢. الرياض النضرة ٢/٢١٥ (و ٢/١٦٣ من طباعة اخرىٰ).

٣. الصواعق المحرقة / ١٠٦.

٤. «كيف» لا يوجد في المصادر.

مواصفات النسخ المعتمدة من المصادر المطبوعة فــي عملية توثيق هذا الجــزء

نظراً الىٰ اِختلاف طبعات الكتب التي اعتمدنا عليها في عملية تحقيق وتوثيق هذا الكتاب غالباً، ووقوع التحريف في بعض الطبعات منها، فسنذكر مواصفات النسخ التي اعتمدنا عليها كي يسهل مراجعتها. هذه المعلومات اقتسبناها من نفس الكتب، وفي حال عدم وجدان اسم الناشر، وضعنا مكانه اسم المطبعة، كما انه في حـال عـدم تـوفر بـقية المعلومات، وضعنا مكانها علامة استفهام.

المذكور في البداية هو اسم الكتاب، ويليه اسم المؤلف، بعده مرتبة الطـباعة، ثم مكان نشر الكتاب وناشره، وأخيراً تاريخ النشر.

١٩ ـ اِبطال نهج الباطل واهمال كشف العاطل، فضل بن رزوبهان القاساني، الاولىٰ، طهران ـ ايران، المكتبة الاِسلامية، سنوات عديدة. (مطبوع ضمن كتاب «احقاق الحـق وازهاق الباطل»).

٢٠ ـ الاِتقان في علوم القران، عبدالرحمٰن السيوطي، الاولىٰ، بيروت ـ لبنان، دار اِحياء العلوم، ١٤٠٧.

٢١ ـ اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، محمد بن الحسن العاملي،؟، قم ـ ايران، الطبعة العلمية،؟.

٢٢ ـ الاِحتجاج، احمد الطبرسي،؟، بيروت ـ لبنان؟ مؤسسة النعمان،؟.

٢٣ ـ الإِحكام في اصول الاحكام، على بن حزم الاندلسى، الثانية، القاهر ة ـ مصر، مطبعة الامام،؟.

٢٤ ـ أحكام القران، الجصاص.

٢٥ ـ إِحياء علوم الدين، محمد الغزالي، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، مؤسسة الحلبي وشركاؤه، ١٣٨٧.

٢٦ ـ إِحياء الميت بفضائل اهل البيت، عبدالرحمٰن السيوطي، الاولىٰ، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٢.

٢٧ ـ إِرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، احمد القسطلاني، السابعة، بولاق ـ مصر، المطبعة الأميرية، ١٣٢٣.

٢٨ ـ إِرشاد العقل السليم الىٰ مزايا الكتاب الكريم، محمد العمادي،؟، بيروت ـ لبنان، دار الفكر،؟.

٢٩ ـ أسباب النزول، علي الواحدي، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، مكتبة ومطبعة مصطفىٰ الحلبي البابي، ١٣٧٩.

٣٠ ـ الاِستيعاب في معرفة الاصحاب، يوسف بن عبدالله (ابن عبدالبر)، الاولىٰ، حيدرآباد ـ الهند، مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣١٩.

٣١ ـ أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة، علي الجزري،؟، القاهرة ـ مصر، جمعية المعارف، ١٣٨٦.

٣٢ ـ إِسعاف الراغبين، محمد الصبان، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، عبدالحميد الحنفي،؟ (مطبوع بهامش نور الابصار).

٣٣ ـ الإِصابة في تميز الصحابة، احمد العسقلاني، القاهرة ـ مصر، مطبعة السعادة، ١٣٢٨.

٣٤ ـ الإِمامة والسياسة، عبدالله الدينوري (ابن قُتيبة)، الثانية، القاهرة ـ مصر، مكتبة مصطفىٰ الحلبي، ١٣٧٧.

٣٥ ـ إِمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، احمد المقريزي، القاهرة ـ مصر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤١.

٣٦ ـ إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي الحلبي، ؟، القاهرة ـ مصر، المطبعة البهية، ١٣٢٠.

٣٧ ـ انوار التنزيل واسرار التأويل، عبدالله البيضاوي، ؟، القاهرة ـ مصر، المطبعة العثمانية المصرية، ١٣٠٥.

٣٨ ـ البداية والنهاية، اسماعيل القرشي الدمشقي، الاولىٰ، الرياض ـ السعودية، مكتبة النصر، ١٩٦٦.

٣٩ ـ البيان والتبيين، عمرو الجاحظ، الثانية، القاهرة ـ مصر، مكتبة الخانجي، ١٣٨٠.

٤٠ ـ تأويل مختلف الحديث، عبدالله بن مسلم، ؟، بيروت ـ لبنان، دار الجيل، ١٣٩٣.

٤١ ـ تاج العروس، محمد مرتضىٰ الزبيدي، الاولىٰ، الكويت، وزارة الاعلام، ١٤٠٥.

.. ـ تاريخ ابي الفداء. راجع : المختصر في أخبار البشر.

٤٢ ـ تاريخ بغداد، احمد الخطيب البغدادي، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، مكتبة الخانجي، ١٣٤٩.

٤٣ ـ تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، المكتبة التجارية الكبرىٰ، ١٣٧١.

٤٤ ـ تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الامام علي بن ابي طالب، علي بن الحسن (ابن عساكر)، الثانية، بيروت ـ لبنان، مؤسسة المحمودي، ١٤٠٠.

ـ تاريخ مدينة دمشق ـ ترجمة الامام الحسن بن علي، علي بن الحسن (ابن عساكر)، الاولىٰ، بيروت ـ لبنان، مؤسسة المحمودي، ١٤٠٠.

٤٥ ـ تاريخ اليعقوبي، احمد اليعقوبي، بيروت ـ لبنان، دار صادر، ١٣٧٩.

٤٦ ـ تذكرة الحفّاظ، محمد الذهبي، الثالثة، حيدر آباد ـ الهند، مطبعة مجلس دائرة المعاف العثمانية، ١٣٧٥.

٤٧ ـ تذكرة خواص الأُمة، يوسف البغدادي، ؟، النجف ـ العراق، ؟، ؟.

٤٨ ـ التسهيل لعلوم التنزيل، محمد الكلبي، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، المكتبة التجارية ١٣٥٥.

.. ـ تفسير البغوي. راجع : معالم التنزيل.

.. ـ تفسير البيضاوي. راجع : أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

.. ـ تفسير الخازن. راجع : لباب التأويل ومعاني التنزيل.

.. ـ تفسير الطبري. راجع : جامع البيان في تفسير القرآن.

.. ـ تفسير القرطبي. راجع : الجامع لأحكام القران.

٤٩ ـ ـ تفسير القران العظيم، اسماعيل القريشي الدمشقي،؟، استانبول، تركيا، دار قهرمان للنشر والتوزيع،؟.

٥٠ ـ التفسير الكبير، محمد الرازي، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، المطبعة البهية المصرية، ١٣٥٧.

٥١ ـ تلبيس ابليس، عبدالرحمن بن الجوزي، الثانية، القاهرة ـ مصر، ادارة الطباعة المنيرية، ١٣٦٨.

٥٢ ـ تلخيص المستدرك، محمد الذهبي، الاولىٰ، حيدر آباد ـ الهند، مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٤١ (مطبوع بهامش المستدرك).

٥٣ ـ تهذيب الأسماء واللغات، محي الدين النووي،؟، القاهرة ـ مصر، إدارة الطباعة المنيرية،؟

٥٤ ـ تهذيب التهذيب، احمد العسقلاني،؟، حيدرآباد ـ الهند، مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٥.

٥٥ ـ جامع البيان في تفسير القران، محمد بن جرير الطبري، الاولىٰ، بولاق ـ مصر، المطبعة الكبرىٰ الأميرية، ١٣٥٣.

٥٦ ـ الجامع الصغير في احاديث البشير النذير، عبدالرحمٰن السيوطي، الرابعة، القاهرة ـ مصر، مكتبة ومطبعة مصطفىٰ الحلبي البابي.

٥٧ ـ الجامع لأحكام القران، محمد القرطبي،؟، القاهرة ـ مصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧.

٥٨ ـ جامع مسانيد ابي حنيفة، محمد الخوارزمي، الاولىٰ، حيدرآباد ـ الهند، مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٣٢.

٥٩ ـ خصائص علي بن ابي طالب، احمد النسائي، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، المطبعة الخيرية، ١٤٠٨.

٦٠ ـ الخصائص الكبرىٰ، عبدالرحمٰن السيوطي،؟، القاهرة ـ مصر، دار الكتب الحديثة،؟.

٦١ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبدالرحمٰن السيوطي،؟، بغداد ـ العراق، دار الكتب العراقية، ١٣٧٧.

٦٢ ـ ذخائر العقبىٰ في مناقب ذوي القربىٰ، احمد الطبري،؟، بيروت لبنان، دار المعرفة، ١٤٠٠.

٦٣ ـ روح البيان، اسماعيل حقي البروسوي، السابعة، بيروت ـ لبنان، دار اِحياء التراث العربي، ١٤٠٥.

٦٤ ـ روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي، الثانية، بغداد ـ العراق، ورثة المؤلف،؟.

٦٥ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة، احمد الطبري، الثانية، القاهرة ـ مصر، مكتبة الخانجي، ١٣٧٢.

٦٦ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن قيم الجوزية، الثانية، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة، ١٣١٣.

٦٧ ـ سنن ابن ماجة، محمد القزويني (ابن ماجة)،؟، القاهرة ـ مصر، دار احياء الكتب العربي، ١٣٧٢.

٦٨ ـ سنن ابي داود، سليمان السجستاني (ابي داود)،؟، القاهرة ـ مصر، دار احياء السنة النبوية،؟

٦٩ ـ سنن الترمذي، محمد الترمزي،؟، بيروت ـ لبنان، دار اِحياء التراث العربي،؟.

٧٠ ـ السنن الكبرىٰ، احمد بن الحسين البيهقي، الاولىٰ، حيدر آباد ـ الهند، مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٤٤.

٧١ ـ سير أعلام النبلاء، محمد الذهبي، الخامسة، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة،؟.

.. ـ السيرة الحلبية. راجع : إنسان العيون.

٧٢ ـ شرح نهج البلاغة، عبدالحميد المدائني (ابن أبي الحديد)، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، دار الكتب العربية الكبرىٰ،؟.

٧٣ ـ شرح مقاصد الطالبين في علم اصول عقائد الدين، مسعود بن عمر التفتازاني، ؟،؟، مطبعة الأفندي، ١٣٠٥؟

٧٤ ـ شرح المواقف، محمد الايجي،؟، بولاق ـ مصر،؟، ١٢٦٦.

٧٥ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ، عياض اليحصبي،؟، القاهرة ـ مصر، مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي، ١٣٦٩.

٧٦ ـ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، عبدالله الحسكاني، الاولىٰ، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٣٩٣.

٧٧ ـ صحاح اللغة، اسماعيل الجوهري، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، دار الكتاب العربي،؟

٧٨ ـ صحيح البخاري، محمد البخاري، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي، ١٣٧٨.

٧٩ ـ صحيح مسلم، مسلم القُشيْري،؟؟ بيروت ـ لبنان، دار إحياء التراث العربي،؟.

٨٠ ـ الصحيفة السجادية، الامام علي بن الحسين السجاد زين العابدين، الاولىٰ، لندن ـ بريطانيا،؟، ١٤٠٧.

٨١ ـ الصواعق المحرقة في الرد علىٰ أهل البدع والزندقة، احمد الهيثمي، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، المطبعة اليمينية، ١٣١٢.

٨٢ ـ الطبقات الكبرىٰ، محمد بن سعد، الاولىٰ، بيروت ـ لبنان، دار صادر، ١٣٧٧.

٨٣ ـ العقد الفريد، احمد الأندلسي، الثانية، القاهرة ـ مصر، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٨١.

٨٤ ـ الغدير في الكتاب والسنة والادب، الشيخ عبدالحسين الأميني،؟، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،؟.

٨٥ ـ غرائب القران، الحسن بن محمد النيشابوري، الاولىٰ، دولت آباد ـ الهند،؟،؟

٨٦ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ١٣٧٨.

٨٧ ـ فرائد السمطين في فضائل المرتضىٰ والبتول والسبطين، ابراهيم الجويني، بيروت ـ لبنان، مؤسسة المحمودية، ١٣٨٩.

٨٨ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن حزم الأندلسي، الثانية، بغداد ـ العراق، مكتبة المثنىٰ،؟.

٨٩ ـ الفصول المهمة في معرفة أحوال الائمة، علي المالكي (ابن صباغ)، الثالثة، النجف ـ العراق، المطبعة الحيدرية، ١٣٨١.

٩٠ ـ فضائل الصحابة، احمد بن حنبل، الاولىٰ، مكة ـ الحجاز، مكتبة ام القرىٰ،؟.

٩١ ـ فيض القدير بشرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، المكتبة التجارية الكبرىٰ، ١٣٥٧.

٩٢ ـ قرة العينين في تفضيل الشيخين، شاه ولي الله الدهلوي،؟، بيشاور ـ باكستان، كتب خانه بازاقصه خانه، ١٣١٠.

٩٣ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري، الثالثة، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العربية، ١٤٠٧.

٩٤ ـ كفاية الطالب في مناقب علي بن ابي طالب، محمد القرشي الشافعي، الاولىٰ، النجف ـ العراق، المكتبة الحيدرية،؟.

.. ـ كفاية اللبيب في خصائص الحبيب. راجع: الخصائص الكبرىٰ.

٩٥ ـ كنز العمال في السنن والأقوال والافعال، علي المتقي الهندي،؟، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩.

٩٦ ـ كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق، عبدالرؤوف المناوي، الرابعة، القاهرة ـ مصر، مكتبة مصطفىٰ الحلبي البابي، ١٣٧٣. (بهامش كتاب الجامع الصغير).

٩٧ ـ الكنىٰ والأسماء، محمد الدولابي، الاولىٰ، حيدر آباد ـ الهند، مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٢.

٩٨ ـ لباب التأويل ومعاني التنزيل، علي البغدادي (الخازن)، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، المكتبة التجارية الكبرىٰ،؟

٩٩ ـ لباب النقول في اسباب النزول، عبدالرحمن السيوطي،؟، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب العربي، ١٣٩١. (مطبوع بهامش تفسير الجلالين).

١٠٠ ـ لسان العرب، محمد بن مكرم (ابن منظور)،؟، بيروت ـ لبنان، دار صادر،؟.

١٠١ ـ لسان الميزان، احمد العسقلاني (ابن حجر)، الاولىٰ، حيدرآباد ـ الهند، مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٣٠.

١٠٢ ـ مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، الاولىٰ، طهران ـ ايران، مكتبة المرتضوي، ١٣٨٦.

١٠٣ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي الهيثمي، الثالثة، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٠٢.

١٠٤ ـ المحلّىٰ في الفقه، ابن حزم الاندلسي.

١٠٥ ـ مختصر التحفة الاِثني عشرية، عبدالعزيز الدهلوي،؟، استانبول ـ تركيا، مكتبة ايشيق، ١٣٩٦.

١٠٦ ـ المختصر في اخبار البشر، اسماعيل القرشي الدمشقي،؟، بيروت ـ لبنان، دار المعرفة،؟.

١٠٧ ـ مدارج النبوة، عبدالحق المحدث الدهلوي، الاولىٰ، لكنهو ـ الهند، مطبعة نول كشور، ١٨٩٤.

١٠٨ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي، الثالثة، القاهرة ـ مصر، المكتبة التجارية الكبرىٰ، ١٣٧٧.

١٠٩ ـ المستدرك علىٰ الصحيحين، محمد الحسكاني، الاولىٰ، حيدرآباد ـ الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية. ١٣٤١.

١١٠ ـ المسند، احمد بن حنبل، الاولىٰ، بيروت ـ لبنان، دار صادر، ١٣٨٩.

١١١ ـ مشكل الآثار، احمد الطحاوي، الاولىٰ، حيدر آباد ـ الهند، مطبعة دار المعارف النظامية، ١٣٣٣.

١١٢ ـ مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، محمد الشافعي، الاولىٰ، النجف ـ العراق،؟،؟.

١١٣ ـ معارج النبوة، معين الكاشفي، الاولىٰ، لكنهوء ـ الهند،؟،؟.

١١٤ ـ المعارف، عبدالله الدينوري (ابن قتيبة)، الثاني، بيروت ـ لبنان، دار احياء التراث العربي،؟.

١١٥ ـ معجم الادباء، ياقوت الحموي،؟، القاهرة ـ مصر، دار المأمون،؟.

١١٦ ـ المعجم الكبير، سليمان الطبراني،؟، القاهرة ـ مصر، مكتبة ابن تيمية،؟.

.. ـ مفاتيح الغيب. راجع : التفسير الكبير.

١١٧ ـ الملل والنحل، محمد الشهرستاني،؟، القاهرة ـ مصر، مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي، ١٣٧٨.

١١٨ ـ مناقب آل ابي طالب، محمد بن علي بن شهرآشوب،؟، قم ـ ايران، مؤسسة نشر العلامة،؟.

١١٩ ـ مناقب علي بن ابي طالب، علي الواسطي (ابن المغازلي)، الاولىٰ، طهران ـ ايران، المكتبة الإسلامية، ١٤٠٣.

١٢٠ ـ مناقب علي بن ابي طالب، موفق الخوارزمي، الاولىٰ، النجف ـ العراق، المكتبة الحيدرية،؟.

١٢١ ـ منتخب كنز العمال، علي المتقي،؟، القاهرة ـ مصر، المطبعة الميمنية،؟. (مطبوع بهامش مسند احمد بن حنبل).

١٢٢ ـ منهاج السنة النبوية، احمد الحراني، الاولىٰ، بولاق ـ مصر، المطبعة الكبرىٰ الأميرية، ١٣٢٢.

١٢٣ ـ منهاج الكرامة، الشيخ حسن بن يوسف الحلي،؟، قم ـ ايران،؟،؟

١٢٤ ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، احمد القسطلاني، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، مصطفىٰ افندي شاهين، ١٢٨١.

١٢٥ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد الذهبي، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٢.

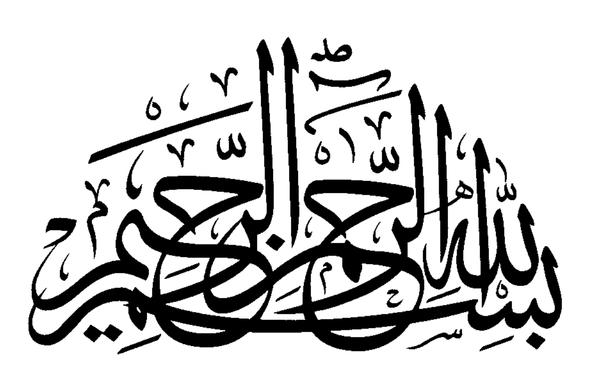
١٢٦ ـ النص والاِجتهاد، السيد عبدالحسين شرف الدين، الاولىٰ، قم ـ ايران، مطبعة سيد الشهداء، ١٤٠٤.

١٢٧ ـ نهج البلاغة، أمير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب،؟، بيروت ـ لبنان، دار التعارف للمطبوعات،؟. (المطبوع مع تعليقات محمد عبده)

١٢٨ ـ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، مؤمن الشبلنجي، الاولىٰ، القاهرة ـ مصر، عبدالحميد الحنفي،؟.

١٢٩ ـ وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، الثانية، القاهرة ـ مصر، المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٨٢.

١٣٠ ـ ينابيع المودة لذوي القربىٰ، سليمان القندوزي،؟، استانبول ـ تركيا،؟، ١٣٠٢.


بسم الله الرحمن الرحيم